أثَرُ القـُـرآنِ الكَـريم في النَثرِ الأَندُلُسِي مِن نِهَايَة عَصرِ الطَوائِف وَالمُرَابِطِين حَتَّى سُقُوط غِرنَاطَة

رسالة تقدمت بها

أَنَاهِيد عَبدِ الأَمِير عَبَّاس الرِكَابِي

إلى مجلس كلية التربية / ابن رشد في جامعة بغداد وهي جزء من متطلبات نيل درجة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها

بإِشـرَافْ

الأُستَاذ الدُكتُور أَحمَد شَاكِر غضَيب

١٤٢٦هـ

٢٠٠٥م

j

كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ

قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ

الاهـــداء

إلى عينيّ اللتين أستقي منهما الحنان وروح المثابرة والطموح. . . . .

إلى من أخذا بيدي نحو طريق المعرفة الصادقة روحاً وعلماً . . . . .

إلى من كانا لي مورد الظمآن فطفقا يجودان علي بالنفس والمال . .

إلى حبيبيّ الوالدين (أطال الله في عمريهما) . . .

الحاج الأستاذ عبد الأمير الركابي

الحاجة السيدة افتخار هادي راضي

إلى من واكبني في كل حركة وسكنة موجهاً ومعلماً فكان نعمَ المؤازر . .

زوجي السيد محمد عبد العزيز مال الله .

إلى من أزالوا عني همَ العناء والتعب ببراءتهم ولطف ابتساماتهم فأخذت من وقتهم شيئاً كثيراً . . . أطفالي (دانية، زينب، أحمد)

أناهيد

إقرار المشرف

أشهد أن إعداد هذه الرسالة جرى بإشرافي في جامعة بغداد وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها.

المشرف
الأستاذ الدكتور
أحمد شاكر غضيب
٢٤/ ٨ / ٢٠٠٥

بناءً على التوصيات المتوافرة أرشح هذه الرسالة للمناقشة.

الأستاذ المساعد
الدكتورة
رئيس قسم اللغة العربية
٢٤/ ٨ / ٢٠٠٥

إقرار لجنة المناقشة

نشهد نحن أعضاء هيأة المناقشة إننا قد أطلعنا على الرسالة المقدمة من قبل الطالبة (أناهيد عبد الأمير عباس الركابي) والموسومة بـ ((أثر القرآن الكريم في النثر الأندلسي من عصر المرابطين حتى سقوط غرناطة)) وناقشناها في محتوياتها وفيما له علاقة بها ونعتقد بأنها جديرة بالقبول بتقدير ( ) لنيل درجة دكتوراه آداب في اللغة العربية.

التوقيع : **التوقيع :**

الإسم : **الإسم :**

التوقيع : **التوقيع :**

الإسم : **الإسم :**

التوقيع : **التوقيع :**

الإسم : **الإسم :**

المحتويات

الموضـــــــوع	الصفحة
المقدمة	١-٤
التمهيد	٥-١٩
- تحديد العصور العصر المرابطي - العصر الموحدي - عصر بني الاحمر	
- حالة النثر خلال هذه العصور الثلاثة	
- دخول القران للاندلس محفوظا في الصدور مكتوبا في المصاحف	
- طريقة انتشار القران في الاندلس أ. البعثات والرحلات العلمية بعثة عقبة بن نافع بعثة موسى بن نصير بعثة عمر بن عبد العزيز	
ب. مراكز ومعاهد الثقافة القرانية المساجد الكتاتيب الرباطات	
الباب الاول - البناء الشكلي الفصل الاول - أثر الإقتباس القرآني في النثر الاندلسي أنواع الإقتباس :- الإقتباس النصي الإقتباس الإشاري	٢٠-٤٧
الفصل الثاني : أثر الألفاظ والعبارات القرآنية في فنون النثر	

الأندلسي :- الرسائل الدينية الرسائل التي تدعو إلى اقامة الصلاة الرسائل التي تدعو إلى ابناء الزكاة الرسائل النبوية (المدائح النبوية) الرسائل الوصفية الرسائل الاخوانية رسائل في عهود المودة والمحبة بين الاخوان بكاء المدن الاندلسية الضائعة الرسائل الديوانية الرسائل الاجتماعية التوقيعات في الكتب الواردة من السلاطين	٤٨-٨١
الفصل الثالث : أثر الفاصلة القرآنية في النثر الاندلسي تعريف الفاصلة أقوال النقاد في الفاصلة	٨٢-٩٠
الباب الثاني : البناء المعنوي الفصل الاول : أثر القصص القرآني في النثر الاندلسي القصة لغة واصطلاحا طريقة عرض القران للقصة قصة يوسف (عليه السلام) قصة موسى (عليه السلام) قصص قرآنية متفرقة	٩١- ٩٩
الفصل الثاني : أثر الصورة القرآنية في النثر الاندلسي	

تعريف الصورة انواع الصورة القرآنية :- الصورة الاصلية الصورة الاشارية الصورة المحورة الصورة المنقولة الصورة والمثل القرآني	١٠٠-١١٢
الفصل الثالث : اثر القران الكريم في اجناس ادبية متنوعة منها : المقامات الخطب الرحلات	١١٣-١٥١
الفصل الرابع : التركيب الفني في الرسائل والمقامات والخطب والرحلات : البدء والختام الجمل الدعائية والاعتراضية السجع الازدواج الجناس التوازن الطباق المقابلة التشبيه الاستعارة التلويح بالاشارات	١٥٢-١٧٤
نتائج البحث	١٧٥-١٧٨
مصادر البحث ومراجعه	١٧٩-١٩٢

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي اسبغ على عباده نعمة العقل والصلاة والسلام على نبيه وآله الداعين الى اقوم السبل اما بعد ...

فالقرآن الكريم كلام الله الذي تعالى عن كلام البشر في جميع انماطه ونواحيه فهو المعروف بايجاز عباراته ، وقد تحدى العرب على ان يأتوا بسورة منه قال تعالى:-

(قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا)

(الإسراء:٨٨)

فطغى إشعاعه النفسي ، والعقلي ، والفني على لغة العرب ، فاحتوت الجملة القرآنية على اتساق لغوي جميل جعل اللفظة فيه مصورة ناطقة معبرة وموحية.

ولكي يتجاوز الناثر مشكلة التعبير في نثره ، وليضّمن نثره تعبيراً دقيقاً رصيناً لجأ الى القرآن الكريم ، فمشكلة التعبير هي التي تحمل الكاتب على التفتيش والبحث عن عبارات جديدة ، واساليب جديدة غير مستهلكه لذلك نجد الكاتب يقتحم المعجم القرآني لينهل من بلاغه ألفاظه ويغرف من معاني الوحي ، ليصل الى مبتغاه في توصيل أفكاره.

فهذا البحث يتضمن أثر القرآن الكريم في الكشف عن المنابع القرآنية التي اسهمت في إثراء النص النثري للكاتب الاندلسي في هذه العصور الثلاثة واستجلاء ملامح هذا الاثر هذا الكشف يدعونا الى معرفة النص النثري ومدى انفتاحه على مرجعيته القرآنية والكيفية التي تم بها سواء أكان مستشهدا به أم متداخلاً معه ام آخذاً منه ومن شأن ذلك ان ينتج نصاً على مستوى عالٍ من المثالية فكانت الفاعلية المؤثرة للنص القرآني وراء تميز معالم هذا النص شكلاً ومضموناً .

إن أثر القرآن الكريم في النثر الاندلسي وفي هذه العصور الثلاثة تحديداً يمتاز بالتفرد لأن النثر فيها كان احوج بيئات النثر العربي الى البصمات القرآنية لتعزيز هويته العربية الاسلامية التي باتت مهددة في ظل وضع سياسي قلق وعلى نحوٍ مستمر منذ أول خطوة خطاها العرب فاتحين جزيرة الاندلس.

وهناك دراسات سبقتني في دراسة أثر القرآن الكريم في النثر الاندلسي وهي دراسة الدكتور يونس مجيد الدوري الموسومة بـ (أثر القرآن الكريم في النثر الاندلسي منذ الفتح حتى نهاية عصر الطوائف). لذلك توخت الباحثة اكمال هذه الحلقة التي قلت عناية الباحثين بها لا سيما ان الدراسات الخاصة بتاريخ النثر الاندلسي قليلة جدا وانها تناولت النثر بصورة عامة ولم تقتصر على عصرٍ معين. من هذه الدراسات كتاب الدكتور حازم عبد الله خضر النثر الاندلسي في عصر الطوائف والمرابطين ورسالة الدكتور حسين اسعد نصر النثر الفني في عهد الموحدين وبني الاحمر وقد اتبعت الرسالة منهجاً وصفياً استقرائياً واحياناً تحليلياً يعتمد النصوص النثرية في كتب النثر الاندلسي التي تخص هذه العصور.

فاشتملت الأطروحة على مقدمة وتمهيد وبابين شكلي ومعنوي فاما الباب الشكلي فيضم ثلاثة فصول واما الباب المعنوي فيضم ثلاثة فصول ايضاً ثم الخاتمة.

عرضت الباحثة في التمهيد دخول القرآن للاندلس والكيفية التي دخل فيها ثم طريقة انتشار القرآن في الاندلس عن طريق البعثات والرحلات ومراكز الثقافة القرآنية ثم حددت هذه العصور الثلاثة وبينت حالة النثر خلال هذه العصور.

أما الباب الاول وهو البناء الشكلي فقد اشتمل على ثلاثة فصول هي:-

الفصل الأول في اثر الاقتباس القرآني في النثر الاندلسي وقد تناولت فيه تقسيم الاقتباس على نصي واشاري والفصل الثاني تناول اثر القرآن الكريم في الالفاظ القرآنية فتتبعت هذا الاثر في فنون النثر المختلفة ثم الفصل الثالث وهو أثر الفاصلة القرآنية في النثر الاندلسي.

أما الباب الثاني وهو البناء المعنوي فقد درست فيه ثلاثة فصول ايضاً . الفصل الاول درست فيه اثر الصورة القرآنية في هذا النثر اما الفصل الثاني فدرست فيه اجناس ادبية متنوعة تمثلت بالخطب والمقامات والقصص القرآنية وادب الرحلات، اما الفصل الثالث فكان دراسة فنية لالوان النثر الاندلسي.

أما خاتمة البحث فقد لخصت الباحثة فيها نتائج بحثها وما توصلت اليه ثم تلا الخاتمة ثبت بالمصادر والمراجع التي استقت منها الباحثة المعلومات فملخص باللغة الإنكليزية.

ومن الصعوبات التي واجهت الباحثة قلة المصادر وشحتها وعدم توافرها في المكتبات وغلاء اثمانها من جهة وسعة موضوع البحث وتشعبه من جهة أخرى.

وبعد ...

فلا انسى شكري الجزيل الى استاذي الدكتور احمد شاكر غضيب على ما انفق من وقت في مراجعة فصول الدراسة واسداء النصيحة في منهجية البحث والتنبيه على المواضع التي تحتاج الى مراجعة لغوية أو مراجعة اسلوبية كما اتقدم بالشكر الجزيل الى الدكتورة عهود عبد الواحد رئيس قسم اللغة العربية على ما قدمت من كبير عون وجميل معاملة.

أما والدي الاستاذ عبد الامير الركابي فاقول له ان هذا الجهد هو منك واليك فلا أجدني موفيةً حقه لما له من أيادٍ بيضٍ على البحث في التوجيه والمتابعة واسداء النصيحة اولاً بأول والرعاية الابوية الكريمة التي اولانيها طوال مدة البحث.

كما اتقدم بالشكر الجزيل الى أختيّ العزيزتين شذا عبد الامير الركابي وصبا عبد الامير الركابي لرعايتهن أطفالي أثناء غيابي

واخيراً أشكر الاستاذ عبادي حمادي المدير الاداري في المكتبة المركزية – جامعة بغداد ، والآنسة شفاء احسان لتعاونهم الصادق مع الباحثة في اخراج الكتب والمصادر.

وأخيراً فإن الباحثة لا تزعم ان هذا العمل بريء من العيوب والمآخذ ولكنها لم تألُ جهداً في تنقيحه وتهذيبه.

والله ولي التوفيق .....

أناهيد عبد الامير الركابي

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

اثر القرآن الكريم في النثر الأندلسي

من عصر المرابطين حتى سقوط غرناطة

التمهيد :

١. تحديد العصور :

العصر المرابطي – الموحدي – بني الأحمر

٢. حالة النثر خلال هذه العصور

٣. دخول القرآن للأندلس

٤. دخول القرآن مدوناً في المصاحف.

٥. البعثات القرآنية

بعثة عقبة بن نافع

بعثة موسى بن نصير

بعثة عمر بن عبد العزيز

٦. مراكز ومعاهد الثقافة القرآنية

المساجد

الكتاتيب

الربط

تحديد العصور

عصر المرابطين (٤٩٥ هـ/١١٠١م – ٥٥٥هـ / ١١٦٠م)

ينتمي أمراء هذا العصر الى (قبيلة لمتونة من برابرة صنهاجة في المغرب وكان من عاداتهم أن يضعوا لثاماً على وجوههم لذا لقبوا بالملثمين)[١].

وقد سموا المرابطين لأن (يحيى بن ابراهيم الكدرالي) زعيم لمتونة جاء بفقيه يدعى (عبد الله بن ياسين) ليعلم قبيلته القرآن الكريم وأحكام الدين فلما مات يحيى تفرق قومه عن عبد الله فاعتزل بمن بقي معه في جزيرة بالسنغال وابتنى لهم رباطاً يتعبدون فيه فسموا بالمرابطين.

فتوغل مع قومه في أرجاء البلد الى أن وصل الى بلاد المغرب فدعا الناس للإنضمام اليه واستمر بنشر تعاليم الدين إلى أن استشهد في عام ٤٥٦ هـ فتولى أمر المرابطين بعده (ابو بكر بن عمر اللمتوني) الذي لم يلبث أن سلم مقاليد الحكم الى ابن عمه (يوسف بن تاشفين اللمتوني) الذي سرعان ما (فتح فاس وطنجة وسبتة ثم بنى مراكش وجعلها داراً له فعظمت هيبته وذاع صيته وحدث أن توفى ابن عمه أبو بكر بعد أن بلغ جهاده نهر النيجر فأدخل يوسف هذه البلاد في طاعته)[٢].

ثم استنجد أهل الأندلس بيوسف بن تاشفين برسالة كتبها (المعتمد بن عباد) يخبره بما آل إليه حال الأندلس أزاء الضغط الفرنجي المسيحي فلبى يوسف نداء الأخوة (وعبر اليهم بجيش المرابطين مرتين لإنقاذهم الأولى سنة ٤٧٩ هـ والثانية ٤٨٣ هـ ، وانتصر على الفرنج ولا سيما في موقعة الزلاقة في رجب ٤٧٩ هـ وفي النهاية قضى على ملوك الطوائف وضم الأندلس الى ملكه الى أن توفى وحكم ابنه (علي) الذي جعل (مقر حكمه مراكش) تاركاً الأندلس لأخيه، ولم تنعم الأندلس في عهد (علي) بالاستقرار والهدوء، لتعصبه الشديد للدين، وتمسكه بمذهب مالك)[٣]، ولا

---

[١] المغرب في حلى المغرب، ٤٦٧.

[٢] الحلة السيراء: ٢١٢/٢.

[٣] الادب العربي في الأندلس: ٧٢٨.

نتفق مع الكاتب في هذا النص لأن مذهب أهل الاندلس على مذهب مالك ، فليس المذهب سبباً في الاضطراب بل ضعف الدولة.

(وقد استمر حكم المرابطين في الأندلس ستين عاماً إلى أن ظهر المهدي (محمد بن تومرت) من جبال المصامدة في المغرب فكان ظهوره سبباً في قيام دولة الموحدين) [١].

عصر الموحدين (٥٥٥ هـ/١١٢٩م – ٦٦٧هـ/ ١٢٦٨م)

تنتمي دولة الموحدين الى قبائل المصامدة وقوام دعوتها (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقول بالتوحيد على طريقة الاشاعرة من تأويل المتشابه من آيات القرآن والحديث ، ومن أجل ذلك سموا بـ (الموحدين)[٢].

ومؤسس دولة الموحدين رجل يدعى (محمد بن تومرت) وقد نشأ في جبل السوس بالمغرب الأقصى بين قومه قبيلة مصمودة)[٣] وبعد وفاته أوصى بأمارة الحكم الى (عبد المؤمن بن علي) وقد أوقع بالمرابطين هزائم فادحة مما أدى الى سقوط دولتهم وقيام دولة الموحدين فلما توفى تولى ابنه (ابو يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن) الحكم.

(وقد استمر حكم الموحدين مائة وثلاثين عاماً الى أن تمكن النصارى من الاستيلاء على أكثر إمارات الاندلس) [٤].

عصر بني الأحمر (٦٦٧ هـ/١٢٣٧م – ٨٩٨ هـ / ١٤٩٢م)

وقد سميت بدولة بني الأحمر نسبة إلى (قبيلة عربية من بني الأحمر وعميدها محمد بن يوسف النصري المعروف بابن الأحمر سليل بني نصر الذين ينتسبون الى (سعد بن عبادة) سيد الخوارج)[١].

---

[١] م . ن : ٢٨.

[٢] مقدمة ابن خلدون: ٢/ ٧٥٣.

[٣] وفيات الأعيان. ٥/٣٥.

[٤] الادب العربي في الاندلس :٣٠ .

وقد تمكن الأخير من انهاء حكم الموحدين بالأندلس ويعد هذا العصر من أسوء عصور الأندلس لكثرة فتنه وانقلاباته السياسية (وفي سنة ٨٩٨ هـ/١٤٩٢م) أي بعد نحو ثمانية قرون من الفتح الاسلامي للأندلس هاجم (فرديناند وأيزابيلا) بني الاحمر وهزموهم هزيمة مروعة وسقطت غرناطة في ٢١ المحرم سنة ٨٩٨ هـ/ ٢٥ نوفمبر ١٤٩٢م)، وعندئذٍ سلم أبو عبد الله أخر ملوكها مفاتيح المدينة الى فرديناند فغادره الى مشرف عال يرى من خلاله (غرناطة) حيث ودعها الوداع الأخير عندئذٍ لم يتمالك ابو عبد الله إلا أن يقول: الله أكبر ثم أجهش بالبكاء فجاءت أمه اليه فقالت كلمتها المشهورة التي تناقلها التاريخ عبر الزمن (أجل عليك أن تبكي بكاء النساء على ما عجزت أن تدافع عنه دفاع الرجال)[٢].

فعبر البحر ونزل مدينة فاس حتى مات فيها عام ٩٤٠ هـ وقد تجاوز عصر بني الأحمر زهاء قرنين ونصف القرن من الزمن.

حالة النثر خلال هذه العصور

اهم الظواهر التي برزت في نثر عصر المرابطين، ظاهرة الرسائل الدينية التي ترسل الى ضريح الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وابرز كاتب وناشر امتاز بهذا اللون الادبي والديني في آن واحد ابن ابي الخصال ٥٣٩هـ الذي تعرض لسان الدين الى نثره بقوله (كالشمس شهرة والبحر والقطر كثرة)[٣] يلحقه في ذلك القاضي عياض ٥٤٤هـ الذي اسرف اسرافاً شديداً في التورية بآيات القرآن الكريم حتى نظمها في رسالة واحدة[٤] وفيها من التكلف الزائد ما يذهب عنها حلاوة الكتابة الادبية زاد على ذلك تكلفه الشديد في ذكر أوصاف الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) في رسالة

---

[١] نفح الطيب: ٤١/١.

[٢] خلاصة تاريخ الأندلس: ٣٤١.

[٣] الاحاطة ٢ : ٤٠٤ .

[٤] ينظر ازهار الرياض ٥/٢

ثانية[١] ويبقى الاسلوب المسجوع هو الذي وسم عصر المرابطين بطابعه، فقد التزمه الكتاب التزاماً متكلفاً في الاغلب الاعم ولزموا فيه ما لا يلزم، مع الاتكاء على المحسنات اللفظية والمعنوية وما يترتب على ذلك مع تنميق شديد وزخرفة.

أما في العصر الموحدي فقد نال النثر حظاً وافراً من التقدم والازدهار في الأندلس فقد ازداد عدد الأدباء والكتّاب وكثرت دور العلماء والعلم على الرغم من ((وجود الثورات الداخلية واشتداد هجمة الاسبان على الأندلس فأن الحياة الثقافية. أجمالاً والادبية بشكل خاص كانت استمراراً لحالة النماء والتقدم التي عاشتها الاندلس في عصر الطوائف والمرابطين))[٢] .

هذا التقدم والازدهار يعود الى تشجيع الحكام للعلماء والادباء مما حدا بهم الى المنافسة بينهم فقد فرضوا الجوائز للمبدعين (وربما ميزوهم بميزات خاصة)[٣] .

وان من يستقرئ كتاب الموحدين وبني الاحمر يجدهم ادباء وعلماء مطلعين على المعارف العلمية والادبية فقد ((أظهرت غرناطة حيوية أدبية أحتفظت بها الى النهاية))[٤] ومع ان الاندلسيين (أهل فطنة وذكاء)[٥] الا انهم أبوا إلا ان يحذوا حذو أهل المشرق في نتاجاتهم الادبية فكانوا ينسجون على منوالهم ويسيرون على منهجهم فقد اعجبوا بأدبهم فألحوا في اتباعه حتى قال عنهم ابن بسام ((ألا أن اهل هذا الأفق أبوا إلا متابعة أهل المشرق يرجعون الى اخبارهم المعتادة، رجوع الحديث الى قتادة، حتى لو نعق بتلك الآفاق غراب، أو طنّ بأقصى الشام والعراق ذباب، لجثوا على هذا صنماً، وتلوا ذلك كتاباً محكماً))[٦] .

وهذا خير دليل على ان (شخصيتهم الأدبية كانت تؤصل حركتها الفنية على الاصول المشرقية)[٧] .

---

[١] ينظر ازهار الرياض ٨٦/٢

[٢] الادب الاندلسي منذ الفتح حتى سقوط غرناطة : ١٩١.

[٣] مجلة مجمع اللغة العربية ، دمشق، عدد٢، سنة ١٩٢٢: ٢٩٩.

[٤] مع شعراء الاندلس والمتنبي: ٢٢٣.

[٥] الذخيرة ١ / ١ / ١٤ – ١٥

[٦] المصدر نفسه: ١٢.

[٧] ادباء العرب: ١٨٦/٣.

ومع مرور الزمن اخذ هذا التأثير الكبير بالتناقص تدريجياً ليكون للاديب الاندلسي شخصية ذات ملامح وسمات خاصة بها ولا أدل على ذلك من قول ابن خلدون ان (أهل الأندلس يتشبهون بالمشارقة في عهد الامويين والعباسيين وليس بعد ذلك)[١] اذن سار الادب الاندلسي في تطوره على سنن وطريقة تطوره في المشرق (حيث ابتدأ موجزاً، فيعنى بقوة العبارة، أكثر ما يعنى بتجميلها)[٢] لكنه وبعد تقدم الزمن لم يعد النثر الاندلسي نثراً بسيطاً ساذجاً كما كان من قبل وانما اصبح نثراً فنياً له خصائصه واساليبه ومميزاته التي تحدد معالمه ((وظهرت فيه تلك المؤثرات التي اصابت مصدره الأصلي في الشرق))[٣].

ففي عصر الموحدين الذي تميز بكونه عصر ثورة وصراع وقد شهد هذا العصر الكثير من الثورات والصراعات السياسية فهو : (عصر نثر غني بموروثه في مختلف المجالات والميادين ولكن وبنظرة سريعة الى ما هو متوافر من رسائل ومكاتبات رسمية أبان عصر الموحدين ندرك بأن هذا لا يشكل إلا جزءاً يسيراً من التراث الأدبي لهذه الحقبة ولا يغطي الا زمناً قصيراً من أزمنتهم الطويلة التي استغرقت بحدود القرن وليس من تفسير لذلك سوى ضياع تلك المراسلات وفقدانها أثناء تعرض البلاد للتخريب والتشريد والاضطهاد)[٤] وهذا دليل على ان (حكام الموحدين كانوا حريصين على تطوير الحياة الثقافية والفكرية في دولتهم وقد صرفوا قسطاً من عنايتهم لخدمتها)[٥].

وفي هذا العصر عاد عنفوان الصبغة الدينية في الاندلس الى سابق عهده بعد أن خفت أوار الصبغة الدينية وغربت شمسها على يد أمراء المرابطين فظهر ذلك في الادب إذ كان كثير من كتاب هذا العصر هم من (أهل دين وفقه، قبل أن يكونوا أهل أدب)[٦].

---

[١] العبر : ١ / ٦٥٥ .

[٢] الادب الاندلسي منذ لفتح حتى سقوط غرناطة : ٦٦.

[٣] الادب الاندلسي منذ الفتح حتى سقوط الخلافة : ١٧١ .

[٤] بحوث اندلسية: ١٠٥ .

[٥] النثر الاندلسي في عهدي الموحدين وبني الاحمر : ١٩.

[٦] ابو المطرف بن عميرة حياته وادبه : ١٨١ .

فاصبحوا (يتكلفون الادب ويسرفون في الصناعة فاصبحت اساليبهم مثقلة بالفنون البلاغية والمصطلحات العلمية والاشارات التاريخية مما قد يصغر قيمة النثر الفنية ويقلل من جماليته)[١].

ومع ذلك فقد ظهرت ثلة من الأدباء والكتّاب اللامعين الذين يشار اليهم بالبنان أمثال: أبي جعفر بن عطية الحاربي (٥٥٣هـ)[٢] واخيه أبي عقيل وابن طفيل وابن الابار (٦٥٨هـ) وابن الجنان وابي المطرف بن عميرة (٦٥٨هـ)[٣] حيث وصفه ابن سعيد بقوله ((شيخ كتّاب زماننا وأمام أدباء أواننا))[٤] وغير هؤلاء كثير ممن بدت على ايديهم ملامح جديدة في النثر يبتغون من ورائها ((ابعاد الملل من نفس القارئ والترويح عنه بالاستعانة بالسجع المزدوج بمعنى انه إذا طال به النفس على سجعة واحدة وضع بين كل سجعة وأختها سجعتين داخليتين متغايرتين))[٥] (وقد كانت كتابة الرسائل عند العرب أفضل مراتب الكتابة و أعلى مناصب الوجاهة)[٦]. لذلك فقد حرص الادباء والكتاب على تزيين رسائلهم وتنميقها لأنها تبين قدرتهم الفنية وبراعتهم الأسلوبية وشخصيتهم الادبية.

وقد مالت الرسائل الديوانية في عصر الموحدين الى الاسهاب والتطويل وبدت مزينة ومنمقة بضروب البديع والسجع طويل الفقرات ولعل بعضهم زاد من التكلف بأن جعل الرسالة الواحدة كلها على روي واحد مثل ما كتب ابن الجنان في بيعة الواثق[٧].

ومع أن الرسالة الديوانية أخذت تتميز بطابع شكلي جديد ((واصبحت لها رسومها التي لا تحيد عنها فقد اتخذت قالباً محدداً تصب فيه الافكار والمعاني))[٨]

---

[١] المكاتبات الرسمية في عهد الموحدين : ٤١.

[٢] ينظر بحوث اندلسية: ١٨٦.

[٣] انظر المطرف بن عميرة حياته وادبه : محمد بن شريفة : ٨ .

[٤] اختصار القدح المعلى : ٤٢.

[٥] المكاتبات الرسمية في عهد الموحدين : ٤٩.

[٦] نفح الطيب : ١ / ٢١٧ .

[٧] ينظر الاحاطة ٢ : ٣٥٣ .

[٨] المكاتبات الرسمية في عهد الموحدين: ٣٩.

إذ أن لكل رسالة ((إطارها الخاص بها وافرادها عن غيرها))[١] فهناك عدد من (الصيغ التي سلكتها الرسالة الاندلسية آنذاك والتي كادت أن تكون إطاراً عاماً يتبعه الكاتب ويتمسك بأصوله وقواعده)[٢] وبرز أيضاً في هذا العصر نوع من القصص الخيالي الفلسفي مثل قصة حي بن يقظان التي كتبها أبن طفيل (٥٨١هـ) وهذا النوع من القصص يختلف عما كان عليه من قبل عند ابن شهيد الذي اعتمد عالم الخيال في حين ان ابن طفيل اعتمد عالم الواقع والمحسوس مسرحاً بقصته وهي وان كانت خيالية الا انه أظهرها بطريقة فنية رائعة وقد قال الدكتور غريسيا غومس عن هذه القصة المتفردة في بابها ((استطاع ابن طفيل باسلوبه العذب الذي يفيض ابتكاراً وشاعرية أن يخلق منها أثراً من أعظم ما اطلعته العصور الوسطى))[٣].

الذي يجذب الانتباه ان هذا الاسلوب القصصي قد خلا خلوا تاماً من السجع والتعسف في استعمال المحسنات البلاغية والبديعية واللفظية الشائعة الاستعمال آنذاك.

وفي عهد بني الاحمر (٦٣٥ – ٨٩٧ هـ) استمر دفق الكتابة السائدة في عصر الموحدين وكان من بين ادباء الموحدين ما يُعد مرحلة انتقالية الى العصر الجديد امثال ابن المطرف بن عميرة وابن الابار القضاعي وهؤلاء الادباء ((نقلوا اساليبهم الى هذا العصر بما فيه من سجع قصير الفقرات كما هو طويلها وبما فيه من ازدواج كما نقلوا معهم اسلوب رثاء المدن نثراً كما فعل ابو المطرف بن عميرة في رثاء بلنسية))[٤].

واستحسن الادباء والكتّاب في تلك الحقبة كل ما فيه غريب وبديع وغير شائع بل ان بعضهم كان يطرح من مؤلفاته ما لم يتصف بالغرابة فقد ذكر ابن سعيد المغربي ذلك

---

[١] البرد الموشي في صناعة الانشاء : ٤٥ .

[٢] م.ن والصفحة.

[٣] تاريخ الفكر الاندلسي: ٣٥

[٤] إختصار القدح المعلى ٤٧ – ٤٨ وبالنسية مدينة حكمها العرب اربعة قرون تقع في الشرق من اسبانيا ، ثالث مدينة بعد العاصمة.

بحق ابن عطية الكاتب من الذين ترجم لهم فقال (وكنت قد كتبت من نظمه ونثره كثيراً ثم تفقدته بعين الانتقاد فنبذت الجميع إذ لم أرَ فيه من غريب ولا بديع)[١].

ولهذا لم يشفع لهذا الاديب كثرة نتاجه وغزارته ومع ان اساليب كتّاب بني الاحمر في اول عهدهم تماثلت وتشابهت الى حد ما مع ما كانت عليه الحال عند كتابة الموحدين[٢] الا انهم افترقوا عنهم في بنية الرسائل الديوانية بسبب تغيير الحكم وما تبع من ذلك من اختلاف في الرسوم التي يقوم عليها بناء الرسالة إضافة الى ما يعتور الادب من تطور طبعي بحكم تطور الزمن من توسع باستخدام المحسنات البديعية واللفظية أما الصبغة الدينية التي ظهرت في كتاباتهم فسببها أمران هما:

أولها: طبيعة الحكم التي وجهت الاقلام الى هذه الناحية لابراز هذا الجانب لأنه الركيزة الاساس التي يقوم النظام عليها.

ثانياً: طبيعة العصر وما يمليه على الكتّاب والادباء من الاحساس بالشعور الديني في منطقة تبدو منقطعة عن ديار المسلمين وكلما ابتعدنا عن بداية هذا العصر وجدنا ان الادب أخذ شكلاً متميزاً بعيداً عن تأثير العصر السابق واخذ النثر ميزاته الخاصة به من حيث التصوير الفني والبناء اللغوي والسجع التورية واخذ الادباء يتفننون ويزوقون في انتاجاتهم بالاشكال البديعة والمحسنات اللفظية وكانت العناية مقصورة على ذلك وقد ذكر ابن خلدون ((ان الادباء يعدّون من لا يسرف في هذه الالوان قاصراً))[٣].

وظهر من الادباء في هذا العصر من ينفر من الاسراف بالاهتمام في الشكل واطراح المعاني والافكار جانباً امثال: (أبو البركات البلفيقي)* الذي قال عنه ابن خلدون، وسمعت ابا البركات البلفيقي وكان من اهل البصر في اللسان والقريحة في

---

[١] اختصار القدح المعلى ١١٩.

[٢] ينظر النثر الفني في عهد الموحدين وبني الاحمر د. حسين نصر : ٣٥.

[٣] انظر العبر ١: ٦٧٣ .

* لم اعثر له على ترجمة

ذوقه يقول : ((ان من اشهى ما تقترحه عليّ نفسي ان اشاهد في بعض الايام من ينتحل فنون هذا البديع في نظمه أو نثره وقد عوقب أشد العقوبة))[١].

وأخيراً هذه صورة النثر العربي والمراحل التي مر بها خلال هذه العصور الثلاثة (المرابطين، الموحدين وبني الاحمر) حتى نهاية العرب في الاندلس.

٢- دخول القرآن مدوناً في المصاحف:

والمصادر التاريخية تزود الباحثة بالأدلة التي تبت بوجود مصاحف مع الجيوش الإسلامية وجنود الفتح (ففي أخريات القرن الأول (٩٢-٩٣هـ) وبعد الفراغ من فتح الأندلس، هبت ريح عاصفة على سفن الأسطول الإسلامي المحمل بالغنائم وضربت المراكب بعضها ببعض ، حتى دعا الجنود الله وتقلدوا المصاحف)[٢]، ونقل أبو زيد عبد الرحمن الأنصاري الأسيدي الدباغ (٦١٠-٦٩٦ هـ) صاحب كتاب معالم الإيمان العديد من النصوص التي تؤيد دخول المصاحف مع المسلمين الأوائل وخاصة في ترجمة حنش بن عبد الله السبائي الصنعاني[٣]، وصفه بأنه من أهل الدين والفضل، ونقل القاضي عياض في مداركه عند كلامه عن عبد الله بن طالب بن سفيان بن عقال خفاقة التميمي المعروف بابن طالب القاضي (لم يكن في زمانه سلطان ولا غيره أسمح منه، يتداين المال الكثير ويتصدق به ويصل بالعشرات من الدنانير من يعرف ومن لا يعرف وربما أعوز فتصدق بلجام دابته، ومصحفه وشواء عياله وربما تصدق بثياب طهره)[٤].

ثم مع دخول الأندلسيين في الاسلام طواعية وايماناً، صار المصحف زاد المسلم ودليله وهداه لا يخلو بيت منه وكان أعز ما يملكه المسلمون (وعرفت الأندلس الى جانب المصحف العثماني مصحفاً آخر منسوباً الى عقبة بن نافع الفهري فاتح

---

[١] انظر العبر ١: ٦٧٣ .

[٢] القرآن وعلومه في مصر، ٧٢.

[٣] معالم الايمان: ١٨٧.

[٤] ترتيب المدارك: ٣١٤.

الأندلس، عرف بالمصحف الكبير العقباني الذي كان الملوك يتوارثونه بعد المصحف العثماني)[١].

وعناية الأندلسيين بالمصحف، يظهرها لنا هذا النص الذي أنقله عن المراكشي في المعجب من أنه (كان بالربض الشرقي من قرطبة مائة وسبعون أمرأة يكتبن المصاحف بالخط الكوفي)[٢].

البعثات القرآنية:-

١. بعثة عقبة بن نافع الفهري

وهي البعثة التي قام بها في فتحه الأول لبلاد الأندلس (وذلك لما أراد العودة الى المشرق العربي عين جماعة من أصحابه يعلمون الناس القرآن ويفقهونهم في الدين)[٣].

٢. بعثة موسى بن نصير

وهو الفاتح الثاني للأندلس وموحد الحكم الإسلامي وناشر لوائه ومعلم كتابه بفضل البعثة التي جعلها لذلك (إذ اختار من جنده بضعة عشر رجلاً من القراء الفقهاء وندبهم الى سائر الجهات ينشرون تعاليم الاسلام ويشيعون بين الناس حب القرآن والتمسك بهداه)[٤].

بعثة عمر بن عبد العزيز

(وهي البعثة التي بعثها للمهمة نفسها، وهي تعليم أهل الأندلس الاسلام والقرآن)[٥].

---

[١] مجلة دعوة الحق، المصحف الشريف: ٧١١.

[٢] مجلة دعوة الحق ، المصحف الشريف: ٧١١.

[٣] جريدة الميثاق: ع١١٦، ١٩٧٠/٨/١٨، مقال لسعيد إعراب.

[٤] معالم الايمان: ٢٣١.

[٥] الاصابة: ٣٧٢.

وبفضل جهود هذه البعثات الثلاث انتشر الاسلام في الأندلس كلها وعربت كثير من الألسن وقد ساعد على نجاحها.

١. اتصاف كثير من أفرادها بالورع والعلم، وإخلاص النية لله تعالى.
٢. الاستقرار النسبي الذي عملت فيه البعثة الاخيرة بسبب أكتمال الفتح من جهة وعدالة الخليفة عمر بن عبد العزيز من جهة أخرى .

المراكز والمعاهد الثقافية والقرآنية

يراد بها تلك المراكز التي أسست لتعليم كتاب الله حفظاً ودراسة وأولى هذه المراكز هي:

١. المساجد:

شيدت المساجد في جميع المناطق التي دخلت في الدولة الاسلامية ومنها بلاد الأندلس التي انتشرت فيها المساجد بانتشار الاسلام ومن آذانها ارتفع دعاء الاسلام من الفجر الى العشاء كلما حل موعد اقامة شعائر الصلاة ولما دعت الضرورة الى التخصص في علوم العربية والاسلام اصبحت المساجد في بلاد الاندلس مراكز للتعليم مثل (المسجد النبوي الشريف والمسجد الحرام والمسجد الجامع بالبصرة وجامع عمرو بالفسطاط والمسجد الأموي بدمشق والجامع الأزهر بمصر وغيرها من مشهور المساجد)[١]، وادت المهمة العلمية والدينية نفسها ، نذكر منها على الترتيب التاريخي لزمن تأسيسها:-

١. المسجد الجامع بالقيروان بناه عقبة بن نافه سنة ٥٠ هـ.
٢. جامع تل السلمان بناه موسى بن نصير سنة ٨٩ هـ.
٣. جامع الزيتونة: أعاد بنائه ابن الحباب سنة ١١٤ هـ.
٤. جامع قرطبة : بناه عبد الرحمن الداخل سنة ١٧٠ هـ.
٥. جامع القرويين : بنته فاطمة الفهرية سنة ٢٦٣ هـ.

[١] روعي في سياقها الترتيب التاريخي وقدم المسجد النبوي على المسجد الحرام لأن الكعبة ظلت مركزاً للوثنية القرشية حتى فتح مكة في السنة الثامنة للهجرة.

هذه المساجد وغيرها قامت دوراً للعبادة ومدارس للعلم وبقيت معاهد يدرس فيها كتاب الله والعلوم الخادمة له وتخرج فيها علماء أناروا بعلمهم ظلمات الجهل ومهمة تلك المساجد الجامعة كانت تخرج كل ما تحتاج إليه الأمة من حفظة للكتاب ومفتين وقضاة وعدول ومعلمين (ودور المساجد في نشر الاسلام ومحافظته على كتاب الله معروف قد تفرغ له عدد من الدارسين على وجه التخصص)[١].

٢. الكتاتيب:

(جمع كتاب مشتق من التكتيب)[٢]، وتعليم الكتابة فالكتاب يعد أول معهد استقل بمهمة تعليم القرآن على وجه الاختصاص مع ما يحتاج اليه الصبيان من تعلم القراءة والكتابة ومبادئ الدين على يد فقيه يحفظ الأطفال القرآن.

٣. الرُبُط :

هي الثكنات التي أصبحت في الأندلس لتقوم بعدة مهام أهمها:-

١. يجمع فيها جند كبير من المسلمين للدفاع عن حوزة البلاد.

٢. هي دور للمسافرين الذين يجوبون البلاد أو يقومون بمهمات رسمية للدولة مثل دراسة كتاب الله وسنة نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) وقلما يخلو رباط من خزانة كتب وعالم يقوم بالوعظ والإرشاد وتفسير القرآن وشرح السنة للجنود وفي مهمة الرباط ذكر الدكتور الشيال (فالمسلمون الأوائل كانوا يعتقدون أن الاقامة في الرباطات والحياة في الثغور نوع من الجهاد ... ولهذا جذبت الاسكندرية اليها عدد كبير من المسلمين ومن العلماء بوجه خاص ومن علماء الأندلس والمغرب بوجه اخص)[٣].

---

[١] تاريخ الجامعات الاسلامية: ٨٣.

[٢] لسان العرب : مادة كتبة .

[٣] أعلام العرب: ٧٣.

وفيما سبق من المباحث المتعلقة بدخول القرآن الى الأندلس يتبين لنا أن دخوله اقترن بدخول الاسلام حفظاً وكتابة وكذلك الأمر في تدبره وفهم معانيه، فكانت حلقات الوعظ والإرشاد، وحلقات التعليم والمناظرة تقدم دروساً في تفسير كتاب الله استشهاداً بآياته، أو في دروس خاصة به تستنبط منه الأحكام وتأخذ العبرة من قصصه وتتدبر هداه في الأمور التي يدور حولها السؤال وطبعي أن الحاجة الى فهم القرآن ودراسته ازدادت بانتشار الاسلام بين الشعوب والأقطار التي وصلت إليها الفتوح الإسلامية وقد تعربت بعد إسلامها لأن العربية لغة كتاب فكانت حاجتها الى فهمه أقوى وأظهر من حاجة المسلمين الأول الذين نزل القرآن بلسانهم.

ثم أنه مع اتساع نطاق الفتوح إلى أقصى المغرب ظهرت أوضاع وظروف يلتبس حكم الإسلام فيها مما ألجأ القرّاء والفقهاء إلى النظر في مصادر الشريعة الإسلامية بحثاً عن حلول للقضايا الطارئة.

ولم يكن من تلك المصادر ما يعرفونه حينذاك الا مصدران : القرآن والسنة النبوية الشريفة، فكان الرجوع اليهما ضرورياً لحل الخلاف واستنباط الحكم والرجوع الى القرآن الكريم كان يبدأ به بوصفه كلام الله لفظاً ومعنى المحفوظ في الصدور وفي المصحف العثماني الامام، ثم يأتي دور الحديث النبوي الشريف.

ولا اتفق مع ما ذهب اليه الاستاذ : (أنجيل بالنثيا) في كتابه المعروف: (تاريخ الفكر الإسلامي) من أنه (كان القرآن في الأندلس كما في غيره من البلاد الاسلامية – المصدر الوحيد للتشريع، ولم تمس الحاجة الى اللجوء الى الاستعانة بسنن الرسول (صلى الله عليه وسلم)، الا بعد أن احتك أهل الاسلام بنظم الشعوب المفتوحة في المشرق والمغرب، ووجدوا أنفسهم نتيجة لهذا الاحتكاك امام مشاكل تشريعية شديدة التعقيد، ونشأت عن تلك الاستعانة بالسنة في حل هذه المشاكل المذاهب الفقهية المختلفة)[1].

إن عبارة (المصدر الوحيد) تجعل السنة النبوية كانها كانت على الهامش عند الصحابة والتابعين مع أنها تفسير للقرآن وبيان له، وقد اعتنوا بها كما اعتنوا بالقرآن

[1] تاريخ الفكر الاسلامي ١-٢.

وكان رجوعهم الى القرآن مقدماً على الرجوع الى السنة النبوية على اساس أن القرآن أصلٌ أول والسنة مبينة له مفصلة لما اجمل من أحكام: وما استغنى مسلم، من جيل الصحابة أنفسهم، عن الأخذ بالسنة في العبادات والمعاملات والسلوك.

الباب الأول

البناء الشكلي

الفصل الأول

اثر الاقتباس القرآني

في

النثر الاندلسي

يقسم شهاب الدين الحلي صاحب كتاب (حسن التوسل الى صناعة الترسل) الأخذ من القرآن الكريم على قسمين اقتباس واستشهاد ويعبر عن الاقتباس بقوله : (أن يضمن الكلام شيئاً من القرآن والحديث ولا ينبه عليه للعلم به) ويقول (والاستشهاد بالآيات ان ينبه عليها ..)[١] وسنحاول في هذا المبحث ان لا نحدد الدراسة بالاقتباس والاستشهاد وصولاً الى استجلاء أثر القرآن الكريم في الرسائل بشكل اكثر شمولاً واتساعاً لبيان أسبابه والمواقع التي يستحسن فيها .

أن تأثر النثر بالقرآن الكريم ولا سيما الرسائل منه يعد ميداناً للتفوق والمفاضلة فحاول الكتاب محاكاة الألفاظ والمعاني والأساليب القرآنية لأنها تمثل الانموذج المتكامل للنثر وهذا ما دأب عليه الكتاب بصورة عامة .

وكان لابد لهذا التأثير ان يحدث لان دراسة القرآن الكريم والاحاطة بعلومه تعد من أدوات الكاتب الرئيسة والقاعدة الاولى التي تستند عليها في لغته وبلاغته واسلوبه فعليه ان يلم باكبر قدر ممكن من علومه مثل المكي والمدني واسباب النزول فضلاً عن التفسير ان اقتباس أي نص قرآني يقتضي الحذر والحرص الشديدين ليقع في موقعه الصحيح ويؤدي الغرض من ذكره .

وقد افرد البلاغيون ابواباً مستقلة له بل ان هناك من وضع مؤلفاً خاصاً به كما فعل الثعالبي (ت ٤٢٩هـ) في كتابه الاقتباس من القرآن الكريم .

ويخضع الاقتباس الى تقسيم ثلاثي من حيث القبول او جوازه او عدمه من الوجهة الشرعية اجلالاً لمكانة القرآن الكريم وتعظيماً لاسرار بلاغته وفنون اعجازه الى:[٢]

١- المقبول : ما كان في الخطب والمواعظ والعهود والمدح النبوي .

٢- المباح :- ما كان في الغزل والرسائل والقصص .

([١]) ينظر حسن التوسل الى صناعة التوسل : ٢٢٣-٢٢٥ .

([٢]) ينظر الاتقان : ج١: ١١٢ ، جواهر البلاغة : ٤١٥ ، البلاغة والتطبيق ٤٥٧ اثر القرآن الكريم في الشعر الاندلسي : ٢١ وما بعدها، اثر القرآن الكريم في النثر الاندلسي : ص ٣٢ وما بعدها .

٣- المردود : وهو على ضربين احدهما : ما نسبه الله تعالى الى نفسه والاخر تضمين آية كريمة في معنى هزل او سخف .

وقف الكتاب في الاندلس ولا سيما في العصر المرابطي موقف الحذر المتوجس خشية من السقوط في مخالفة القاعدة الفقهية للمذهب المالكي فلقد(اشتهر عن المذهب المالكي تحريمه وتشديد التنكير على فاعله)[١].

والسبب الذي دعا الكتاب الى الانقياد الى هذا المذهب الفقهي هو :(سيادته للفقه الاسلامي في الاندلس بعد تلاشي المذهب الاوزاعي منها أيام دخول عبدالرحمن الداخل الى هذه الجزيرة وقد تلقى عبد الرحمن بعضاً منه ايام اقامته في المغرب هرباً من العباسيين وكانت المغرب آنذاك تحت سلطة المرابطين الذين تلقفوه لملاءمته اياهم في طبيعتهم التي غلبت عليها البساطة الصحراوية واجلال المرابطين لعلماء أهل المدينة كونهم يمثلون في نظرهم رمز السلام ورسل المحبة والصفاء)[٢]

فما لبثت آراء هذا المذهب ان انتشرت في المغرب اولاً ثم عبرت الى الاندلس وشاع هناك واصبح المذهب الديني السائد فيها)[٣]. فدراسة التأثير اللاسلوبي واللغوي للقرآن الكريم في النصوص النثرية للكتاب في هذه العصور تبين فاعلية الاقتباس القرآني وتبين خصائص القرآن الكريم التي تتجاوز حد الابداع حتى تصل الى الاعجاز.

وقد كان الادباء والكتاب الاندلسيون يكثرون الاقتباس من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف لا سيما في الرسائل بوجه عام والرسائل الديوانية بشكل خاص فلا يجوز ان " يخلو الكتاب من معنى من معاني القرآن الكريم والاخبار النبوية الشريفة فانها معدن الفصاحة والبلاغة)[٤].

([١]) الاتقان ، ج١، ص١١١.

([٢]) الاتقان : ج١ /١١١.

([٣]) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي : ٤/٤٥٥ – ٤٥٦ وما بعدها .

([٤]) الرسائل الديوانية في مملكة غرناطة : ١٥٦ .

(وقد تقوم الآية المستشهد بها في بلوغ الغرض، وتوفية المقاصد، ما لا تقوم به الكتب المطولة)[١].

ويرى أحد الباحثين ان " ظاهرة الاقتباس من القرآن والحديث تكاد تغطي جميع الموضوعات النثرية التي عالجتها رسائل الكتاب ولا يقتصر الامر على الموضوعات الدينية كالمواعظ والزهد والفرائض فهذا مما لابد من اعتماده على القرآن والحديث بحكم موضوعه وغرضه ولكن الأمر يتجاوزه الى الموضوعات الاخرى من الرسائل الاجتماعية والاخوانية والوضعية والديوانية)[٢] ولعل من اسباب وجود هذه الظاهرة في النثر طبيعة تعلم الادباء والكتاب ونشأتهم العلمية الاولى فاكثرهم قد ابتدأ تعلمه بالقرآن الكريم مما رسخ ذلك في نفسه وطبع طريقة تفكيره بطابعه الخاص وهذا ما اشار اليه د. حازم عبد الله خضر اذ يقول (فأكثر الكتاب الاندلسيين كانوا من الفقهاء والعلماء الذين تشدهم الى القرآن اواصر التعلم والتعليم بالاضافة الى اواصر التدين والتعبد)[٣]. وهذا ما ترك بصماته وآثاره الواضحة على الأدب بوجه عام والنثر بوجه خاص وهناك سبب آخر يتمثل بتلك العلاقة الحميمة التي تربط السلاطين برجال الدين والفقهاء وخاصة سلاطين الموحدين وبني الأحمر الذين كانت دعوتهم دينية تقوم على أساس ديني كما ان الصراع القائم بين الأندلسيين ودول الجوار يقوم في أساسه على الدين والعقيدة فهي حرب عسكرية عقيدية وفي هذا الجو المملوء بالصراع الديني كان لابد ان تفرض الصبغة الدينية سلطانها على النثر ولعل في مقدمة كل هذه الاسباب التي أدت الى وجود هذه الخصوصية الإسلامية هو " أثر القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف في نفوس الأندلسيين والأدباء منهم بخاصة اذ هما الأساس الأول والقاعدة الرصينة في ثقافتهم وعلومهم) [٤].

([١]) المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر : ١٢٤/١ .

([٢]) حسن التوسل : ٧٦

([٣]) النثر الاندلسي في عصر الطوائف والمرابطين : ٣٨٣ .

([٤]) النثر الاندلسي في عصر الطوائف والمرابطين : ٣٨٣ .

فالناثر قد يأتي بالآية الكريمة او الحديث النبوي الشريف من اجل تزويق النص وهذا ليس دليلاً على قصور ادائه : المعنى وانما كان ذلك دليلاً على براعته في تعزيز النص واعطائه قوة تأثير أكبر نظراً لما في القرآن الكريم من أثر في النفوس فوجد الادباء والكتاب الأندلسيون في القرآن الكريم كتاباً يدبجون نصوصهم النثرية به فلا نكاد نعثر على رسالة ديوانية مثلاً الا وهي مزوقة بآية قرآنية كريمة يسوقها الناثر لتوضيح الفكرة او لتثبيت المعنى لزيادة التأثير في نفس القارئ.

وقد قسم الدكتور محمد شهاب العاني الاقتباس على قسمين

" اقتباس نصي واقتباس أشاري " [١]

فالاقتباس النصي يعني تضمين الآية الكريمة بنصها الكامل حيث يأتي بها في درج الكلام لتبدو وكأنها جزء منه ملائمة لمقتضى الحال والسياق أما النوع الثاني من الاقتباس فهو الاقتباس الاشاري فيعني " ما أشار اليه الناثر في الايات من غير ان يلتزم بلفظها وتركيبها ، او هو ما كان الناثر فيه يشير الى آية من الايات القرآنية "[٢].

والذي نفهمه من هذا التعريف ان الاقتباس الاشاري يعني اقتباس المعنى من القرآن الكريم بحيث يظهر في النص وكأنه ضمن السياق العام .

فمن الاقتباس الإشاري في النثر قول الكاتب الاديب ابي بكر بن القصيرة [٣] في رسالة كتبها عن أمير المسلمين إلى طائفة يقول فيها : " أما بعد : يا أمة لا تعقل رشدها ولا تجري الى ما تقتضيه نعم الله عندها ولا تقلع عن أذى تفشيه قرباً وبعداً جهدها فانكم لا ترعون لجار ولا لغبرة حرمة ولا ترقبون في مؤمن (الاً ولا ذمة) قد اعماكم عن مصالحكم"[٤].

([١]) أثر القرآن الكريم في الشعر الاندلسي منذ الفتح حتى سقوط الخلافة : ٢٢

([٢]) معجم آيات الاقتباس : ١٩ .

([٣]) محمد بن سليمان المعروف بابن القصيرة اديب وكاتب مشهور عاش في دولة المعتضد ثم اتصل بالمرابطين بعد دخولهم الاندلس واشتهر لدى يوسف بن تاشفين وكان معاصراً للفتح بن خاقان توفي عام ٥٠٨ هـ ينظر المغرب : جـ١،ص ٣٥٠.

([٤]) قلائد العقيان : ١٠٨ .

فقد اقتبس (الاً ولا ذمة) من نص الآية الكريمة (كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلّاً وَلا ذِمَّةً) "[١].

ومن هذا النوع الاشاري رسالة لأبي القاسم بن الجد[٢] في صفة مطر بعد قحط " لله تعالى في عباده اسرار لا تدركها الافكار واحكام لا تنالها الأوهام تختلف والعدل متفق والفضل مجتمع " متسق" ففي منحها نفائس المأمول وفي منحها مدارس العقول وفي اثناء فؤائدها حدائق الانغام رائعة بين أرجاء شرائدها . برائق الاعذار والانذار خافقة وربما تفتحت كمائم النوائب . لما حل البأس إلى الرخاء ذلك (تدبير اللطيف الخبير)[٣] وتقدير العزيز القدير "[٤]

وهذا الوزير الكاتب أبو بكر بن سعيد البطليوسي [٥] يخاطب في رسالة له أبا الحسن بن سراج* يقول فيها " ادام الله عزك ..لساعدت اليك نزاعي وانقدت في حبل شوقي واطلاعي ولاستبطأت السلاهب* واستعجبت الجرد اليعابيب واتخذت المجرة سبيلاً

([١]) سورة التوبة ، آية : ٨

([٢]) ابو قاسم محمد بن عبد الله بن الجد (٠٠٠ ، ٥١٥هـ) أديب كاتب مشهور في عصري الطوائف والمرابطين صار مفتياً في ليلة ثم سكن اشبيلية وتقلد وزارة الراضي بن المعتمد ثم اشتهر في عصر المرابطين وكان كاتبهم – ينظر الذخيرة : ق ٢ ، ص ١٧٤–٢٠٠ .

([٣]) اشارة الى قوله تعالى (وهو اللطيف الخبير). سورة : الانعام / آية :١٠٣.

([٤]) الذخيرة : ق ٢ : ص : ١٧٧

([٥]) هو الوزير الكاتب ابو بكر عبدالعزيز بن سعيد البطليوس عرف بابن القبطورنة وهو أحد ثلاثة اخوه يعرفون ببني القبطورنه وكان ابو بكر من اجله الادباء ورؤسائهم كاتباً مترسلاً اديباً كتب للمتوكل بن الافطس وكتب لبني – تاشفين توفي بعد سنة ٥٢٠ ، ينظر تاريخ الادب العربي: ٥ : ١٢٢.

* هو أبو الحسن سراج بن أبي مروان بن سراج أسمه وافق مسماه ولفظٌ طابق معناه فإنه سراج علمٍ وأدب وبحر لغة ولسان العرب وإليه في وقتنا بحضرة قرطبة تشد الاقتاب وتنضى الركاب وأثني على نظمه ونثره توفي سنة ٥٠٨ هـ ، ينظر المغرب الجزء الأول ، ص١١٦.

* سلهب السهلب الطويل عامة وقيل هو الطويل من الرجال وقيل هو الطويل من الخيل لسان العرب مادة سهلب ج٢، ١٩٦.

وسهيلاً دليلاً .. وجذبت بالفرقدين وحملت من آمالي فيها (من كل زوجين اثنين) [١] واعتصمت بالقوة والحول وتخلفت (كل من سبق عليه القول) [٢] واستعذت من شيطان الكل وهو رجيم وقلت (بسم الله مجراها ومرساها " ان ربي لغفور رحيم) حتى أحط في واديك واعرض نسخة مذاهبي في ناديك "[٣] يشير الى الآية الكريمة " بسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم "[٤].

وكذلك قول الفتح بن خاقان [٥] في ظهير له وهو يصف المعين صاحب الشرطة وهذا نصه " كتاب تأكيد واعتناء وتقليد ذي منة وعناء امر بانقاذه فلان ايده الله لفلان ابن فلان صانه الله ليتقدم لولاية المدينة بفلانه وجهاتها ويصرح بما تكاشف من العدوان في جنباتها ، تنزيهاً اخطاه بفلانه وكساه رايف ملائه ويتقن ايده الله انه مستحق لما والاه مستقل بمن تولاه لا يعتريه الكسل ولا يثنيه عن امضاء الصوارم والأسل ...وامره ان يراقب الله تعالى في اوامره ونواهيه وليعلم انه زاجره في الجور وناهيه، وسائله عما حكم به قضاءه وانقذه وامضاه يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله فليتقدم لذلك بحزم ولا يحمد توقده .. ويتذكر وعداً ينجز منه ووعيداً يوم يجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه أمداً بعيداً والأمير أيده الله وولي له ما عدل وأقسط "[٦]

وهنا اقتباس قرآني نصي من قوله تعالى "يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ [٧]، وكذلك يشير الى الآية القرآنية "يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً"[١].

([١]) اقتباس اشاري من قوله تعالى (قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين) سورة:هود / آية:٤٠.

([٢]) اقتباس اشاري من قوله تعالى (الا من سبق عليه القول) سورة:الرعد / آية:٣ .

([٣]) احكام صنعة الكلام في فنون النثر : ١٤٠-١٤١.

([٤]) اقتباس اشاري من سورة:هود / آية:٤١.

([٥]) هو ابو نصر الفتح محمد بن عبدالله القيسي ويعرف بابن خاقان كانت حياته اضطراباً وفوضى وقد وجد مقتولاً في فندق في احد دروب مراكش عام ٥٢٩هـ ، ينظر المغرب جـ ٢ ، ص ١٠٨ .

([٦]) الاحاطة ، جـ ٤ : ٢٥١ -٢٥٣ .

([٧]) سورة الانفطار : آية ١٩ .

ويكثر الاقتباس عند ابن أبي الخصال[٢] يقول في رسالة له " يشكر الله فيها على نزول الغيث :-

((... ونعوذ من سخطه برضاه، ونستغفره من ذنوبنا : (وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ)[٣]))[٤].

وقوله في الرسالة نفسها : " .... فلو افتتحت الظهور، والبطون ونطقت السهول والحزون ، لقالت : قتل الخراصون الذين هم في غمرة ساهون "[٥]، وقوله فيها أيضاً : ((.... اللهم أنك تقضي ولا يقضى عليك، وتقرأ : " أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً "[٦].

وقوله في رسالة سياسية يخاطب بها جند بلنسية حين تخاذلوا : (وقد فرض الله الواحد منكم بالأثنين، فقال : (فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ)[٧].

وله من الاقتباس في رسالته التي خاطب بها ابا الحسين بن سراج : " من يسر منه –أيده الله– للحسنى وفاز من لقائه بالخط الأسنى فله ما تمنى، (صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ)[١] (إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)[٢])[٣].

([١]) سورة آل عمران : آية ٣٠ .

([٢]) هو ابو عبدالله محمد بن مسعود بن طيب بن فرج بن ابي الخصال بن خلصة الغافقي ابو عبدالله (٤٦٥-٥٤٠هـ) اديب اشتهر امره بالكتابة عاصر الطوائف والمرابطين وكتب للأمراء المشهورين ولقب بذي الوزارتين مات بقرطبة ٥٤٠هـ ينظر قلائد العقيان ص ١٨-١٨٨.

[٣] سورة : آل عمران ، آية ١٣٥.

[٤] صبح الأعشى، ج١٤، ٢٩٩.

[٥] سورة الذاريات، آية ١٠-١١.

[٦] سورة الحج، آية ٦٣.

[٧] م. ن، ١١٦، سورة الأنفال، آية : ٦٦.

وكذلك كثرت اقتباساته في رسائله الزرزورية اذ قال في واحدة منها:(الحمد لله مسخر الأوقات، ومقدر الأقوات، تكفل بالرزق، (فلا تقتلوا أولادكم من أملاق)[٤] فوعده مأتي، وأمره حتمٌ مقضي، (والذي قدر فهدى)[٥].

وظهر الاقتباس النصي في المقامات كقول ابن الخطيب في مقامه خطرة الطيف : (لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ)[٦] وحسن منظره الذي يشفي من الكمد)[٧].

وكذلك عند الوادي أشي* في مقاماته التي مدح بها القائد ابن ميمون يقول فيها : ((وسُل سيف البرق من غمده، وسبح الرعد (إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ)[٨]))[٩].

فالقائد يجب أن يكون من (الذين يبادرون من الفضل الى السبيل الأحمد الأشكر (وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ)[١٠])[١١].

ثم بعد ذلك يتحدث عن غزوة (زماتة) فيقول : ((ونسي طيب لذة الوسن وأنساها (وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا)[١]))[٢].

---

(١) اقتباس اشاري من سورة فصلت، آية : ٣٥ .

(٢) اقتباس نصي من سورة الشعراء ، آية : ٨٩ .

(٣) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة :٨٥ .

(٤) الآية هي : (لا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ)(الأنعام: من الآية١٥١)

(٥) سورة : الأعلى، آية : ٣.

(٦) سورة البلد، آية ١.

(٧) ريحانة الكتاب: ٢٥٢/٢.

* هو محمد بن أحمد بن الحداد الوادي آشي يكنى أبا عبد الله ، شاعر مفلق وأديب شهير مشار إليه في التعاليم، منقطع القرين منها في الموسيقى مضطلع بفك المعمى سكن المرية واشتهر بمدح رؤسائها من بني صمادح، قال عنه ابن بسام: كان أبو عبد الله هذا شمس ظهيرة وبحر خبر وسيرة وديوان تعاليم مشهورة ينظر المغرب الجزء الثاني، ص١١٧.

(٨) سورة الاسراء، آية ٤٤.

(٩) رسائل أندلسية : ٨٧.

(١٠) (آل عمران: من الآية١٠٤)

(١١) رسائل أندلسية : ٨٩.

ثم يصف انتصاره : ((ويد النصر تقضي على الشرك بالتدمير والهلك ، ولسان الحق يتلو (تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ)[٣]))[٤].

وكان الأعداء يخافون منه فما أن وصلهم حتى ((علا نحيبهم وصياحهم، ونزل بساحتهم فساء صباحهم فأوقفهم الله الموقف الصعب (وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ)[٥]))[٦].

أما في الرحلات فقد ظهر الاقتباس من القرآن الكريم في رحلة البلوي* بكثرة فيقول واصفاً أحد المسالك التي سار فيها: (فدخلنا في أمرٍ وطريق غير مستقيم (عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ)[٧])[٨].

ثم يصف جمال واد وبحر في بجابة فيقول : ((وقد مرجها الله بحرين يلتقيان (بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لا يَبْغِيَانِ)[٩]))[١٠].

ثم يصف مكاناً قريباً من القسطنطينية نزلوا فيه فيقول : ((ومكان مكين و(رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ)[١])) [٢]، ويدور تضمين الآيات القرآنية في رحلة البلوي بكثرة [٣].

---

(١) اقتباس نصي من سورة هود، آية ٤١.

(٢) رسائل أندلسية : ٩٠.

(٣) سورة الملك: آية ١.

(٤) رسائل أندلسية : ٩٠.

(٥) سورة الأحزاب، آية ٢٦.

(٦) رسائل أندلسية : ٩١.

* لم أعثر له على ترجمة.

(٧) (الأنعام: من الآية١٥)

(٨) تاج المفرق : ١٥٢/١.

(٩) سورة الرحمن، آية ٢٠.

(١٠) تاج المفرق، ١/ ١٥٣.

ويستعين ابن الخطيب بالقرآن الكريم في رحلته حين يصف بلدة قريبة من وادي آشي: ((سلب الأعياد احتفالها وسلبها حسنها وجمالها نادى بأهل المدينة (مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَة)[٤]))[٥].

ثم يصف أحد القضاة : ((فإن همت ديمتك وكرمت شيمتك فـ(لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى)[٦]))[٧]وغير ذلك من الاقتباسات[٨].

أما رحلته الثانية إلى بلاد المغرب فقد وردت فيها أيضاً اقتباسات قرآنية ، فمثلاً يترحم على أحد الملوك الراحلين قائلاً: ((ذلك الملك الحلاحل في الخطب الذي عوضه من نضرة النعيم ووجوه الغرانقة الغر والتوكؤ على (النمارق المصفوفة والزرابي المبثوثة))[٩] في المتبوأ الكريم))[١٠].

ثم يستمر بالاستعانة بالقرآن الكريم ليزيد كلامه جمالاً وحلاوةً[١١].

---

(١) سورة المؤمنون آية : ٥٠.

(٢) تاج المفرق : ١/ ١٦٠.

(٣) ينظر تاج المفرق: ٢١٧/١، ١٩٧، ١١/٢، ١٤، ١٦، ٣٥، ٤٤، ٨٢، ١٤٧.

(٤) سورة طه، آية ٥٩.

(٥) مشاهدات لسان الدين : ٢٨.

(٦) سورة : يونس، آية ١٦.

(٧) مشاهدات لسان الدين: ٢٣٧.

(٨) ينظر ، مشاهدات لسان الدين : ٣٢، ٣٦، ٤٠، ٤١، ٥٢.

(٩) إشارة الى قوله تعالى (وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ * وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ (سورة الغاشية:آية ١٥-١٦).

(١٠) مشاهدات لسان الدين : ١٢٥.

(١١) ينظر مشاهدات لسان الدين : ١٤٦، ١٤٥.

وكذلك ظهر الاقتباس النصي عند ابن جبير قال في وصفه مدينة دمشق: ((قد سئمت أرضها كثرة الماء حتى اشتاقت إلى الظمأ فتكاد تناديك بها الصم الصلاب : " ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ "[١]))[٢].

ثم يصف مدينة عكا : ((هي قاعدة مدن الإفرنج بالشام ومحط (الجواري المنشآت في البحر كالأعلام)[٣]))[٤].

أما ابن العربي (٥٤٢) فإن اقتباساته قليلة منها ما قاله حين خروجه من بلده: (فخرجنا مكرمين أو قل مكرهين، آمنين وإن شئت خائفين وفررت منهم لما خفتهم فوهب لي ربي حكماً وجعلني من العالمين)[٥].

ومن الرحلة ننتقل إلى القصة وفي قصة حي بن يقظان لابن طفيل (٥٨١) قد وردت فيها اقتباسات نصية كثيرة منها قوله :-

((فإذا كانت هذه المرآة مقعرة، على وجه مخصوص حدثت فيها النار لإفراط الضياء، وكذلك (الروح الذي هو من أمر)[٦] الله تعالى))[٧].

وقوله : ((وفي محكم التنزيل : فلم تقتلوهم ، (ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ، ولكن الله رمى)[١]))[٢].

---

(١) سورة / ص، آية ٤٢.

(٢) رحلة ابن جبير ٢١٠.

(٣) سورة الرحمن ، آية ٢٤.

(٤) رحلة ابن جبير: ٢٤٩.

(٥) مع القاضي ابن العربي في رحلته : ١٩٣، وهنا اقتباس اشاري من قوله تعالى :(فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ) (الشعراء:٢١) .

(٦) اقتباس اشاري من قوله تعالى (يسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي) سورة الإسراء ، آية ٨٥.

(٧) حي بن يقظان/ ٢٩، ٣٠.

ثم يصف فاعل العالم فيقول عنه هو ليس بجسم ولا يمكن تخيله ((وأول صفات الاجسام هو الامتداد في الطول والعرض والعمق، وهو منزه عن ذلك ، وعن جميع ما يتبع هذا الوصف من صفات الأجسام وإذا كان فاعلاً للعالم فهو لا محالة قادر عليه وعالم به ((ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير)[٣]))[٤].

وقوله : (فكذلك العالم كله معلول ومخلوق لهذا الفاعل بغير زمان (فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)[٥]))[٦].

((وتحققت عنده أن ذلك لا يصدر إلا عن فاعل مختار في غاية الكمال وفوق الكمال (لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الْأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ)[٧]))[٨].

ثم تأمل في جميع أصناف الحيوان كيف (أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى)[٩] لاستعماله فلولا هداه لاستعمال تلك الأعضاء التي خلقت له وجوه المنافع المقصودة بها))[١٠].

---

(١) اقتباس اشاري من سورة الأنفال، آية ٧.

(٢) حي بن يقظان: ٥٦.

(٣) سورة : الملك آية ١٤.

(٤) حي بن يقظان : ٦١.

(٥) سورة : البقرة ، آية ١١٧.

(٦) حي بن يقظان : ٦٣.

(٧) سورة سبأ: آية ٣.

(٨) حي بن يقظان: ٦٣.

(٩) سورة طه، آية ٥٠.

(١٠) حي بن يقظان: ٦٤.

((فهو الوجود، وهو الكمال وهو التمام، وهو الحسن، وهو البهاء، وهو القدرة، وهو العلم، وهو ، (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الحُكمُ وإليهِ تُرجَعُونَ)[1]))[2].

((وهو يقول بقوله الذي ليس معنى زائداً على ذاته :(ِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ)[3] ففهم كلامه وسمع نداءه))[4].

((فليسد عنه سمعه من لا يعرف سوى المحسوسات وكلياتها وليرجع الى فريقه الذين (يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ)[5]))[6]. وفي النص الذي يعرض فيه حي على اسال أمره نجد اقتباساً قرآنياً منها قوله :(وعند ذلك نظر إلى حي بن يقظان بعين التعظيم والتوقير وتحقق عنده انه من أولياء الله (أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ)[7]))[8].

ثم ((تصفح طبقات الناس بعد ذلك (كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ)[9](قد اتخذو الههم هواهم)[10]، ومعبودهم شهواتهم وتهالكوا في جمع حطام الدنيا، (أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ)[11]. ((كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ))[12]، (خَتَمَ اللَّهُ عَلَى

---

(1) (القصص: من الآية٨٨).

(2) حي بن يقظان: ٦٤.

(3) (غافر: من الآية١٦).

(4) حي بن يقظان: ٨٠.

(5) (الروم:الآية ٧).

(6) حي بن يقظان :٨٣.

(7) (يونس:٦٢).

(8) حي بن يقظان : ٩٣.

(9) سورة المؤمنون ، آية ٥٥. ، سورة الروم، آية ٣١.

(10) اقتباس اشاري من قوله تعالى (اتخذ الهه هواه)،سورة الفرقان / آية:٤٣ ، سورة الجاثية / آية:٢٣.

(11) (التكاثر:١-٢).

(12) سورة المطففين، آية ١٤.

قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)[١]، فلما رأى سرادق العذاب قد أحاطت بهم وظلمات الحجب قد تغشتهم والكل منهم – إلا اليسير– لا يتمسكون من ملتهم الا بالدنيا (وقد نبذوا أعمالهم على خفتها وسهولتها وراء ظهورهم ، (وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً)[٢] وألهاهم عن ذكر الله تعالى التجارة والبيع ولم (يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ)[٣] له وتحقق على القطع ... وإنه لا يفوز منهم بالسعادة الأخروية إلا الشاذ النادر وهو (وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ)[٤] (فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى))[٥].... وهي كلها (أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ)[٦]، ((وأن منكم الا واردها كان على ربك حتماً مقضياً))[٧]))[٨].

والنص السابق حافل بالاقتباسات القرآنية الكثيرة ثم يفهم حي أحوال الناس وأن أكثرهم بمنزلة الحيوان غير الناطق فيقول : ((ولكل عملٍ رجال وكل ميسر لما خلق له سنة الله في الذين خلوا من قبل ، ولن تجد لسنة الله تبديلاً)[٩]))[١٠].

((فازت بالأمن، وكانت من أصحاب اليمين، وأما (السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ* أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ)[١١]))[١٢].

---

(١) سورة البقرة، آية ٧.

(٢) سورة آل عمران ، آية ١٨٧.

(٣) سورة النور، الآية ٣٧.

(٤) سورة الإسراء : الآية ١٩.

(٥) سورة النازعات، آية : ٣٧–٣٩.

(٦) سورة النور، الآية ٤٠.

(٧) سورة مريم ، آية ٧٢.

(٨) حي بن يقظان : ٩٦.

(٩) اشارة الى قوله تعالى (سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً) سورة الفتح، آية ٢٣.

(١٠) حي بن يقظان: ٩٧.

(١١) سورة الواقعة ، آية ١٠–١١.

(١٢) حي بن يقظان: ٩٧.

وكذلك له رسالة كتبها عن علي بن يوسف بن تاشفين الى حامية المرابطين يلومهم فيها على تعودهم عن لقاء النصارى وانهزامهم أمامهم " من امير الملثمين وناصر الدين، اما بعد، يافرقة خبثت سرايرها، وانتكثت مرايرها، وطائفة انتفخ سحرها، وغاص على حين مدة بحرها ، فقد آن للنعم ان تفارقكم ، وللاقدام ان تطأ مفارقكم ، حين ركبتموها جلواء عارية، واصبحتم في ادراع عارها امثالاً سواسية واختلط المرعى منكم بالهمل فما يتبين الانقص من الاكمل، فطأطأتهم لها رؤوس عشايركم وقضيتم على سايركم ، لاجرم ان قد صرتم سحر الندى ، والاحاديث المعلنة بالغداة والعشي بما خامركم من الجبن والخوف واستهواكم من لقاء عدوكم ... وتتخذونكم وراءكم ظهرياً [١] فقد اقتبسه من قوله تعالى:

" قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيّاً "[٢] .

ومن كتّاب الاندلس المشهورين ابن عطيه الكاتب [٣] فقد كثر الاقتباس عنده من آيات القرآن الكريم منها قوله في رسالة له: " من امير المؤمنين – ايده الله – بنصره وأمده بمعونته – الى الطلبة الذين بسبته وجميع من فيها من الموحدين خاصة وعامة – وفقهم الله وسددهم – سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. فبادروا – رحمكم الله – الى طاعة الله تعالى في العلانية والنجوى شدوا أيديكم على هذا الحبل الا متن الاقوى ، واعلموا إنكم راحلون (فتزودوا فان خير الزاد التقوى) وحافظوا اصلحكم الله على خلاص النيات والتزام الصلوات "[٤] اذ اقتبس الكاتب من قوله تعالى "وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى" [٥].

([١]) المغرب : جـ٢،ص ٦٨ .

([٢]) سورة : آية ؟

([٣]) هو احمد بنم ابي جعفر بن محمد ولد بمراكش سنة ٥١٧هـ نشأ في كنف ابيه الكاتب الذي اشتغل في خدمة علي بن يوسف وابنه تاشفين وقد نبغ في الكتابة والانشاء منذ فترة مبكرة وقد توفي وهو لم يتجاوز السادسة والثلاثين أي في عام ٥٥٣هـ ينظر الحلة السيراء : ٢٣٧/٢ .

([٤]) مجموع رسائل موحديه : ٣

([٥]) سورة البقرة : ١٩٧ .

ويقول في موضع اخر له في رسالة من إنشاء الكاتب " من امير المؤمنين– ايده الله بنصره وأمده بمعونته – إلى الطلبة الذين بسبته والاشياخ والاعيان والكافة – بها – وفقهم الله واعانهم على شكر نعماه – سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... واتى البيان على ذكر هذا الامر العظيم شرحاً وتفصيلاً وجمعت سوابقه ولواحقه في معرض التموين جمعاً وتحصيلاً ووصل القول في تنزيل الأشياء منازلها توصيلا.. حصحص الحق الذي لا يرفع وظهرت الأصول التي يبنى عليها ويرفع " [١] فان جملة (حصحص الحق) مقتبسة من قوله تعالى في سورة يوسف " قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَق[٢] ومن خلال رسائله نقف على اقتباساته النصية من آيات القرآن الكريم ففي رسالة الفصول يقول فيها " والشقي من اتى سليماً باكتساب الكبائر ملوماً (وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْماً فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً) "[٣] والله سبحانه يهب الرحمة للمسترحمين، ويحب الرفق، ويجد به كنفه الأمين وفي الحض على ذلك يقول " وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ "[٤] وفي موضع آخر من الرسالة يقول (يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ)[٥] " [٦].

اما القاضي عياض [٧] فقد اقتبس نصوصاً قرآنية في رسالته التي وجهها إلى الفتح بن خاقان يقول فيها :–

" من علمك سدد الله علا حكمك، ما جمعه فلان من حلائل تشذ عن الحصر ، وفضائل يعرف له بها نبهاء العصر .. ان نظم فعبيد او لبيد ، او نثر قعيد الحميد او

([١]) مجموع رسائل موحديه : ١٦٩ .

([٢]) سورة يوسف : اية ٥١.

[٣] سورة النساء : آية ١١١.

([٤]) سورة الشعراء آية ٢١٥.

[٥] سورة البقرة : آية ٩.

([٦]) نظم الجمان، ص١٥٤ .

([٧]) هو محمد بن عياض بن محمد بن عياض بن موسى اليحصبي ولد عام ٥٨٤هـ من اهل سبتة وقد كان من عدول القضاة وجلة سراتم وأهل النزاهة منهم محياً للعلم وأهله وقد توفي بغرناطة ٦٥٤هـ ينظر الاحاطة ٢٢٦/٢ .

ابن العميد ... فشجرة سيادة اصلها ثابت وفرعها في السماء او ذاكر مبحر لمعارف لا تكدره الدلاء "[١]

اشارة الى قوله تعالى " أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ" [٢].

ولابن عميرة المخزومي[٣] اقتباس اشاري من القرآن الكريم في بيعة* له ونجده يفتتح هذه البيعة بتحميد طويل يلتزم في سجعته في حرف الراء فلنستمع اليه يقول : الحمد لله الذي (جعل الارض قراراً) [٤] وارسل السماء مدراراً وسخر ليلاً ونهاراً وقدر آجالاً واعماراً و(خلق الخلق اطوارا) [٥] وجعل لهم ارادة واختياراً "[٦] اذ اقتبس من قوله تعالى " الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدراراً [٧] ثم ينصرف الكاتب إلى ذكر القائمين بهذه البيعة والتصريح بعصا الايمان الغليظة التي احاطوا بها اعناقهم وهنا يبرز ذكاء ابن عميرة، في اقتباس ما يناسب المقام ويقتضيه الكلام من الآيات الكريمة والمعاني القرانية مما نثره بين سطور هذا المقطع محققاً بذلك أعلى درجات التأثير الروحي .. فلنصغ إليه وهو يقول : " وعاهدوا عليها (أي البيعة) (الذي يعلم السر واخفى)[٨] واضمروا منها على ما

([١]) قلائد العقيان : ٢٥٦.

([٢]) سورة ابراهيم: آية ٢٤ .

([٣]) هو ابو المطرف احمد بن عبد الله بن الحسين بن عميرة المخزومي المعروف بابن عميرة وهو بلنسي الأصل اشتهر امره في الكتابة وخاصة كتابة الرسائل فقد مال الى الادب اذ عد من كبار مجيدي النظم ، ينظر الاحاطة : ١٧٤ وقد توفي عام ٦٥٨هـ ، ينظر المغرب في حلى المغرب ج٣٦٣/٢.

* البيعات، جمع بيعة وهي مصدر بايع فلان الخليفة يبايعه مبايعة ومعناها المعاقدة والمعاهدة ، وهي مشبهة بالبيع الحقيقي ، ينظر صبح الأعشى ، ج٩/ ٢٨١.

([٤]) اقتباس اشاري لقوله تعالى (جعل لكم الارض قراراً) سورة غافر /آية:٦٤.

([٥]) اقتباس اشاري من قوله تعالى (وقد خلقكم اطواراً) سورة نوح/ آية:١٤.

([٦]) الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة:٣٥ .

([٧]) سورة التوبة ، اية : ٢٥

([٨]) سورة طه، آية ٧.

امر على الظاهر واوفي وتقبلوا من الوفاء به ما وصف الله به خليله اذ قال (وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى)[1] واشهدوا الله على انفسهم وكفى بذلك اعتراضاً والتزاماً لما امر به واحكاماً (فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ)[2] و(وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً)[3])[4].

ومن نماذجه ايضا ما جاء في رسالته التي يمدح فيها الادبيين ابا الحسن الرعيني* ، وابا عبد الله بن الجنان* في قوله :

" فهنيئاً لهذين العلمين صناعةً بيانية ، وبضاعة نيسانية ، وتناول لفنون الاتقان ، وتنقل بين الاقناع والبرهان (ان هذان لساحران) نزها منصبهما عن الدنس وزينا بمحاسنهما جانبي الاندلس "[5].

فالاقتباس في قوله " ان هذان لساحران "[6] اقتبسه الكاتب من قصة موسى (عليه السلام) مع سحرة فرعون .

ويظهر الاقتباس من القرآن الكريم في نثر ابو عبد الله [7] في رسالة له الى الشيخ الوطاسي سلطان فاس التي يقول فيها : (اما بعد حمداً لله الذي لا يحمد على السراء والضراء سواه والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا الذي اولانا من النعم ما اولانا فاقول ما قاله ابو يوسف (فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ)[8] على اني لا أنكر

([1]) سورة النجم ، اية ٣٧.

([2]) سورة الفتح ، آية ١٠.

([3]) سورة الفرقان، آية ٦٨.

([4]) صبح الأعشى، ج١٤/١٧.

* هو أبو الحسن مختار بن عبد الرحمن بن سهر الرعيني قاضي المرية وعالمها ورئيسها في الأمور الشرعية وحاكمها قدمه عليها زهير العامري كان جامعاً لفنون العلم والمعرفة واستقضى بالمرية وأحسن السيرة توفي ٤٣٥ ، ينظر المغرب في حلى المغرب ج٢/ ٢٠٧.

* تنظر ترجمته في ص ٧٣ من الرسالة.

([5]) الذيل والتكملة، السفر الخامس، القسم الاول / ٣٥٠ .

([6]) سورة طه ، آية : ٦٣.

([7]) هو محمد اسماعيل المكنى بابي عبدالله حكم من سنة ٧٢٥-٧٣٣هـ وقد فتك به جنده اثر معركة حامية بين الاسبان والاندلسيين في جيل الفتح جبل طارق ينظر اللمحة البدرية : ٩٦-٩٧.

([8]) يوسف: من الآية١٨.

عيوبي فحتى الان لم نفقد من اللطيف تعالى لطفاً ولا عمدنا ادوات ادعية تعطف بلا مهلة على حملتنا المقطوعة حبل النعم الموصوفة عطفاً والا فتلك بعد اذ دار السلام قد امتلأت بالجيوش ونزلت وتحيف جوانبها الحيف ودخلها كفار التتار عنوةً بالسيف وجرت الدماء في الشوارع والطرق كالأنهار والاودية فطاح عاصمها ومستعصمها ... ولم تلبس غير لباس نعمائكم حين جعلنا ما البسنا الملك والاثواب .. ووجه الله تعالى يبقى وكل من عليها فان)[١] وهذه رسالة من ابي عبد الله* آخر ملوك غرناطة الى سلطان فاس فيها مجموعة من العظات وهي قريبة من الوعظ والارشاد الديني يعرض فيها حاله ويبدو لي انه يتحدث عن حالة فردية وانه يذكر بغداد العزيزة عاصمة الاسلام وانها محفوفة بالفرسان وكيف داهمها التتار وانزلوا بها الدمار واقتادوا العالم وفي الرسالة اقتباسات نصية كثيرة منها قوله " فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون "[٢] وكذلك اقتباس اشاري في قوله " كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام "[٣] ولابن الخطيب[٤] اقتباس نصي كثير في موضوعات مختلفة من نثره كقوله في رسالة كتبها عن سلطانه يوسف الأول إلى أبي عنان فارس يشكره على هديته : " ويا لها من هدية اتخذ الناس يومها عيداً ، وموسماً سعيداً وعزم رآه العدو قريباً ، وكان يحسبه بعيداً "[٥] وقد اقتبسه من قوله تعالى " إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً* وَنَرَاهُ قَرِيباً) (المعارج:٧) [٦] وقد يأتي بالاقتباس الاشاري من اجل توضيح حقيقة كقوله "

([١]) نفح الطيب ٤ : ٥٣٥ والاقتباس القراني واضح من قوله (وكل من عليها فان) سورة الرحمن، آية ٢٦.

* هو أبو عبد الله بن عباس بن أحمد المالقي قاضي غرناطة ، كان فقيهاً بارع الأدب لا يعلم سبب وفاته، ينظر نفح الطيب مج٦/ ٤٣.

([٢]) سورة يوسف : آية ١٢-١٧ .

([٣]) سورة الرحمن : آية ٢٦-٢٧ .

([٤]) هو لسان الدين ابو عبد الله محمد بن عبدالله بن سعيد الساماني كانت ولادته عام ٧١٣هـ وتوفي عام ٧٧٦هـ خنقاً ينظر الاحاطة : ١ : ١٧-٧١.

([٥]) كناسه الدكان ١٥٠-١٥٢.

([٦]) سورة المعارج : ٦ -٧.

اتعويلاً على عفوه – سبحانه وتعالى – مع المقاطعة وهو القائل (ان عذابي لشديد)[١] أأمن من مكره مع المنابذ، (لا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون)[٢][٣]

ونجده قد يعمد الى اقتباس عدة آيات متوالية من اجل تكثيف المعنى كقوله " وخاطب الخلايق على لسانه الصادق (عليه السلام) بحجتي الوعد والوعيد ، وكان مما أوحى به اليه ... ليأخذ بالحجر والأطواق من العذاب الشديد ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه، ونحن اقرب اليه من حبل الوريد اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قولٍ الا لديه رقيب عتيد وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد " [٤][٥] وقد يأتي ابن الخطيب بالاقتباس النصي في غرض التهنئة كقوله حين استولى سلطان المغرب ابو سالم ابراهيم على تلمسان : " فلما وردت الاخبار بما منحكم الله من الفتوحات التي ابلغت البلاد والعباد أملها ووفرت سرورها وجذلها – وما يفتح الله من رحمة فلا ممسك لها) [٦] خاطبنا كم نهنيكم بما وهب الله ومنح "[٧] وقد يأتي بالآية القرآنية وفيها من القصص القرآني مع ما يتوافق مع غرضه منه مثل وصف اصحاب راوية مقامة " قطع الغلاة " حيث قال فيهم :" بين يديه عتاق قود وعبيد (وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظاً وَهُمْ رُقُودٌ)[٨] ومن الاقتباس النصي قوله في خطبته التي اعلم فيها بفتح الناس مدينة أطريرة يصف فيها كيفية استيلائهم على النصارى : " ايها الناس أبشركم بما كتبه سلطانكم السعيد (

([١]) سورة ابراهيم آية ٧ .

([٢]) سورة الاعراف آية ٩٩

([٣]) ريحانة الكتاب ٢ : ٤٣٨ .

([٤]) سورة ق الآيات ١٦–٢٢

([٥]) ريحانة الكتاب ٢ : ٤٣٨ .

([٦]) سورة فاطر : اية ٢

([٧]) نفاضة الجراب ق ٢ : ٢٢٧ .

([٨]) سورة الكهف : اية ١٨

اليكم) وإن الله فتح لـه الفتح المبين .. واظفره بأطريرة .. فصدق الله لاوليائـه (وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ) [١] [٢] .

اما اسماعيل بن الاحمر * فقد كان يستشهد بالايات من القران الكريم ولكنه لا يكثر منه اكثاراً يجعله ظاهرة بارزة فقد جاء في نثير فرائد الجمان : "وحمام معرفتي بالفريقين قال لي بالحق صدحت، ولسان الانصاف ليس بمليم اذ قال الله تعالى (وفوق كل ذي علم عليم) والشعراء كثيرون هم لارباح الكلام مثيرون "[٣] اذ اقتبس من قوله تعالى " وفوق كل ذي علم عليم "[٤]

وقد شاعت ظاهرة الاقتباس النصي عند ابي فارس الفشتالي [٥] فمن ذلك قوله : " فيا ما اطيبهم اما واكرمهم اباً اصحاب الكساء وليس الا بهم الانتساب ، والمعنيون بقوله تعالى : " قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى" [٦] فمن اسعده الله بمودتهم منحه في حضرة قدسه ومقام انسه حدائق غلبا "[٧] .

فمن الاقتباس الاشاري قول الكاتب ابن ابي الخصال : " وغريق من الظلماء في بحر لجي"[٨] حيث اقتبس الكاتب جزءاً من الكلام من قوله تعالى " او كظلمات في بحر

([١]) سورة هود : اية ١٠٢.

([٢]) ريحانة الكتاب ٢ : ٦٣.

* هو أبو الوليد اسماعيل أبن يوسف النصري المعروف بأبن الأحمر وهو من سلالة بني الأحمر ملوك غرناطة خدم في بلاط بني مرين ملوك المغرب وتوفي بفاس سنة ٨٠٧ ، ينظر أزهار الرياض ج١/ ١٨٩.

([٣]) نثير الجمان ٢٥/ظ

([٤]) سورة يوسف: آية ٧٦.

([٥]) هو ابو فارس عبدالعزيز بن محمد الفشتالي شخصية سياسية كبيرة وله يد طولى في النثر كلغة السلطان ابو العباس المنصور السعدي بتدوين اخبار الدولة السعدية فألف بهم كتاب مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء) لم يصل الينا الا مختصر الجزء الثاني وله كتاب في التوشيح سماه " مدد التوشيح " جعله ذيلاً لكتاب لسان الدين (جيش التوشيح ، لم يصل الينا بعد توفي ابو فارس عام ١٠٣١هـ وكان مولده عام ٩٥٢هـ او ٩٥٦هـ على اختلاف الروايات . ينظر خلاصة الاثر ٢: ٤٢٥ .

([٦]) سورة الشورى : اية ٢٣.

([٧]) رسائل سعديه : ٢٠

([٨]) رسائل أندلسية : ص ٤٥١.

لجي"[١] وكذلك ما ذكره في احد نصوصه " والقاها بساحلك المؤمل يم"[٢] فقد اقتبس هذا المعنى من قوله سبحانه ") فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ "[٣] .

ومن الاقتباس الاشاري قول ابي المطرف ابن الدباغ* في فصل رسالة من تعزية : (من أي الثنايا طلعت النوائب واي حس رتعت فيه المصائب فواها لحشاشة الفضل ارصدها الردى عوائله وبقية الكرم جر عليها الدهر كلا كله وياحسرتا للجة المواجب كيف سجرت ولشمس المعاني كيف كورت "[٤] اذ اقتبسه من قوله تعالى " إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ "[٥]

ونجد له ايضاً اقتباساً اشارياً اذ يقول : " طلع علينا هذا اليوم فكاد يمطر من الغضارة صحوة ويقبس من الانارة نحوه ويحي الرميم اعتداله ويصبي الحليم جما له فلغتنا زهرته "[٦] إذا اقتبس من قوله تعالى "قال من يحيي العظام وهي رميم"[٧] وله في فصل " كخيل من استلطفنا فلان معاه يلين بعد قساوته ويسكن غضبه بعد اشتداده وكيف اوصيك وانت مسافر البلد واحج النفاثات في العقد: ومن العجب ان ادعوك الى ذلك "[٨] اذ اقتبس من قوله تعالى : " وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ" [٩].

([١]) سورة النور ، آية : ٤٠ .

([٢]) رسائل أندلسية : ص ٥٩٢.

([٣]) سورة طه ، آية : ٣٩ .

* هو أبو المطرف عبد الرحمن بن فاخر المعروف بابن الدباغ كان أحد من جلي بينه وبين بيانه وجرى السحر الحلال بين قلمه ولسانه وكان استوحش من أمير بلده ومقيم أوده ابن هود المقتدر فخرج عنه وفر منه وخرج من كلامه أنه لم يفلح في مكان توجه إليه لسوء خلقه وكثره ضجره وترسله مملوء من شكوى الزمان وترادف الحرمان ، ينظر المغرب في حلى المغرب، ج٢/٤٤٠.

([٤]) قلائد العقيان : ١١١

([٥]) سورة التكوير ، آية ١-٢.

([٦]) فلائد العقيان : ١١٤ .

([٧]) سورة يس ، آية : ٧٨.

([٨]) الذخيرة : ف ٣ ، م١ ، ٢٦٠ .

([٩]) سورة الفلق ، آية : ٤.

ويظهر الاقتباس النصي في نثر ابن خاقان اذ يقول : " كتاب تأكيد واعتناء وتقليد ذي منة وغناء أمر بإنقاذه فلان أيده الله لفلان ابن فلان صانه الله ليتقدم لولاية المدينة بفلانة وجهائها ويصرح ما تكاثف من العدوان في جنباتها ، تنويهاً احظاه بعلائه وكساه رايق ملائة وتيقن أيده الله انه مستحق لماولاه ، مستقل بما تولاه ... يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله فليتقدم لذلك بحزم ولا يخمد توقده "[١]، اذ اقتبس من قوله " يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ "[٢]

هذه الرسالة تتضمن وصية الامير لصاحب الشرطة عند توليه هذا المنصب وهي تحتوي على تعليمات مهمة تقع في اختصاصات الشرطة فيوصي ان يتقي الله في افعاله وفي عقوباته وان يعاقب على قدر الجريمة ويذكره بان الله يحسب لكل شيء حساب يوم الحشر وهذا النوع من الاقتباس الاشاري كثير عند ابن عطية الكاتب يقول في احدى رسائله : " ونهوا عن مخالطة الاوباش ومداخله اهل الانزواء الى باطنهم والانحياش فاظهروا الاعتزال عما كان المتاب منه ثم عادوا على اثر ذلك لما نهوا عنه ، وتردد الردع لهم والزجر وتزيد الشرك والقرع وتمكن في تعريفهم لتبديلهم وتحريفهم الايضاح والصدع ..واستبطنوا من سحرتهم وكهانهم شرفئة واسوأ عترة وترددت عقولهم المعقولة بين نفاثه في عقدها "[٣] فقد اقتبس من قوله تعالى "وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ "[٤] وله ايضاً من هذا النوع " ونسلت اليه الرسل من كل حدب "[٥]، اذ اخذه من قوله تعالى : "حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ"[٦] وهناك

([١]) الاحاطة : حـ٤: ٥١-٢٥٣.

([٢]) سورة الانفطار، آية : ١٩.

([٣]) مجموع رسائل موحديه : ٤١.

([٤]) سورة الفلق : آية ٤.

([٥]) الاحاطة : جـ١ :٢٦٩.

([٦]) سورة الانبياء : آية ٩٦

رسالة لابن الحكيم اللخمي [١] موجهة الى اهل الاندلس نجد فيها انواعاً من الاقتباس النصي حيث يقول فيها " اما بعد حمدالله الذي جعل الجهاد في سبيله افضل الاعمال فقال يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال تنبيهاً على محل الثقة وتدارك دين الاسلام بانجازه وعده في قوله (ولينصرن الله من ينصره) [٢] .. فانا كتبنا لكم كتب الله لكم من سماع البشائر ما يعود بتحويل الاحوال واطلع عليكم من انبياء الفتوح مايلوح بافاق الامال ..انا لم نزل نبذل جهودنا في ان تكون كلمة الله هي العليا "[٣] .

فهذه رسالة في الجهاد تستنصر الأمة الإسلامية لكي تكون كلمة الله هي العليا وابرز الكاتب فكرة الجهاد فبين إن الله تعالى قد أمر به واستشهد بعددٍ من النصوص القرآنية ومن الاقتباس الاشاري مثل قوله (يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال)[٤]. وقد ظهر الاقتباس الاشاري عند ابن الابار [٥] في رسالة له يقول فيها " انها نعمى وفت بالميعاد وحسنى مثلها بعد للمعاد ، اتت بماء معين قد اصبح غوراً ملأت ما بين لابتيها حناناً يرف ظلاً ونوراً . فيا لقصرها السعيد نعمت امواجه وهبت على خضر الاغصان وزرق الغدران ارواحه "[٦] وقد كان ابن الابار حريصاً على ابراز القيم الانسانية للرسالة. اذ اقتبس من قوله تعالى " قل أرايتم ان اصبح ماؤكم غوراً فمن ياتيكم بماء معين "[٧] اما ابن عميره المخزومي فقد ظهر الاقتباس الاشاري

([١]) هو الوزير والاديب الكاتب محمد بن عبدالرحمن بن ابراهيم بن يحيى بن محمد اللخمي الرندي المعروف بابن الحكيم / الملقب بذي الوزارتين وقد كان كاتباً بليغاً واديباً وشاعراً وقد تولى الوزارة والكتابة في مملكة غرناطة وقد توفي مغموراً به سنة ٦٥٦هـ ينظر الاحاطة ١٧٤/١.

([٢]) استشهاد نصي من سورة الحج / آية:٤٠.

([٣]) الاحاطة : جـ٢ ٤٦٨ – ٤٧٣.

([٤]) سورة الأنفال آية ٦٥.

([٥]) هو ابو عبد الله محمد بن عبدالله بن عبد الرحمن القضاعي شاعر وكاتب مشهور له مؤلفات اعتاب الكتاب والحلة السيراء توفي عام ٦٥٨، ينظر المغرب في حلى المغرب، ج٣٠٩/٢، نفح الطيب ج٨٦٧/١.

([٦]) اختصار القدح المعلى : ١٩٥.

([٧]) سورة الملك آية : ٣٠ .

عنده واضحاً في رسالته التي وجهها الى صديقه الاديب علي بن محمد بن علي الفخار الرعيني يقول فيها " كتبته الى سيدي وهو السيد حققته واني وقد كتبت الدهر بذلك وثيقة ايقن الله تعالى جلاله محروساً وربع وطائه لا يخشى دروشاً .. فاما النثر فصهيل لا يجاوبه الرغاء وطراز لا يحسنه البلغاء ونقد نزيف معه النقود وعاد الصابي وصباه غير ذات هبوب ..... فاما بحر رئيس فارجان فقد استخرج منه اللؤلؤ والمرجان "[١] ماشارة الى قوله تعالى " يستخرج منهما اللؤلؤ والمرجان" [٢]

ويبدو لي بعد عرض كل هذه النصوص النثرية ان الاقتباس الاشاري يعني حل الآية القرآنية وتفكيكها مع بقاء شيء من لفظها كمفتاح دال عليها وفي ذلك تحرر من بعض القواعد البلاغية وما تتطلبه من امور تحتاج الى مواءمتها حتى تأتي غير نافرة عن جوارها من الألفاظ وهذا يتيح الفرصة للناثر على ان يكون اكثر قدرة على الابداع لانه يترك لنفسه حرية التصرف بالاية الكريمة لتناسب تدفق النص . قال ابن الخطيب الى ابنائه : " الى أي كاهن اتناحر ... مع هذا الجيل الذي هو في الحقيقة جمل.. استأثر غير ما مره بأنس ، وصارت عينه الحمئة مغرب شمس "[٣] فهو يشير الى الآية الكريمة " حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ "[٤] ومن ذلك قول ابن الخطيب في رسالته النبوية التي كتبها عن سلطانه محمد الخامس : " الى رسول الحق ... البشير الذي سبقت له البشرى ورأى من آيات ربه الكبرى ، ونزل فيه سبحان الذي أسرى"[٥] وهو في ذلك اشار الى آيتين اثنتين اولاهما " ورأى من آيات ربه الكبرى

([١]) سورة الكهف : آية ٨٦.

([٢]) سورة الرحمن : آية ٢٥.

([٣]) الاحاطة ٤ : ٦٢٥.

([٤]) سورة الكهف : اية ٨٦.

([٥]) ريحانة الكتاب : ٥٧/١.

لنريك من آياتنا الكبرى "[١] وثانيهما " سبحان الذي اسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى "[٢]

ومن ذلك ايضاً قوله في مخاطبة ابي عبد الله ابن أبي مدين* صاحب الاشغال في المغر ب: " سيدي الذي ورث الجلالة لا عن كلاله ، الجامع بين الهيبة ، وجمال الشيبة "[٣] يشير بذلك الى قوله تعالى فيما يخص آيات المواريث " يستفتونك في الكلالة أن امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها ان لم يكن لها ولد فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وان كانوا اخوة رجالاً ونساءً فللذكر مثل حظ الأنثيين يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شيء عليم "[٤] .

ومن ذلك ايضاً قوله في الدعاء للمولود الذي رزق به ابن خلدون : " جعل الله وقايته عليه عوذه ، وقسم حسدته قسمة محرم اللحم بين منخنقة، ونطيحة ومتردية ، وموقوذة "[٥] فهو يشير الى ما حرم الله سبحانه وتعالى من اصناف اللحوم استناداً الى قوله تعالى " حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمخنقة والموقوذة والمتردية والنطحية " وما أكل السبع الا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام ذلك فسق اليوم بئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون "[٦]

ومن الاقتباس الاشاري ايضاً رسالة ابن زموك التي بعثها الى ابن الخطيب عرفاناً بالجميل فهو يدعو له ويشكره على صنيعه معه ويطلب من الله عزو وجل أن يعينه على شكر ممدوحه ويقدره على رد الجميل التي يقول فيها: " ابو معارفي وولي نعمتي ومعيد جاهي ومقوم كمالي ومورد آمالي ممن توالى نعمه علي ويتوفر قسمه لدي، وابوء له بالعجز عن شكر اياديه التي احيت الأمل وملأت أكف الرغبة فماذا اقول

([١]) سورة طه ، اية ٢٣ .

([٢]) سورة الاسراء ، آية ١.

* تنظر ترجمته في ص من الرسالة.

([٣]) نفاضة الجراب : ق٣٤٨/٢ .

([٤]) سورة النساء ، آية ١٧٦.

([٥]) التعريف بابن خلدون .

([٦]) سورة المائدة : آية ٣.

فيمن صار مؤثراً فيّ بالتقديم جالياً صورة تشريفي بالانتساب اليه في احسن التقويم (اللهم اوزعني شكر هذا المنعم) [١] الذي اثقلت نعمه ظهر الشرك، ولقد كان المماليك لما مثلنا بين يدي مولانا ايده الله لم يقدم عملاً عن السؤال "[٢] اذ يشير الى قوله تعالى : " لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم "[٣]

وفي هذا المجال قد يأخذ القشتالي نصاً من القرآن الكريم ويضمنها رسائله فمن ذلك قوله : (فانا كتبناه اليكم ... من حضرتنا العلية مراكش، أحاطها الله ، وبركة هذه الأمة الكريمة تستمد الاقطار من مقياسها، وتروي رواة الافادى والأبادة عن ضحاكها وعباسها ، والفتوحات الربانية تحتفل الملائكة لولائمها واعراسها ، فله الحمد على نعمه التي لا يحيط الوصف بانواعها واجناسها وعنايتها التي تضرب بعصاها الصخرة الصماء ممن عصاها ، فتبادر بانفلاقها وانبجاسها "[٤]

اشارة الى قوله تعالى : " وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنا "[٥].

واخيراً وبعد عرض كل هذه الأمثلة النثرية فان هذا إن دل على شيء فانما يدل على ان الادباء والكتاب الاندلسيين قد اتجهوا الى الأخذ بالايات القرانية للاستشهاد بها (نصاً ومعنى) . ان الاقتباس وكما هو معروف ظاهرة ادبية لها من سمات الجمال الفني فضلاً عن التأثير النفسي العميق ما جعلها مطلب كل كاتب قديماً وحديثاً هذا من جانب ومن جانب آخر فانني واثناء ملازمتي الطويلة لنثر اولئك الكتاب لم الحظ انصرافهم إلى الاتيان بها الا متى ما استدعى المعنى ذلك وبالقدر الذي يتطلبه المقام. وعليه فالاقتباس في نثر كتاب فترة بحثنا لم يخرج عن كونه اسلوباً ادبياً محبباً لكنه تقليدي .

([١]) اقتباس اشاري من قوله تعالى (واوزعني ان اشكر نعمتك) سورة النمل/آية:١٩.

([٢]) الاحاطة : حـ٢/٣١٣-٣١٤ .

([٣]) سورة التين : آية ٤.

([٤]) روضة الأس : ١٥٧.

([٥]) سورة الاعراف ، آية ١٦٠ .

الفصل الثاني

أثر

الألفاظ والعبارات القرآنية

في فنون النثر الاندلسي

الفصل الثاني
اثر الالفاظ والعبارات القرآنية في فنون النثر الاندلسي

ان دراسة الاثر القرآني في الالفاظ يقتضي دراسة الالفاظ بناءاً لغوياً منفرداً على اساس ((ان العمل الادبي هو بناء لفظي))[١]، حيث ((تشكل المفردة اللغوية اساس العمل الادبي))[٢]، فهي ((مادة الادب))[٣]، التي تتالف منها وعده ((عاملاً من اقوى العوامل التي تتوقف عليها قيمته الجمالية))[٤]، وقد دار جدل طويل حول مسألة اللفظ والمعنى عند النقاد العرب من حيث المفاضلة بينهما[٥]، وقد ناقش هذه المسألة كثير من الباحثين مناقشة مستفيضة[٦]، وقد اختلف الباحثون في مصدر المتعة واللذة فتساءلوا كثيراً اهي تبع للمعنى ام للفظ متناسين ان النص الادبي كل ((متكامل من اجزاء لايمكن فصلها الا بما يمتاز به كل جزء في ذاته من غير اخلال بالقواعد العامة او خروج على الأصول))[٧]، فاللفظ والمعنى ركنان اساسيان للنص الادبي لايستغنى عنهما، ((فالفن الناضج والادب الجيد يستوجبان تلاؤماً وتواؤماً بين اللفظ والمعنى وبين الشكل والمضمون ويتطلبان عنايةً واهتماماً بهما على حد سواء))[٨].

وبعد هذا العرض الموجز لابد لنا ان نتعرف من خلال هذه الدراسة ما وصل اليه الكاتب الاندلسي من تأثر بالالفاظ القرآنية التي أظهرت روحه الاسلامية.

الرسائل الدينية:

---

[١] الاسلوب والاسلوبية، ١-٢.

[٢] الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس، ٣٢٩.

[٣] نظرية الادب، ٢٣٣.

[٤] النثر الفني واثر الجاحظ فيه، ٢٨٦.

[٥] ينظرالبيان والتبيين: ١/٩٨-١٠٤، دلائل الاعجاز: ٣٤، الصناعتين: ٥٧، عيار الشعر: ١٤، دلالة الالفاظ: ٣٤، ٥٨، ١٤٧، جواهر الالفاظ: ٤٥-٤٦.

[٦] ينظر النثر الاندلسي في عهدي الموحدين وبني الاحمر: ١٦٢-١٦٦، اثر القرآن الكريم في الشعر الاندلسي منذ الفتح: ٤٩-٥٢، اثر القرآن الكريم في النثر الاندلسي منذ الفتح حتى نهاية عصر الطوائف: ٦٧-٧٠.

[٧] النثر الاندلسي في عصر الطوائف والمرابطين: ٥٢٧.

[٨] الشعر في عهد المرابطين والموحدين في الاندلس: ٢٣١.

تقسم هذه الرسائل على عدة اقسام هي:

١- الرسائل التي تدعو الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر:

ان دعوة المهدي بن تومرت[١]، اعتمدت منذ بدايتها على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لاصلاح المجتمع الذي بدا فيه الانحلال والابتعاد عن الدين وقد استمر سعيه في تطبيق هذا المبدأ حتى سنة خمسمائة واربع وعشرين وقد واصل حلفاؤه السير على هديه ((فبادروا –رحمكم الله– الى طاعة الله في العلانية والنجوى وشدوا ايديكم على هذا الحبل الامتن الاقوى، واعلموا انكم راحلون فتزودوا فان خير الزاد التقوى وحافظوا –اصلحكم الله– على اخلاص النيات، والتزام الصلوات، وسائر اعمال الطاعات، وتلاوة القرآن والتوحيد فهي اكرم التلاوات واصفحوا، واصلحوا، وتعاملوا بالخير... وواظبوا على تغيير المنكر... ورحم الله امرأً سمع النصيحة فابتدرها وجاهد نفسه على طاعة الله فقهرها، واخذ عليها مآخذ الشهوات فنهاها بالحق وامرها))[٢]، فنجد ان تعبير (وتَزَوَدُّوا) فإن خير الزاد التقوى، تعبير قرآني مستمد من قوله تعالى ((وَتَزَوَّدُوَا فَإِنَّ خَيرَ الزادِ التَقْوى))[١].

وهذا المبدأ قد سار عليه حتى من جاء بعد المهدي فاصبح مستمراً حتى العقود الاخيرة فبين ايدينا رسالة للمستنصر[٢] الى المدن المغربية والاندلسية بتاريخ العاشر من ربيع الاول من سنة ستمائة وسبعة عشر هجرية يقول فيها ((فاذا وقفتم على كتابنا هذا فجددوا للناس به الذكرى وعرفوهم ان الدنيا مطية الى الدار الاخرى وحضوهم على العمل الصالح والتجر الرابح في ان يجعلهم الله في الدارين من اللذين لهم البشرى وبثوا في جهاتكم كلها الامر بالمعروف والنهي عن المنكر... وتسلم

---

[١] هو محمد بن عبد الله بن تومرت، ولد سنة خمس وثمانين واربعمائة في بلاد السوس بالمغرب الادنى جنوب مراكش في قبيلة هرغة احدى بطون مصمودة اعظم قبائل المغرب الاقصى. يراجع ترجمته في الوافي بالوفيات، ج٣: ٣٣٣.

[٢] مجموعة رسائل موحدية: الرسالة الاولى: ٣.

[١] سورة البقرة، آية: ١٩٧.

[٢] ولي الخلافة بعد أبيه ٤٧ سنة وكان حسن السيرة جلمعاً للعلوم محباً لها مكرماً لأهلها وجمع من الكتب في أنواعها ما لم يجمعه أحد من ملوك الأندلس قبله وذلك بإرساله منها الى الأقطار واشترائه لها بأغلى الأثمان ت ٣٦٦ هـ، ينظر المغرب في حلى المغرب ج١: ١٨٦.

القلوب والجوارح من الوسواس الخناس[٣]، فالوسواس الخناس جزء من آية قرآنية[٤]، ولقد جاء اسلوب هذه الكتابات متضمنة لمعاني القرآن واساليبه وهو يدل على قدرة الكتاب على حفظ التراث الديني المتمثل لا سيما في القرآن الكريم ويدل ايضاً على استيعابهم الجيد له مما يمكنهم من توظيفه في كتاباتهم.

٢- الرسائل التي تدعو الى اقامة الصلاة:

لقد كان الكتاب الاندلسيون يحرصون على حفظ الشرائع واداء الفرائض والعبادات ولا سيما الصلاة التي هي عماد الدين وايتاء الزكاة التي هي حق الفقراء والمساكين في اموال الاغنياء فقد كان الحرص على اقامة الصلاة شديداً لان قيمتها في الاسلام عظيمة، ومنزلتها سامية (وخذوا باقامة الصلاة التي هي الكتاب الموقوف على المؤمنين والحكم المنبوت على كل من آمن بهذا الدين والناهية عن الفحشاء والمنكر على ما ورد في الكتاب المبين، ولاحظ في الاسلام لمن ترك الصلاة فهو ممحو من ديوان المؤمنين، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع من الوظائف والقوانين وتاركها ميت فخذوا من قبلكم باقامة الصلاة على ما شرعت وادائها بحسب ما فرضت))[١]، فهذا النص وهو للمهدي بن تومرت يحث الناس على اقامة الصلاة والمحافظة عليها وادائها في اوقاتها المعلومة وعلى الوجه الذي جاءت به في تعاليم الدين الاسلامي وشريعته السمحاء، فعبارة (إقامة الصلاة) مستمدة من الاية الكريمة ((وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ))[٢].

وكان اول عمل قام به ابو العلاء ادريس المأمون[٣] عند وصوله الى كرسي الخلافة هو حث الناس في اول خطاب له اليهم على الصلاة والمحافظة عليها اذ

---

[٣] البيان المغرب، ٣: ٢٤٥.

[٤] سورة الناس، آية: ٤.

[١] مجموع رسائل موحدية (الرسالة الثالثة والعشرون)، ١٣٢-١٣٣.

[٢] البقرة: من الآية٤٣.

[٣] هو أبو زكريا يحيى بن صاحب طليطلة الأمير اسماعيل بن عبد الرحمن بن عامر بن ذو النون الخواري الأندلسي استولى على البلد بعد العشرين وأربعمائة وتملك المأمون بعد أبيه سنة ٣٥ فامتدت ايامه خمس وعشرين سنة عاكفاً على اللذات والخلاعة وصادر الرعية وهادن العدو ويقال أنه مات مقتولاً بيد القاضي ابن جحاف الاحنف سنة ستين وأربعمائة ينظر الكامل ، ج٩، ٢٨٨، سير اعلام النبلاء ج١٨، ص٢٢٠-٢٢١.

قال ((لاحظ في الاسلام لمن ترك الصلاة وهي الركن الاعظم من اركان الايمان والسور الاوثق لاعمال الانسان والمواظبة عليها وعلى حظورها في المساجد وايثار ما لصلاة الجماعة من المزية على صلاة الواحد امر لايضيعه المفلحون ولا يحافظ عليه الا المؤمنون))[٤].

ان هذا الحرص الشديد من خلفاء الموحدين المتقدمين منهم والمتأخرين على اقامة الصلاة بالشكل الذي امرت به الشريعة ناتج عن ادراكهم ما لهذه الفريضة من اهمية دينية ودنيوية، فمن حيث هي عبادة فانها تجعل الفرد دائم الصلة بخالقه مما يجعله بعيداً عن الفحشاء والمنكر وهذا ما يجعله فرداً صالحاً في المجتمع.

٣- الرسائل التي تدعو الى ايتاء الزكاة:

واذا كان الكتاب الاندلسيون على أمر إقامة الصلاة فانهم كانوا يحرصون بشدة كذلك على ايتاء الزكاة، لان الزكاة فريضة سامية في الاسلام لا تقل درجة عن اقامة الصلاة لان الزكاة تطهر النفوس من الادران وتزكيها وتزرع بذور المودة بين افراد المجتمع الواحد اي بين الاغنياء و الفقراء لذلك فان كل مقصر في ادائها يعد مقصراً في حق الشرع وفي حق المجتمع مثال ذلك قال المستنصر في رسالة له بعثها في العاشر من ربيع الاول عام سبع عشر وستمائة للهجرة ((وخذوا بايتاء الزكاة والكشف عن معانيها... فالزكاة حق المال والجهاد وواجب على من منع قدر العقال فمن ثبت منعه للزكاة فهو لاحق بمن ثبت تركه للصلاة... فمن منع عقالاً فما فوقه كمن منع الشرع كله))[١].

اشارة الى قوله تعالى ((وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ))[٢]، فهذا ان دل على شيء فانما يدل على الحاح الكتاب بالتمسك بتعاليم الاسلام لانهم يعتقدون بان ((الدين هو الاساس الوثيق والبناء العتيق... فمن تحصن به فقد تحصن بالمحصن الارقى))[٣]. ولهذا نجد ان المعاني مستمدة من الشريعة الإسلامية السمحة.

---

[٤] الاحاطة، ١: ٤١٣-٤١٤.

[١] مجموع رسائل موحدية ، الرسالة الثالثة والعشرون: ١٣٣.

[٢] سورة النساء، اية: ١٦٢.

[٣] البيان المغرب، ٣: ٢٤٥.

٤- الرسائل النبوية (المدائح النبوية):

وهي عبارة عن رسائل دينية صرف وهي وان كانت مكتوبة عن السلطان فان كاتبها يعبر من خلالها عما يجول في خاطره فيبث فيها لواعجه وتشوقه الى زيارة ضريح الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) وتعد الرسائل النبوية أنموذجاً للتعبير عن القلق الذي يساور المسلمين عن مصيرهم المجهول في الاندلس ((لبعد دارهم، ونزوح اقطارهم))[١]، بعد ان ازدادت قوة النصارى واخذوا باحتلال مدن الاندلس الواحدة تلو الاخرى فتوجه السلاطين بهذه الرسائل مستجيرين بالرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) ولن نجد سوى الاشارة الغائمة الى هذا الفن الادبي عند القلقشندي، حيث يقول ((لقد جرت عادة الامة من الملوك وغيرهم بكتابة الرسائل اليه(صلى الله عليه وسلم) بعد وفاته بالتحية والسلام والتشفع به الى الله تعالى في المقاصد الدينية والدنيوية))[٢]، واكثر ما ازدهرت هذه النصوص النثرية في عهد الموحدين وبني الاحمر ولهذا فان هذه الدراسة تستند الى النصوص الاندلسية المتوافرة بين ايدينا ويمكن حصر المحاور التي تدور حولها هذه النصوص في ثلاثة:

أ- التبرك بزيارة مقام الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).

ب- مدح الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).

ج- تأبين الحسين بن علي وبكاء أهل البيت (عليهم السلام).

ومما تجدر الاشارة اليه ان النصوص التي عثرنا عليها قليلة لكنها توضح لنا الصورة العامة لهذه المحاور، فالكاتب ابو عبد الله بن الجنان (ت ٦٥٠ هـ)[١] له كتابات عديدة ((في النبويات نظماً ونثراً))[٢]، ويورد لنا المقري من نثره في شرف الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ما يبين لنا منزلته العالية في الكتابة الفنية فيقول ((لمحمد خير الانام ولبنة التمام عليه افضل الصلاة والسلام، خيرة المفاخر،

---

[١] صبح الاعشى، ٦: ٤٥٨.

[٢] المصدر السابق، ٦: ٤٥٨.

[١] هو محمد بن محمد بن أحمد الأنصاري من أهل مرسية يكنى أبا عبد الله ويعرف بابن الجنان ، كان محدثاً وراوية ضابطاً كاتباً بليغاً شاعراً بارعاً رايق الخط ديناً فاضلاً خيراً ، استكتبه بعض أمراء الأندلس فكان يتبرم في ذلك توفي سنة ٦٥٠ هـ في بيجاية، تنظر الاحاطة مج٢، ص٣٤٨-٣٥٩.

[٢] النفح، ١٠: ٢٨٦.

يتضاءل لعظمتها المفاخر والمعالي... ويعجز عن مساجلتها المكارم، والمناقب لاتضاهي سناها النجوم الثواقب والمحامد لا يبلغ مداها المحامد المماجد))[٣]، فالنجوم الثواقب تعبير قرآني مستمد من قوله تعالى ((وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ * النَّجْمُ الثَّاقِبُ))[٤]، فنجده قد اختار هذه الالفاظ اختياراً دقيقاً يدل على قدرة فائقة على التعبير المستمد من الفاظ القرآن الكريم فتنوع مضمون النص بالسجع والجناس والطباق والاقتباس والاشارة، وهكذا نجده يمضي في مدح صفات الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) ((ان محمداً رسول الملك الحق، والمبلغ منه بواسطة الملك الى الخلق، وصاحب اللواء المعقود و(المقام المحمود)[٤] والحوض المورود، والقول المسموع، والذكر المرفوع، والصدر المشروح، والفخر الباهر))[٥]،

ومن الذين تذكر لهم رسائل في التبرك بمقام الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أبو الحسن علي بن محمد بن حسن الأنصاري[١] وله رسالة بارعة كتبها الى مقام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) منها قوله ..... عرفه الكهنة والاحبار قبل كونه بسماته بشرى الكليم والنافث بالإسلام في قلب السليم، الميمون النقيبة، والطليعة المشير الى الاصنام فخرت صريعة، حبيب الله وخليله، ومن انزل عليه تحريمه وتحليله، وقام على صدقه برهان الحق الواضح ودليله، الذي اعجز البلغاء وهم أوفر الناس في وقته عدداً، ولو اتخذوا البحر مداداً والأشجار مدداً فضحهم بباهر آياته ومحافجرهم الكاذب سطوع آياته[٢].

وتستمر الرسالة على هذا الاسلوب عبر فيها كاتبها عن شوقه الى زيارة مقام الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فعبارة لو اتخذوا البحر مداداً مستمدة من التعبير

---

[٣] المصدر السابق، ١٠: ٢٦٧-٢٧٧.

[٤] سورة الطارق، آية: ٢-٣.

[٤] إشارة الى قوله تعالى (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) سورة الاسراء / آية :٧٩ .

[٥] النفح، ١٠: ٢٧٧-٢٧٨.

[١] هو ابو الحسن علي بن محمد بن الحسن الانصاري، توفي عام ٦٦٣ هـ وقد استكتبه الرشيد من بني عبد المؤمن فكتب عنه قليلاً ثم صار يعمل في الاعمال السلطانية، الذيل والتكملة، السفر الخامس، ٢٨٨-٢٨٩.

[٢] الذيل والتكملة، السفر الخامس، ٢٨٨-٢٨٩.

القرآني ((قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي))[٣].

وكان لسان الدين بن الخطيب[٤]، ممن له نصيب من هذه الرسائل النبوية فقد وجدت له رسالتين نبويتين كتبها عن سلاطينه الاولى عن ابي الحجاج يوسف الاول[٥]، ولم اعثر فيها على اي اقتباس او اشارة قرآنية والذي يهمني منها هي الرسالة الثانية فهي عن محمد الخامس الغني بالله[١].

ففي الرسالة الثانية يركز لسان الدين على ابراز تعلقه بالشريعة السمحة ويصف ما ينتابه من وجد شديد وشوق لزيارة الضريح الشريف ثم يتشوق الى الاماكن التي ضمته ثم يذكر الاسباب التي منعته من زيارته منها انشغاله بالحرب، إذ يقول ((فالمسلمون هناك يطيرون من هيعة الى اخرى... يقارعون ... وهم الفئة القليلة، جموعاً كجموع قيصر وكسرى، لا يبلغون من عدوٍ هو الذر عند انتشاره معشار معشاره))[٢]، فعبارة الفئة القليلة منبتها قوله تعالى ((كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً))[٣].

وقد كانت هذه الرسائل ترسل بصحبة وفد رسمي يخصص له هذه المهمة وكانت تتلى على الناس حيث (تقرأ قرب القبر النبوي الشريف)[٤].

وفي مجال تأبين ورثاء الحسين بن علي (عليهما السلام) وآل البيت، يورد لنا المقري فصولاً من كلام ابن الأبار البلنيسي (٥٩٥-٦٥٨ هـ) التي ضمها كتابه

---

[٣] سورة الكهف، آية: ١٠٩.

[٤] الاحاطة، ٤: ٥٢٧-٥٣٥.

[٥] هو الحجاج يوسف الأول الجذامي وصف بأنه حسنة الدهر الكثير العيوب وتوبة الزمان الجم الذنوب ما شئت من أدبٍ يتألف ... ونفسٍ كريمة الشمائل والضرائب ، انتهت اليه رياسة الأحكام بين أهله وولده فوضحت المذاهب بفضل مذهبه وحسن مقصده ، ينظر نفح الطيب مجلد الثاني ، ص٢٤٥.

[١] هو محمد الخامس الغني بالله ابي الحجاج يوسف بن نصر كان أديباً وشاحاً مطبوعاً توفي سنة ثمانٍ وثلاثين وست مائة أثناء فراره الى المغرب. ينظر المغرب في حلى المغرب ج١، ٢٥٨.

[٢] ريحانة الكتّاب، ١، ٦٢-١٨٠.

[٣] (البقرة: من الآية٢٤٩) .

[٤] ملامح التجديد في النثر الاندلسي: ٢١٦.

المسمى (درّ السمط في خير السبط) الذي هو ((كتاب غاية في بابه))[٥]، ومما يقوله ابن الأبار في ذلك ((رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت، فروع النبوة والرسالة وينابيع السماحة والبسالة، صفوة آل أبي طالب، وسراة بني لؤي بن غالب الذين جاءهم الروح الامين وحلاهم الكتاب المبين فقل في قوم شرعوا الدين القيم، ومنعوا اليتيم ان يقهر... أذهب الله عنهم الرجس وشرف بخلقهم الجنس))[١].

(فمنعوا اليتيم ان يقهر) عبارة قرآنية مستمدة من قوله تعالى ((فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ))[٢]، وكذلك (أذهب عنهم الرجس) عبارة قرآنية مستمدة من قوله تعالى ((لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً))[٣].

وفي فصل آخر نجد ان ابن الابار يذكر فاطمة ام الحسن والحسين (عليهم السلام) فيبرز لنا مكانتها السامية اذ يقول ((فهل جدوى اوفر من جدواها، والله اعلم حيث يجعل رسالاته، حصنة بالتطهير، والتكريم، وزفت الى الكفؤ الكريم، فوردا صفو العارفة والمنة، وولدا سيدي شباب اهل الجنة عوضت عن الامتعة الفاخرة سيدي الدنيا والاخرة... وقال في بعض صعلوك الامال له، نرفع درجات من نشاء))[٤]، نرفع درجات من نشاء ، آية قرآنية مقتبسة من قوله تعالى ((نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاء))[٥]، هذه صورة مختصرة عن مجمل ما كتبة ابن الابار في اهل البيت في نفح الطيب وتقدم لنا صورة جلية وواضحة عن تعلق الاندلسيين بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته الطيبين الاطهار.

الرسائل الوصفية:

كل شئ في الحياة وصفه الشعراء والكتاب حتى يومنا هذا فاذا باشعارهم وكتاباتهم قد احتشدت بالغزير وكثير من اوصاف الكائنات الحية منها والجامدة فنجد

---

[٥] نفح الطيب، ج٦، ٢٥٣.

[١] نفح الطيب، ٦: ٢٤٧-٢٤٨.

[٢] سورة الضحى، آية: ٩.

[٣] (الأحزاب: من الآية٣٣).

[٤] النفح، ج٦، ٢٥٢-٢٥٣.

[٥] سورة الانعام، آية: ٨٣، وكذلك في سورة يوسف، آية: ٧٦.

ان الكتاب من الادباء قد نقلوا الينا كل ما وقعت عليه ابصارهم من صور رائعة للانسان او الحيوان او الجماعة مما نطالعه مبثوثاً في مظانه المختلفة فنعجب به لما لهذه البراعة الوصفية التي امتلكها اديبنا العربي، ومن خلال الابداع الفني الذي عرفته الاندلس كانت لي وقفة ممتعة عند البعض من النماذج النثرية الوصفية لعدد من ادبائنا وكتاب العصر وهي وان لم تكن وفيرة في عددها الا انها كانت غنية في قيمتها الفنية، فيعرض لنا الاديب ابن الابار* ومن خلال نص وصفي طرائق كيف تمت المعجزة على يد الخليفة الموحد السلطان المستنصر عندما اقدم على جلب المياه الى مدينة تونس فمضى يصف الحادثة بـ ((انها نعمى وفت بالميعاد ، وحسنى مثلها يعد للميعاد ، اتت بماء معين قد اصبح غوراً، وملأت ما بين لابتيها حناناً يرف ظلاً ويرف نوراً... وهنيئاً للمجد الجامع ان رويت جوانحه الصادية ، وجمعت في شرعته السارية والجارية))[1] ، لقد سعى الكاتب الى وصف طبيعة ذلك (الحيز) في هذا النص ليقترب كثيراً نحو المألوف والواضح من الصور الفنية التي لا تمج السامع فمن الالفاظ القرآنية التي وردت في هذا النص عبارة (أتت بماء معين قد اصبح غوراً) من قوله تعالى:-

((أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْراً فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَباً))[2].

* هو ابو عبد الله محمد بن الأبار أشهر من كتب عن الأندلس في القرن السابع للهجرة ولد سنة ٥٩٥ وتتلمذ على مشاهير المحدثين والأدباء في عصره وهو صاحب كتاب التكملة بدأ حياته كاتباً لأبي عبد الله بن أبي حفص ابن عبد المؤمن حاكم بلنسية ثم لأبنه أبي زيد ثم لأبن مردنيش ولما توفي خدم ابنه المستنصر وقربه منه غير أنه دس عليه بأن يهجوه فقتله سنة ٦٥٨ ، ينظر المغرب في حلى المغرب ج٢، ٣٠٩. نفح الطيب ، مجلد ١، ٨٦٧. والمجلد ٢، ٢٠٠، أزهار الرياض ج٣، ٢٠٤.

[1] اختصار القدح المعلى: ١٩٥.

[2] سورة الكهف، آية ٤١.

ونقرأ لابن عميرة[١] ايضاً مقطوعة وصفية سخر فيها من احد الكتاب واصفاً اياه بالجهل والعجز فجاءت صورته الوصفية مؤلفة تأليفاً بارعاً يجمع فيها بين الحقيقة والمجاز اذ يقول ((فما عسى ان يقال في كاتب يقف قلمه على الابواب مستكيناً ويقعد بين الاقلام مهيناً... فهو يغض الطرف من الحياء، ولا يدري فرقاً بين ذوات الواو والياء... فقد شاهدنا، وفي شماله الدرج الضائع وبيمينه القلم الضارع، ... والعيون ناظرة اليه... والذهن شعاع مفترق والقلم بالمداد غصان شرق والفقر صم بكم))[٢]، فلفظة صمٌ بكمٌ تعبير قرآني مأخوذ من قوله تعالى ((صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ))[٣]، ونقرأ لأبي بحر صفوان[٤] وهو يصف مدن الاندلس في رسالة افتتحها يمدح الخليفة الموحدي، الأمير عبد الرحمن بن عبد المؤمن[٥]، قائلاً: ((ولما تخاصمت فيك في الاندلس الامصار، وطال فيها الوقوف على حبك والاقتصار، كلها يفصح قولاً ويقول انا احق واولى، ويصيح لي اجابة دعوته ويصغي ويتلو اذا بشر بك ذلك ما كنا نبغي، شمرت حمص غيضاً وكادت تفيض فيضاً وقالت، ما لهم يزيدون وينقصون ويطمعون ويحرمون ان يتبعون الا الظن))[١]، فعبارة ما كنا نبغي عبارة قرآنية اخذها الكاتب من قوله تعالى ((قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصاً))[٢].

ولابي بحر صفوان رسالة وصفية اخرى كتبها الى الامير الموحدي ابي زيد عبد الرحمن* يعبر فيها عن المحبة التي يكنها له اهل زمانه ويبرز فيها جلالة قدره

---

[١] هو ابو المطرف احمد بن عبد الله بن الحسين بن عميرة المخزومي المعروف بابن عميرة وهو بلنسي الاصل اشتهر امره في كتابة الرسائل، توفي عام ٦٥٨هـ ، تنظر ترجمته في الاحاطة: ١٧٤

[٢] ابو المطرف بن عميرة: ٢١٣.

[٣] سورة البقرة، آية: ١٨.

[٤] هو ابو بحر صفوان بن ادريس بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عيسى بن ادريس التجيبي المرسي الذي اشتهر امرة بالكتابة والنثر وكان من كتاب الرسائل، لمجيدين وله كتاب اسمه زاد المسافر، توفي سنة ٥٩٨هـ، ينظر عصر المرابطين والموحدين في المغرب والاندلس: ٦٩٠-٦٩١.

[٥] لم أعثر له على ترجمة .

[١] زاد المسافر: ١٣.

[٢] سورة الكهف، آية: ٦٤.

* لم أعثر له على ترجمة.

عندهم يقول فيها: ((مولاي امتع الله ببقائك الزمان وابناءه كما ضم على حبك احناءهم واحناءك واوصل اليك ما شئت من المن والامان كما نظم قلائد فخرك على لبة الدهر والجمان، فانك الملك الهام، والقمر التمام، ايامك غرر وحجول، وفرقد بهائك على صفحات الدهر يجول، البست الرعية برود التأمين، فتنافست فيك من نفيس ثمين وتلقت دعوات خلدك لها باليمين، فكم للناس من آمن بك وايناس، وللايام من لوعة فيك وهيام، وللاقطار من لبانات لديك واوطار، وللبلاد من قراع على تملكك لها وجلاد، يتمنون شخصك الكريم على الله ويقترحون ويغتبقون في رياض ذكرك العاطر بمدام حبك ويصايحون (كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ))[٣] ((محبة من الله القاها لك على العباد ونصراً مؤزراً تنطق به السنة السيوف على افواه الاعماد، ومن اسر سريرة السبه الله رداءها ومن طوى حسن نية ختم الله له بالجميل اعادتها... وطال بها الوقوف على حبك والاقتصار وكلها قولاً، ويقول انا احق واولى... اذا بشر بك، (ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ)[٤]، بهذه العبارات المحبوكة والصور الفنية الرائعة والتضمينات القرآنية الجميلة يقدم لنا الكاتب خلاصة موضوع رسالته وان كان قد اهمل ذكر السبب الحقيقي لكتابتها ولم يذكر تاريخ كتابتها، وان كان ذلك لا يتعدى عهد الخليفة.

المنصور* (ت ٥٩٥ هـ) او بداية عهد محمد الناصر[١]، لان ابا بحر صفوان توفي (٥٩٨ هـ) وما يمكن استنتاجه من مقدمة الرسالة هذه ان الكاتب قد احسَّ بمقدم هذا الامير الى الاندلس او انه يريده ان يكون فيها، فكتب له هذه الرسالة تعبيراً عن محبته له واظهاراً لجلال قدره عند اهل الاندلس بل عند مدنه كلها التي تنافست من اجل ان تحظى باحتضان هذا الامير فبين الكاتب كيف ان كل مدينة تريد ان تقحم غيرها وتدعي لنفسها الجدارة باحتضان هذا الامير فتبين فضلها وميزتها على غيرها

---

[٣] سورة المؤمنين، آية: ٥٣.

[٤] سورة الكهف، آية ٦٤.

* هو منذر بن يحيى التجيبي، كان رجلاً من عرض الجند وترقى الى القيادة في آخر دولة ابن ابي عامر وتناهى أمره في الفتنة الى الامارة وكان كريماً وهب لقصاده مالاً عظيماً فوفدوا عليه وعمرت بذلك حضرته سرقسطة فحسنت ايامه وهتف المداح بذكره وقد عقد له ابن بسام في الذخيرة فصلاً طريفاً في مج١، ق١، ص١٥٢، ينظر البيان المغرب ١٧٥/٣.

[١] هو أبو المطرف عبد الرحمن ابن محمد ابن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم ابن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ولي بعد جد عبد الله وكان والده قد قتله أخوه في صدر دولة ابيهما وترك ابنه عبد الرحمن ابن عشرين يوماً وولي الخلافة وله اثنتان وعشرون سنة وكانت ولايته من المستطرف لأنه كان شاباً وبالحضرة جماعة أكابر من أعمامه وقد قتل الناصر ابنه ذبحاً بيده فقد بلغه إنه يريد قتله وأخذ الخلافة ينظر المغرب في حلى المغرب ج١/١٨١ وما بعدها.

لتنتهي الى الحكم باستحقاقها الفوز به دون غيرها فاذا بهذا الامير وكأنه معشوق واذا بهذه المدن عشيقاته المتيمات.

فهذه مدينة اشبيلية (حصن الاندلس) تذمرت غيظاً وتدعي ان لها السهم الاسد والساعد الاشد... انا مصر الاندلس والنيل نهري... لي ما شئت من ابنية رحاب وروضي يستغني بنضرته عن السحاب قد ملأت زهراتي وهاداً ونجاداً وتوشح سيف نهري بحدائقي نجاداً فانا اولاكم بسيدنا الهمام واحق ((الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقّ))[٢][٣][٤].

فترد عليها قرطبة بشدة وعنف مفتخرة لي البيت المطهر الشريف والاسم الذي ضرب عليه رواقه الشريف في بقيعي محل الرجال الافاضل فعلى رغم انف المناضل وفي جامعي مشاهد ليلة القدر فحسبي نباهة القدر... فما لاحد ان يستأثر علي بهذا السيد الاعلى ولا ارضى ان يوطئ غير ترابي نصلاً فاقروا لي بالابوة وانقادوا لي على حكم النبوة ((وَلا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ))[١] ((ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ))[٢].

فبمثل هذا الاعتزاز دافعت قرطبة عن منزلتها كما فعلت اشبيلية معتمدتين على الاقتباس القرآني كل ذلك لكي تحتضن كل واحدة منهما ذلك السيد الكريم.

واشتركت مدينة غرناطة بهذه المجادلة فبينت ان لها الاولوية بهذا السيد الكريم الاعدل وانها الجديرة به واعتمدت على حسنها وجمالها وقد عززت ذلك بالاستشهاد من آي الذكر الحكيم اذ تقول ((لي المعقل الذي يمتدح ساكنه من النجوم ولا تجري الا تحته جياد الغيث السموم فلا يلحقني من معان صور ولا يهتدي الى خيال فارق ولا طيف فاستسلموا قولاً وفعلاً ((وقد أفلح اليوم من استعلى))[٣]، فانا اولى بهذا السيد الاعدل وما له من عوض ولا بدل... فما بالكم تعتزون لفخري، وتنتمون وتتأخرون في ميداني وتتقدمون وتبروا الي مما تزعمون ((ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ))[٤][٥].

---

[٢][٣] سورة يوسف، الاية ٥١.
[٤] زاد المسافر، ١٢٥.
[١] سورة النحل، اية ٩٢.
[٢] سورة البقرة، اية ٥٤.
[٣] زاد المسافر، ١٢٥.
[٤] العنكبوت: من الآية١٦.
[٥] زاد المسافر، ١٢٥-١٢٦.

وانطلقت مدينة مرسية بحماسة تعدد مفاخرها ومآثرها وهي واثقة من مركزها المرموق الذي يؤهلها للتفرد بالملك المستأثر بالتعظيم فقالت: ((امامي تتعاطون الفخر وبحضرة الدر تتفقون الصخر، ان عدت المفاخر، فلي منها الاول والاخر... فاين وشالكم من بحري وخرزكم من لؤلؤ نحري وجعجعتكم من نفثات سحري... المرأى الذي ماله نظير... فابنائي في الجنة الدنيوية مودعون... (وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ)[1]، وانقادوا لامري وحاذروا اصطلاء جمري وخلوا بيني وبين سيدنا ابي زيد والا ضربتكم ضرب زيد فانا اولاكم بهذا الملك المستأثر بالتعظيم (وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ)[2]))[3].

اما مدينة بلنسيه فانما ارادت فض النزاع والجدال بان جعلت السيد الامير من نصيبها لما اشتملت عليه من المحاسن الشامخة الاعلام ((انا أحوزه من دونكم فاخمدوا ناري بحركم وهدوئكم... فاجمعوا على الانقياد لي والسلام، والا فعضوا بناناً وافرعوا اسناناً، فانا حيث لا تدركون واني ومولانا لا يهلكنا (بما فعل السفهاء منا)[4]))[5]، ثم اندفعت وراءها مدينة تدمير وقد اشتطت غيظاً بعدما سمعت ادعاءاتها ومزامعها فقالت ((ليس يعشك فادرجي لك الوصب والخيل (آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ)[6] ايتها الممانعة الفاعلة من ادراك ان تضربي وما انت فاعلة، ما الذي يجديك الروض و الزهر ام ما يفيدك الجدول والنهر، وهل يصلح العطار ما افسده الدهر هل انت الا محط رحل النفاق، ومنزل ما لسوق الخصب فيه من نفاق، ذراك لا يكتحل الطرف فيه لهجوع، وقراك (لا يُسْمِنُ وَلا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ)[1] فالام تبرز الاماء في منصة العقائل لا ينبغي لاحد من بعده))[2][3][4].

وبهذه الكلمات التي صدرت عن مدينة تدمير وهي ترد على ادعاءات مدينة بلنسيه دون ان تدعي السيف او تفخر بمآثرها كما فعلت سابقاتها تختم رسالة الاديب البارع ابي بحر صفوان الى السيد ابي زيد عبد الرحمن بن يوسف ومن تلك النصوص الوصفية التي برز فيها التأثر القرآني الواضح في الالفاظ نص لابن

---

[1] سورة فصلت، الاية ٣١.
[2] سورة فصلت، الاية ٣٥.
[3] زاد المسافر، ١٢٧.
[4] اشارة الى الاية ١٥٥، من سورة الاعراف (تُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا).
[5] زاد المسافر، ١٢٧.
[6] سورة يونس، الاية ٩١.
[1] سورة الغاشية، اية ٧.
[2][3] اشارة الى الاية ٣٨ من سورة ص ((وهب لي ملكاً لاينبغي لاحد من بعدي)).
[4] زاد المسافر: ١٢٧-١٢٨.

عاصم الغرناطي[٥] يدعو فيه للوحدة الوطنية والتماسك للحفاظ على البلاد وحمايتها من خطر الاعداء وحماية الدين الاسلامي يقول فيها: ((الحمد لله الذي عوض من الخلاف وفاقاً واعقب من الافتراق اجتماعاً واتفاقاً، وهيأ لاسواق الائتلاف برفع الخلاف نفاقاً ويسر لوطن الجهاد من توثير المهاد ارفاقاً، وزين بانجم السعود من النصر الموعود آفاقاً وعقد على جمع الكلمة من الامة المسلمة اجماعاً واصفاقاً، نحمده سبحانه وهو المحمود بجميع اللغات، ونشكره على ما سن من آمال وفق الامنية مبلغات ونثني عليه بما اسدى من عوارف مخولات، ومواهب مسوعات حمداً نستكثر من درره النفيسة انفاقاً وامانته العظيمة فلا نأبى من حملها اشفاقاً ونشهد ان الله لا اله الا هو الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد))[٦]، فلفظة وفاقاً اخذها الكاتب من قوله تعالى ((جَزَاءً وِفَاقاً))[٧]، اما لفظة المهاد فقد اخذها من قوله تعالى ((مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ))[١] وكذلك لفظة (حملها اشفاقاً) مأخوذة من قوله تعالى ((إنا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين ان يحملنها واشفقن منها))[٢].

الرسائل الاخوانية:

وهي تلك ((الرسائل التي تدور بين الاصدقاء))[٣]، أو هي ((تلك الاعمال النثرية التي تدور بين خلصاء الاصحاب والاصدقاء من فقهاء وعلماء وادباء وفي مواضيع انسانية شتى مما يشيع عادة بين الناس وعبر علاقاتهم الاجتماعية المتشعبة))[٤].

وهي تأتي تأكيداً لاواصر المحبة والصداقة والمودة بين هؤلاء الاصدقاء والاقران، وقد تكون هذه الرسائل على شكل انواع مختلفة قد يصل عددها الى سبعة

---

[٥] هو ابو يحيابن عاصم الغرناطي الامام العلامة الوزير الرئيس الكاتب الجليل البليغ الخصيب الجامع الكامل الشاعر المفلق الناثر الحجة خاتمة رؤساء الأندلس بالاستحقاق ومالك خدم البراعة بالاسترقاق أبو يحيى بن محمد بن محمد بن محمد بن عاصم القيسي الأندلسي قاضي الجماعة ، ينظر نفح الطيب مج٨/٢٥٤ وما بعدها.

[٦] ازهار الرياض، ١: ١٥٨-١٧١.

[٧] سورة النبأ، الاية ٢٦.

[١] سورة البقرة، الاية ٢٠٦، آل عمران، الاية ١٩٧، الرعد، الاية ١٨، ص٥٦.

[٢] سورة الاحزاب، الاية ٧٣.

[٣] صبح الاعشى، ٨: ١٣٠.

[٤] النثر الاندلسي في عصر الطوائف والمرابطين: ١٥٩.

عشر لوناً هي ((التهاني والتعازي والتهادي والشكوى والشفاعات والتشوق واختطاب المودة والشكر والعتاب والسؤال عن حال المريض والاخبار والمداعبة والاعتذار... وغير ذلك))[٥] .

والرسائل الاخوانية كما يرى د. زكي مبارك ((فن قديم في اللغة العربية))[٦].

وقد عرفت الحياة الادبية بالاندلس هذا الفن كما عرفت غيره من الفنون النثرية فاجاد ادباؤها في اساليبه المختلفة لذلك نجد ان نماذجه تكاد تملأ مساحات مكانية واسعة من مصادر الادب الاندلسي عبر عصوره المختلفة.

لذلك نجد ان هذه الرسائل على انواع مختلفة ارتأينا تقسيمها على النحو التالي:

١- رسائل في عهود المودة والمحبة بين الاخوان:

((وهي باب واسع من ابواب الرسائل الاخوانية، باب يعبر عن صدق العواطف وحقيقة التعاطف بين الاصدقاء والاخوان ويصور الوفاء والتضحية والايثار والاخلاص بين المتحابين والمتوادين الذين تجمعهم))[١].

وقد تعددت مسالك الكتاب واغراضهم في رسائلهم الاخوانية واتسع نطاقها اكثر، وطرقت هذه الرسائل الاغراض التي لها علاقة بالشعر اكثر منها بالنثر مثل التهاني والمديح والرثاء والعتاب وغير ذلك مما قد يكون بين الاخوة والاصدقاء، فمن الرسائل التي تقوم في جملتها على فكرة المديح والتبحر في الفضائل البشرية لاستخلاص افضل الصفات واعرقها من اجل نسبتها الى ذلك الصاحب العزيز حتى يمسي وكأنه قد حاز قصب السبق في كل ميدان فلا احد قبله او بعده صوب هذه الغاية فقد سعى القاضي عياض في واحدة من رسائله الاخوانية الى الاديب الفتح بن خاقان، حيث ورد فيها ((في علمك سدد الله علا حكمك ما جمعه فلان من جلائل تشذ عن الحصر وفضائل يعترف لها نبهاء العصر... ان نظم فعبيد او لبيد، او نثر

---

[٥] صبح الاعشى، فهرس ج٩ من المؤلف.

[٦] النثر الفني في القرن الرابع الهجري، ٦٠.

[١] النثر الاندلسي في عصر الطوائف والمرابطين: ١٦١.

فعبد الحميد او ابن العميد... فاخر شجرة سيادة اصلها ثابت وفرعها في السماء او ذاكر فبحر معارف لا تكدره الدلاء الى همة تصفع هامة الثريا))[١].

نجد ان القاضي عياض قد اتخذ من آي الذكر الحكيم وسيلة ليوضح ما شرع فيه مستمداً الفاظه وعباراته من الآية الكريمة ((كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ))[٢].

٢- مقطوعات في التهاني والتعازي:

وهما من صنف الكتابة الاخوانية لما تقدماه من توثيق لمعاني المحبة الاجتماعية بين افراد المجتمع الواحد حيث يؤكد الانسان انفكاكه من عبودية (الذات الفردية) لينصهر في بوتقة المجموع مشاركاً اياهم مسراتهم وافراحهم واحزانهم فاستطاعت الرسائل الاخوانية ان تحتضن مفهوم (التضامن الاجتماعي) في اغراضها جميعاً.

ففي مقام التهنئة اقدم هذه الرسالة المحبرة بقلم كاتبها ابي عبد الله ابن عباس[٣] في نزول الناصر على المهدية براً وبحراً واسترجاعها من ايدي الملثمين مهنئاً اياه حيث شبه المدينة بعروس تزف الى فارسها وكان مهرها رؤوس المقاتلين الشجعان وحناؤها دماؤهم ((ولما اجتلينا منها عروساً قد مد بين يديها بساط الماء وتوجت بالهلال وقرّطته بالثريا ووشحت بنجوم السماء والسحب تنسحب عليها اردانها فترتد بها تارة متلثمة وطوراً سافرة... ومن خطب النساء لم يغله المهر، فتمنعت تمنع المقصورات في الخيام واطالت اعمال العامل في خدمتها وتجريد الحسام))[١].

فعبارة المقصورات في الخيام هي عبارة قرآنية منبتها قوله تعالى ((حور مقصورات في الخيام))[٢].

---

[١] قلائد العقيان: ٢٥٦.

[٢] سورة ابراهيم، الاية: ٢٤.

[٣] هو أبو عبد الله ابن القاسم أبو مدين فرد من أفراد الرجال وصدراً من صدور الأولياء جمع الله له علم الشريعة والحقيقة كان أبو مدين زاهداً فاضلاً عارفاً بالله تعالى خاض بحار الأحوال ونال اسرار المعارف تخرج على يديه جماعة كثيرة من العلماء والمحدثين ، ينظر نفح الطيب، مج٣٤٣/٩

[١] الاحاطة، ٢: ٤٨٦.

[٢] سورة الرحمن ، الاية:٧٢ .

وفي رسالة ابن سعيد الاب[٣] التي كتبها الى عبد الواحد الموحدي[٤] ملك المغرب مهنئاً له بالخلافة حين بويع بها بمراكش حيث نجد فيها تأثراً بالألفاظ القرآنية اذ يقول في الرسالة ((خليفة له النفس العمرية، الاراء العمرية، والفراسة الاياسية، ولا ينبئك مثل خبير))[٥] قد أخذه من قوله تعالى ((وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ))[٦].

ومن نماذج رسائل التهنئة رسالة ابن الخطيب التي وجهها الى صديقه ابي عبد الله ابي القاسم بن ابي مدين[٧] مهنئاً اياه بشفائه من مرضه اذ يقول فيها ((سيدي الذي ورث الجلالة لا عن كلالة الجامع بين الهيبة وجمال الشيبة وصحة العقل واصالة المجد والسعة المباركة وحسن المشاركة وسلامة الصدر ورفعة القدر وبقية البيت الرفيع المعالم))[٨]، اذ نجده في هذه الرسالة يأخذ قوله تعالى (كلالة) من الاية الكريمة ((وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ))[١].

وبعد التهاني تأتي التعازي حيث حام الكتاب حول المعاني عينها المتداولة ذات المسحة الدينية الطاغية كالارشاد الى الصبر والتسليم التام الى الله تعالة وقدره وتسلية المعزى عما اصابه بمشاركة السابقين من البشر، وغير ذلك مما يمكن ان

---

[٣] هو علي ابن موسى بن عبد الملك بن سعيد ..... بن عمار بن ياسر بن كنانة المذلجي من أهل قلعة يحصب، غرناطي قلعي سكن تونس ولد بغرناطة ليلة الفطر سنة ٦١٠ ووفاته بتونس في حدود ٦٨٥ ينظر نفح الطيب ، مج٣/ ٣٧-٤١.

[٤] هو عبد الواحد بن ابراهيم بن مفرج بن أحمد بن عبد الواحد بن حريف بن مروان الداخل بن حقل الموحدي من أهل غرناطة يكنى ابا محمد ويعرف بالملاحي لنزولهم بقرية الملاحة ولد عام ٥٥٠ وتوفي سنة ٥٨٢ ينظر صلة الصلة ص٢٧.

[٥] نفح الطيب، ٢: ٣٦٤.

[٦] سورة فاطر : ١٤.

[٧] هو عبد الله بن القاسم ابو مدين فرد من أفراد الرجال وصدراً من صدور الأولياء جمع الله له علم الشريعة والحقيقة كان زاهداً فاضلاً عارفاً بالله تعالى خاض بحار الأحوال فنال أسرار المعارف تخرج على يديه جماعة كثيرة من العلماء والمحدثين ينظر نفح الطيب مج ٣٤٣/٩.

[٨] نفاضة الجراب في علالة الاغتراب: ٣٤٨.

[١] سورة النساء، الاية ١٢.

يندرج تحت باب التعزية والرثاء ولعل الرسالة التي انشأها ابن عسكر[٢] معزياً بها احد صحبه واجدها تمثل تلكم الافكار تمثلاً يكاد يكون تاماً حيث قال ((ولست اعزك الله ووقاك باول من افرده الدهر من حميمه وجرعه كأس حميمه، فشيم الزمان عدم الامان... الم يفجع لمالك، وصبره يبكي القبور لقبر ثوى بين اللوى... فاذا علم المرء انه الى الموت ماله وقد درج عليه سلفه وانه سوف يفنى اخره كما افنى اوله)) [٣].

لقد وردت في النص ألفاظ قرآنية منها (كأس، حميمه)[٤].

٣- بكاء المدن الاندلسية الضائعة:

ان سقوط الخلافة الاموية وتهاوي آخر معقل للعرب المسلمين في شبه الجزيرة الايبيرية عام سبعة وتسعين وثمان مائة هجرية اوجدت صدعاً رهيباً في هذه الدول لم ينجح اي من الساسة الاندلسيين في رأبه فأدى الى ان يعيش الاندلسيون تحت ظل من الرعب والقلق المستمر من ذلك العدو النصراني المحيط بهم احاطة السوار بالمعصم فجراء هذه الظروف الرهيبة التي عاشتها وشهدتها الأندلس طوال حقبة طويلة من تاريخها ولاسيما الحقبة التي ندرسها هذه ظهر أدب (بكاء المدن الضائعة)، (ورثاء الدول الزائلة) في الشعر والنثر على حد سواء، لقد قال (الكُتاب) في هذه الاحداث الكبيرة منها هذه الرسالة لابن الابار التي دبجها الى صديقه ابي المطرف وفيها يقول ((واما الاوطان المحبب عهده بحكم الشباب المشيب فيها بمحاسن الاحباب فقد ودعنا معاهدها وداع الابد وافنى عليها الذي افنى على لبد... والاندلس اصيبت باشرافها ونقصت من اطرافها... واجنت ولم تجن الاصقاع))[٢]، نجد ان هذا النص مغلف بغلاف شفاف من الروح الدينية التي اقتضتها طبيعة

---

[٢] هو ابو عبد الله محمد بن عسكر قاضي مالطة توفي بمالطة سنة ٦٣٨ ولى قضاء بلده مرتين وكان فقيهاً مجيداً أديباً بليغاً مشاركاً في العربية وقرض الشعر وقد كان متبحراً في العلوم ينظر ، المغرب في حلى المغرب ج١/ ٤٣١

[٣] اختصار القدح المعلى ص١٣٠ .

[٤] كلمة كأس وردت في سورة الواقعة آية : ١٨ والانسان آية:٥ والطور آية:٢٣ أما كلمة حميم فقد وردت في ١٧ سورة ، ينظر المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم:٤٦١.

[٢] نفح الطيب، ج٦: ٢٤٤-٢٤٥-٢٤٦.

الظرف القائم على الصراع بين الاسلام والمسيحية وهو بذلك يلمح الى قوله تعالى ((أولم يروا كيف ان الارض ننقصها من اطرافها))[٣].

اما النوع الرابع فهو الشفاعة او (التشفع) حيث يقول الكاتب ابو بكر بن ابي مروان[٤] ((والوزير ابو فلان (أبقاه الله) ممن يفتن في شكرك فيسحر المسامع يوقع ذكرك في القلوب، اكرم المواقع حتى يستميل الى مودتك النفوس فتنقاد سمحة القياد ويهتف بالثناء عليك في المحافل فلا يخاف المعارضة والعناد وكان له من رأيك الجميل في سالف المدة اشرف ذخيرة وعدة))[١]، فلفظة القلوب تعبير قرآني مستمد من قوله تعالى ((وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ))[٢].

والنوع الخامس من الرسائل الاخوانية ما تضمن موضوع التحية والسلام ومما اصدره هؤلاء رسالة لابي بحر صفوان التي يحيي فيها ابن مرج الكحل (ت ٦٢٤ هـ)[٣] يقول فيها ((وابلغ اليه تحية كالمسك صدراً، وكالماء الزلال عذوبة وبرداً يسري الى دار ابن نسيم، ويسفر منها بجزيرة... وهي ان كانت تذيب المسك خجلاً وتستفز بصوتها وجلاً فما هي الا خائفة تترقب وسافرة تنتقب (تمشي على استحياء)[١]... ولكن على المجد ان يبدي في قبول نذرها ويعيد لعلمه ان يتيمم من لم يجد الا السعيد))[٤]، في هذه الرسالة تلميحات الى آيات قرآنية منها قول الكاتب لفظة

---

[٣] سورة الرعد، الاية: ٤١.

[٤] هو ابو بكر محمد بن ابي مروان بن عبد الملك بن عبد العزيز اللخمي الاشبيلي، المعروف بابن المرخى، كانت له صلات قوية بالمرابطين حيث كان كاتباً لدى علي بن يوسف بن تاشفين، تنظر ترجمته في الذخيرة، ف٢، م٢، ص٣٣، المغرب ٣٠٧/١.

[١] الذخيرة، ف٢، م٢، ص٥٤٢.

[٢] سورة غافر :آية ١٨.

[٣] هو محمد بن أدريس بن علي بن ابراهيم بن القاسم من أهل جزيرة شقر يكنى أبى عبد الله ويعرف بابن مرج الكحل كان شاعراً مفلقاً غزلاً بارع التوليد حسن الكتابة ذاكراً للأدب متصرف فيه توفي عام ٦٣٤، ينظر نفح الطيب مج٦/ ٣٥٤ وما بعدها.

[١] لفظة تمشي على استحياء وردت في قوله تعالى (فجاءته احداهما تمشي على استحياء) سورة القصص آية:٢٥ .

[٤] النفح، ج٦: ٣٦١-٣٦٢.

(تترقب) مستمدة من قولة تعالى ((فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّب))[٥]، وكذلك لفظة (التيمم) مستمدة من قوله تعالى ((فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً))[٦].

وفي موضوع العتاب يذكر لنا المقري[٧] رسالة اخوانية كتبها ابو بحر صفوان الى احد اخوانه يركز فيها على الالم الذي اصابه من جراء عتابه له وان كان ذلك لم يحل دون امتداحه الاخاء بينهما، يقول فيها ((ادام الله سبحانه وتعالى مدة الاخ الذي استديم اخاءه، وان واجهتني زعازعه ارتقب رخاءه وتجاوزت عن يومه لامدٍ واغضبت عن ظلامه لامد وبعد، فانه وصل كلامك، بل ملامك، وكتابك بل عتابك، ورسالتك بل بالك سممتني بالفاظ العذاب سوء العذاب))[١]، فسوء العذاب تعبير قرآني من قوله تعالى ((يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَاب))[٢].

الرسائل الديوانية:

تعد الرسائل الديوانية ((قوام الملك وضبط قواعده))[٣] لانها ((مجموعة المكاتبات الفنية الصادرة عن ديوان الامارة اصلاً في شؤون السلطان المتباينة ومهام الدولة العديدة في وقتي السلم والحرب مما نسجته ايادي مشاهير كتاب الدواوين بالاندلس))، علماً بانه لم يكن ليرقى الى منصب (الكتابة الديوانية الا الاعلام من ادباء العصر. لذلك كانت العناية بها كبيرة خاصة بالاندلس حيث كان الاندلسيون كثيري الانتقاد على كاتب الرسائل لا يغفرون له زلة فهو محل اجلال واحترام مادام

---

[٥] سورة القصص، الاية ١٨.

[٦] سورة النساء، الاية ٤٣.

[٧] هو محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحيى القرشي المقري يكنى ابا عبد الله قاضي الجماعة في فاس وتلمسان كان صادق القول مفرط الخفة ظاهر السذاجة ذاهب أقصى مذاهب التخلق محافظ على العمل حريص على العبادة ولد بتلمسان وتوفي بفاس عام تسعة وخمسين وسبعمائة ، ينظر الاحاطة مج٢/١٩١-٢٢٦.

[١] النفح، ج٦، ٣٦٤-٣٦٥.

[٢] سورة الأعراف: من الآية١٦٧ .

[٣] المفتاح المنشأ، ١٤.

متمكناً من ادواته فان زل اقل زلة ((لم ينفعه جاهه، ولا مكانه من سلطانه من تسلط الألسن في المحافل والطعن عليه وعلى صاحبه))[٤].

ان نظرة متأملة الى مجموع ما وقع تحت ايدينا من رسائل ديوانية جعلتني اراها وقد عرضها كتابها وفق طريقة تفردت واختلفت عن اختها المشرقية وهذا ما فصله لنا القلقشندي بقوله ((وقد انفردوا عن كتاب المشرق، وكتاب الديار المصرية بامور منها: ان المخاطبة تقع للمكتوب اليه بميم الجمع مع الانفراد كما تقع الكتابة عن المكتوب عنه بنون الجمع مع الانفراد ومنها انهم يلتزمون الدعاء بمعنى الكتابة عند قولهم كتبنا بان يقال ((كتبنا اليكم كتب الله لكم بكذا))[١].

وهذا ما تمثله جميع النصوص الديوانية منهاجاً قويماً لا يحاد عنه اما موضوعاتها الرئيسة فقد وجدتها تجسدت في:

١) رسائل ديوانية صادرة عن الامراء او الولاة لمخاطبة ابناء مجتمعهم او رعيتهم تارة أو من جاورهم من زعامات الاسلام والنصرانية تارة اخرى فيما كانت تشهده المدن الاندلسية آنذاك من معارك سياسية مصيرية فهذه رسالة من انشاء ابي عبد الله محمد ابن الابار كتبها عن الامير ابن مردنيش* احد الثوار المتصرفين في السلطان ببلنسية الى اهل ناحية (ما) بمناسبة توليه والٍ عليهم جاء فيها ((اما بعد فالكتاب كتب الله لكم ملء الجوانب قراراً، وارسل عليكم سماء المواهب مدراراً، من فلان... وجه اليكم فلان والياً عليكم، وثاوياً لديكم وهو ممن خبرت كفايته وارتضيت لجبر احوالكم سياسته وشكر هنا فاوثرتم به هنالك وامضي معه

---

[٤] نفح الطيب، ١: ٢١٧.

[١] صبح الاعشى: ج٧، ص٣٠.

* هو أبو عبد الله محمد بن سعد المشهور بابان مردنيش ذكر لسان الدين في أعمال الأعلام ص٢٩٨، مصاهرته لأبن عياض ثم استيلاءه من بعده على مرسية واستيلاءه على جيان وابدت وبياسة واستجة وقرمونة توفي سنة ٥٦٨ وصادف ذلك دخول عساكر بني عبد المؤمن الى الالندلس فكابد منهم من العمائم والهزائم ما ثبت له وظهرت فيه صرامته إلا أنه استحال حين اشتدت الأمور عليه فصار يرتكب في سبيل تحصيل الأموال القبائح وقتل حتى أخته وأولادها ولم يزل في ملكه حتى مات في فراشه، المغرب في حلى المغرب ج٢/٢٥٠، ٢٥١.

من الاجناد طائفة يحسنون الدفاع والذياد ولايفارقون الجد والاجتهاد، ووراء هذا من كريم العناية وجميل المنظر، ما يقتضي لكم بالفلح والظفر))[٢].

نلاحظ في هذا النص مدى تمسك منشئ الرسالة بالاصول العامة وقواعد الطريقة الاندلسية في الرسائل الديوانية المذكورة آنفاً، ((مع صياغة افتتاحية مبدوءة بعبارة (أما بعد) فذكر للامر المقصود من غير خطبة تمهيدية حتى آخره))[٣].

فمن الالفاظ القرآنية التي وردت في هذا النص ((ارسل اليكم السماء مدراراً)) جاءت في قوله تعالى ((يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً))[١]، وقوله تعالى ((يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً))[٢].

ومن النصوص النثرية الاخرى رسالة كتبها ابن عياش* الى امير المؤمنين الناصر تتضمن اعتذاره عن الهزيمة التي حلت به في موقعة العقاب سنة ٦٠٩ هـ جاء فيها (... كان بين المسلمين وبين اعدائهم يوم ذو كواكب نازعت فيه المواكب على المواكب، وموقف نرجو ان يراه الله لنا وان يقبل فيه عملنا، اشتد فيه الكفاح وأُزهقت فيه الارواح، لكن الله اراد ان يمحص المؤمنين ويبلو فيه الكافرين فكانت عاقبة اليوم على الخصوص لأهل الصلبان والعاقبة المطلقة هي لاهل الاسلام والايمان... هي الحروب قضى الله ان تكون سجالاً وان يجعل الله فيها لكل يوم مجالاً كذلك كانت في زمن النبي (صلى الله عليه وسلم) والوحي غض نضير، وجبريل من السماء الى الارض في كل وقت سفير، وكذلك كانت في زمن الخلفاء (رضي الله عنهم) كل ذلك ليعلم الشاكر الصابر منهم... فما كان الله ليترك المؤمنين حتى يأخذ اعداءهم اخذاً وبيلاً))[٢]، فقوله (العاقبة) هي لفظ قرآني مستمد من قوله

---

[٢] صبح الاعشى، ج٧، ص٣٦-٣٧.

[٣] المصدر السابق، ص٣٦.

[١] سورة هود، الاية ٥٢.

[٢] سورة نوح، الاية ١١.

* هو محمد بن عبد الرحمن بن عياش (٦١٨ هـ) يكنى أبا عبد الله من أهل برشانة من أعمال المرية كتب لبي يوسف يعقوب بن يوسف وولده وحفيده ، ينظر المعجب ، ص١٩٠-١٩١.

[٢] فقوله أخذاً وبيلاً تعبير قرآني مستمد من سورة المزمل: الاية ١٦، البيان المغرب: ٢٦٤، قسم الموحدين.

تعالى ((والعاقِبةُ للمُتّقينِ))[٣] وقوله تعالى ((فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ))[٤]، وقوله تعالى ((نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى))[١]، وقوله تعالى ((لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ))[٦].

ومن الامثلة الاخرى على هذه الصيغة رسالة ابن عطية المسماة برسالة الفصول التي جاءت كاملة في كتاب نظم الجمان[١]، اذ يقول فيها ((فالحمد لله، وهو اللطيف الكريم... وعلى محمد نبيه المصطفى الصلاة المباركة والتسليم ولامته المخلصة في عليين كتابها المرقوم والرضا عن الامام المعصوم المهدي المعلوم الذي بعثه رحمة للمؤمنين... وكتابنا هذا، وكتب الله تعالى لكم كل رأفة ورحمة وسوغكم من اليمن والامن انعم نعمة، وجعلنا واياكم فيمن قدم لدار قرار ونعمة، من الحضرة العلية بتينمل، حرسها الله تعالى لكم كل رأفة ورحمة وسوغكم من اليمن والامن انعم نعمة، وجعلنا وقد وصلنا (والحمد لله) وجناح الرحمة مخفوض))[٢]، ومن الالفاظ القرآنية (وجناح الرحمة مخفوض) من قوله تعالى ((وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ))[٣].

وله ايضاً رسالة وجهها الى الطلبة والموحدين والاشياخ والكافة بفاس وعملها يقول فيها:

((الحمد لله الفتاح العليم، المنزّه بسلطان العقل عن التثليب والتجسيم حمداً يكون الى العوارف سعيداً، الواحد الذي استحال عليه جواز العدد واتخاذ الصاحبة والولد فتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً القاذف بالحق على المبطلين وبالصدق على المكذبين... والصلاة على سيدنا محمد بقية الرسل شاهداً ومبشراً ونذيراً، وداعياً الى الله باذنه وسراجاً منيراً، ومطلع الآيات الكبر، على مراقب السمع والبصر فطوبى

---

[٣] سورة الاعراف: الاية ١٢٨.

[٤] سورة هود: الاية ٤٩.

[١] سورة طه: الاية ١٣٢.

[٦] سورة القصص: الاية ٨٣.

[١] انظر الرسالة في: ابن القطان، ص٥٠، او ما بعدها.

[٢] المصدر نفسه.

[٣] سورة الاسراء، الاية ٢٤.

لمن كان سميعاً بصيراً، والمجاهد بجيش القرآن، من دعاهم الى السجود للرحمن، فقالوا (أنسجد لما تأمرنا، وزادهم نفورا)، وكاسر الصلب والاصنام... وعلى آله وصحبه الذين اتبعوه، قولاً وفعلاً، فكان فاصلاً وسيفهم فاصلاً، ولواؤهم منثوراً، والرضا عن الإمام المعصوم والمهدي المعلوم، معيد الحق وقد اتى عليه حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً))[١]، فقد استخدم الكاتب الايات القرآنية بمعانيها فجملة (أنسجد لما تأمرنا، فزادهم نفورا) تعبير قرآني مستمد من قوله تعالى ((أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُوراً))[٢]، وكذلك قول الكاتب (وقد اتى عليه حين من الدهر) تعبير قرآني مستمد من قوله تعالى ((هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً))[٣].

٢) رسائل ديوانية كتبت عن الاتباع والمريدين من ابناء الشعب بالاندلس مرفوعة الى القائمين بالسلطان من امراء وولاة او ما شابه ذلك فيما احتشد في اذهانهم من قضايا مختلفة.

مثال ذلك ما كتبه عبد المؤمن[٤] خليفة المهدي امامهم الى الشيخ عبد الله محمد بن سعد[١] ((من امير المؤمنين ايده الله بنصره وامده بمعونته الى الشيخ ابي عبد الله محمد بن سعد وفقه الله وسيره لما يرضاه، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته... ولما جعل الله هذا الامر العظيم رحمة لخلقه ومطية لرقيه وقراره لاقامة حقه وحمل حملة الدعاء اليه والدلالة به عليه... والتفكر في نواشئ التغير والزوال وتدبروا جري هذه الامور وتصرف هذه الاحوال واعلموا انه لاعزة الا باعزاز الله تعالى فهو ذو

---

[١] مجموع رسائل موحدية، الرسالة الخامسة والثلاثون، ٢٢٨-٢٢٩.

[٢] سورة الفرقان، الاية ٦٠.

[٣] سورة الانسان، الاية ١.

[٤] هو عبد المؤمن بن علي القيسي الكوفي الذي قام بامره محمد بن تومرت المعروف بالمهدي امتد ملكه الى المغرب الاقصى وبلاد افريقيا وكثير من بلاد الاندلس ويسمى بأمير المؤمنين وكانت ولايته ثلاثاً وثلاثين سنة وشهراً وتوفي سنة ٥٥٨ هـ، ينظر تاريخ المن بالامامة: ١٣٨-٢١٦.

[١] هو المولوي محمد بن سعد المعروف بابن مردنيش خادم عبد الرحمن بن عياض وكان من اهل شرق الاندلس قدموه على انفسهم بعد ان قدموا عليهم ابن عياض المذكور كانت نهايته ان مات قتلاً على يد ابي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن عام ٥٦٧ هـ، ينظر تاريخ المن بالامامة: ١٠٩-١١٢-١٣٧.

العزة والجلال ولا يغرنكم بالله الغرور فالدنيا دار الغرور وسوق المحال وليس لكم في قبول النصيحة))[٢].

فالالفاظ القرآنية التي وردت في هذا النص هي (الغرور) إذ اخذ الكاتب من قوله تعالى ((وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ))[٣].

اما ابن عياش فقد كتب رسالة إلى ملك المغرب من هذا النوع قال فيها ((بل محلك امثل التمثيل بالشمس، فلو كان طلوعك على هذه الاقطار شمساً لاصبح (حُلها لك) عُبّاداً، ولو كان نزولك مطراً لتكيفت الصخور تراباً دمثاً، ولولا معرفتنا معشر اخوان الصفا باقرار انفسنا لحكمنا بان قلوبنا تمايم لاصدقائنا، ولكن سبقت عيون السعادة بالكلات فلو تصادف بالرضا محلاً، لان تحصيل الحاصل محال، لازلت محروساً، بعين الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، مكشوفة ببركة الذي يروم رايم والسلام))، فلفظة (لاتأخذه سنة ولا نوم) تعبير قرآني مستمد من قوله تعالى ((اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ)))[١].

٣) اما النوع الثالث من الرسائل الديوانية فهو (المبايعات)، وكان لها عند الاندلسيين رسوم وقواعد مميزة لايحيدون عنها ذكرها الاستاذ محمد بن شريفة في مؤلفه الموسوم بـ (أبو المطرف) قائلاً: ((ولكتاب الاندلس والمغرب طريقة خاصة لكتابة المبايعات فهم يفتتحونها بتحميد طويل يلتزمون فيه السجع على حرف واحد ثم يؤتى بالبعدية ويدور الكلام الذي يليها حول ضرورة الاجتماع، والحاجة الى الامامة مع الاشارة الى عهد النبوة والخلفاء الراشدين ويتخلص بعد ذلك الى المقصود بالذات وفيه ينص على ظروف البيعة ودواعيها وافضلية صاحبها واستحقاقه لها... ثم تختم بعبارة الدعاء لصاحب البيعة))[٢].

---

[٢] صبح الاعشى، ج٦، ٤٣٢-٤٣٣-٤٣٤.

[٣] سورة لقمان: الاية ٣٣.

[١] سورة البقرة، الاية ٢٥٥.

[٢] ابو المطرف بن عميرة: ١٨٩.

ومن تلك النماذج الاندلسية نورد هذه البيعة التي اخذت على اهل شاطبة من الاندلس لابي جعفر المستنصر بالله العباسي* قام بعقدها ابو عبد الله محمد بن يوسف بن هود* امير الاندلس وبقلم الكاتب ابن عميرة.

يفتتح الكاتب بيعته بتحميد طويل يلتزم في سجعته حرف الراء اذ يقول ((الحمد لله الذي جعل الارض قراراً، وارسل السماء مدراراً، وسخر ليلاً ونهاراً، وقدر آجالاً واعماراً، وخلق الخلق أطواراً، وجعل لهم ارادة واختياراً))[٣]، ثم يأتي بالبعدية فيشير الى التطور التاريخي للخلافة الاسلامية بدأً بعهد النبوة فعصر الخلفاء الراشدين حتى عهد العباسيين فيثني عليهم وعلى ايامهم بالمديح ثم ينصرف اخيراً الى ذكر القائمين بهذه البيعة وهنا يبرز ذكاء الكاتب ابن عميرة في اقتباس ما يناسب المقام، ويقتضيه الكلام من الايات الكريمة والمعاني القرآنية مما نثره بين سطور هذا المقطع من البيعة محققاً بذلك اعلى درجات التأثير الروحي على نفوس المبايعين من اهل شاطبة فلنصغ اليه وهو يقول:

((وعاهدوا عليها (اي البيعة) الذي يعلم السر واخفى[١]، واضمروا منها على ما ابر على الظاهر واوفى وتقبلوا من الوفاء به ما وصف الله تعالى به خليله اذ قال (وابراهيم الذي وفى) واشهدوا الله على انفسكم وكفى بذلك اعتراضاً والتزاماً وشداً لما امر به واحكاماً فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِه)) [٢]، (وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ

---

* المستنصر بن عماد الدولة لم يستطع مقاومة النصارى فسلم إليهم روطة وآل أمره الى ان صادف الفتنة القائمة على الملثمين بالأندلس فنهض فيها ومال اليه الاندلس بقديم ملكه فملك قربطة وغرناطة ومرسية وبلنسيا وما بين هذه البلاد ثم آل أمره الى أن قتله النصارى وقيل أنه نهض الى قرطبة ايام الفتنة على الملثمين وقيل لأنه دخل مرسية سنة ٥٤٠ وإنه قتل في هذه السنة في حروب بينه وبين النصارى ينظر امغرب في حلى المغرب ج٢/٤٣٨.

* هو محمد بن يوسف بن هود الجذامي أمير المسلمين بالأندلس يكنى ابا عبد الله ويلقب من الألقاب السلطانية بالمتوكل على الله من ولد المستعين بن هود كان شجاعاً ثبتاً كريماً فاضلاً وفياً متوكلاًُ عليه سليم الصدر اختلف في سبب وفاته فمنهم من يقول أنه مات خنقاً ومنهم يقول وفاته فجأة في عام خمس وثلاثين وستماية، ينظر الاحاطة مج٢/١٢٩- ١٣٢.

[٣] صبح الاعشى: ج٩، ٣٠.

[١] سورة طه الآية : ٧ .

[٢] سورة الفتح: الاية ١٠.

أَثَاماً)[٣]))، فهذا إن دل على شئ فانما يدل على سمو المكانة التي تبوأها الكتاب في هذا العصر.

ومن نماذج هذه المبايعات رسالة ارسلها ابو الفضل بن محشرة[٤] عن الامير يعقوب بن امير المؤمنين من اشبيلية الى الطلبة والموحدين والاشياخ والاعيان بغرناطة جاء فيها ((ادام الله كرامتكم بتقواه وعرفكم عوارف نعماه ورحماه، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، اما بعد فاننا نحمد اليكم الله الذي لا اله الا هو ونشكره على الائه ونعماه ونصلي على محمد نبيه المصطفى ورسوله... والرضا عن الامام المعصوم المهدي المعلوم... وعن صاحبه وخليفته سيدنا الامام امير المؤمنين القائم من الانتهاض بامر الله مقامه... والدعاء لسيدنا ومولانا الامام امير المؤمنين... وهذا كتابنا اليكم، اسمعكم الله من بشائر هذا الامر العزيز... الخ))[١]، ثم يختمها بالسلام والتاريخ.

فالالفاظ القرآنية في هذا النص واضحة مثل لفظة ((اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ))، وكذلك لفظة آلائه[٢].

الرسائل الاجتماعية:

تناولت الكتابة في الاندلس الموضوعات الاجتماعية المختلفة لان الدولة الاندلسية كانت تدرك ان الاهتمام بالمجتمع يدخل ضمن العناية بسلامة نظامها، وان قوتها تكمن في تماسك المجتمع وضعفها ينتج من تفككه لهذا نجدها تتشدد في محاربة الآفات الاجتماعية بكل انواعها لصيانة المجتمع من الامراض التي تنخر قوته.

---

[٣] سورة الفرقان: الاية ٦٨.

[٤] هو ابو الفضل جعفر بن محمد بن علي بن طاهر بن تميم القيسي، من اهل بجابة، كان كاتباً لعبد المؤمن بن علي في مراكش، ولد عام ٥٤١ هـ وتوفي عام ٥٩٨ هـ، انظر مجموع رسائل موحدية ص ومن المقدمة.

[١] مجموع رسائل موحدية: ١٥٨.

[٢] سورة البقرة، الاية ٢٥٥، سورة الاعراف: الاية ٦٩، سورة الاعراف: الاية ٧٤، سورة النجم: الاية ٥٥، سورة الرحمن: الايات ١٣-١٦-١٨-٢١-٢٣-٢٥-٢٨-٣٠-٣٢-٣٤-٣٦-٣٨-٤٠-٤٢-٤٥-٤٧-٤٩-٥١-٥٣-٥٥-٥٧-٥٩-٦١-٦٣-٦٥-٦٧-٦٩-٧١-٧٣-٧٥-٧٧.

وكان الخلفاء يتبعون في احكامهم تعاليم الشريعة الاسلامية السمحة مهتدين بكتاب الله وسنة رسوله ومقتدين بالسلف الصالح من الصحابة والائمة ومن التابعين.

ولقد اعتمد الكُتاب في هذه الموضوعات الاجتماعية على المعاني القرآنية والدينية التي جاءت في القرآن والاحاديث النبوية، كما نجد ان صيغة الامر والزجر طاغية في هذا الموضوع تماشياً مع سياسية الخلفاء الحازمة في مكافحة الافات الاجتماعية بكل انواعها والتي كانت تظهر في المجتمع من حين لاخر وقد كانوا يقفون دائماً لها بالمرصاد ولهذا جاءت الكتابة في هذه الموضوعات متضمنة للمعاني الاسلامية كما كثر الاقتباس فيها من القرآن الكريم التي تخدم هذه الموضوعات دينياً واجتماعياً وسياسياً.

فمن امثلة ذلك ((فسارعوا وفقكم الله الى حسم هذه العلة من اصلها وبادروا الى قطع هذه العادة الذميمة وفصلها وتغيروا لرسائلكم ارسالاً، وانتقوا من اهل المقدرة على ذلك والثقة رجالاً وادفعوا اليهم زاداً يقوم بهم في المجيء والانصراف وقطع شأنهم من التكليف والالحاف، وارسموا لهم اياماً معروفة العدد معلومة الامد لينتهوا بها الى مواقف رسائلهم، ويوزعوها على مسافات مراحلهم وحذروهم من تكليف احد من الناس، ولو مثقال ذرة وواعدوا من تسبب منهم الى مسلم، باساءة او مضرة))[1].

فمثقال ذرة، تعبير قرآني مستمد من قوله تعالى ((فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ))[2].

التوقيعات:

وجدت التوقيعات[3] في الاندلس ومارس حكام الاندلس هذا الاسلوب فيما كان يعرض عليهم (من الكتب في شكوى حال أو طلب نوال)[1] او في غير ذلك ما

---

[1] الرسالة ذات الوصايا، نظم الحمان: ١٦٢-١٦٣.

[2] سورة الزلزلة: الاية ٧-٨.

[3] للتوقيع معان كثيرة ولعله بهذا المعنى الاصطلاحي مأخوذ من وقع الابل اي اطمأنت بالارض بعد الرمن، لان الكاتب الموقع يطمأن الى تصريفه للامر وقضائه منه او من وقع ظنه على الشيء اي قدره وانزله، لان الموقع يكتب رأيه الذي تدبر فيه او من التوقيع وهو الرأي القريب او الاصابة، لان الموقع يفصل في الامر من اقرب طريق، او من التوقيع وهو اصابة المطر بعض الارض واخطاؤه بعضها، او اثبات بعضها دون الاخر، لان التوقيع الحاق الشيء بالكتاب بعد الفراغ منه (لسان العرب، مادة وقع).

يستوجبه المقام غير أن هذه التوقيعات لم تصل الينا كلها وما وصل منها قليل، غير انه يقدم لنا لمحة عن هذا الاسلوب في ذلك العهد.

ومن توقيعات الخلفاء ما كتبه الخليفة عبد المؤمن بن علي موقعاً على قصيدة كاتبه ابي جعفر بن عطية (أيام محنته) اذ ارسل ابو جعفر وهو سجين قصيدة يستعطف بها الخليفة عبد المؤمن ليمن عليه بالعفو والصفح منها قوله:

عطفاً علينا أمير المؤمنين فقد

بان العزاء لفرط البث والحزن

قد اغرقتنا ذنوب كلها لجج

ورحمة منكم انجى من السفن

والقصيدة في اثني عشر بيتاً، غير ان الخليفة عبد المؤمن لم يستجب لدعوته ووقع على رقعة القصيدة بالاية القرآنية الكريمة ((آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ))[٢].

وهذا ان دل على شيء فانما يدل على ان الخليفة عبد المؤمن قاريء للقرآن فاهم لمعانيه قادر على توظيف اية والاستشهاد بها حين يكون المقام يقتضي العصم والفصل دون الحاجة للاطالة والاطناب وهو يجعل القرار مشروعاً مادام قول الله فيه واضحاً وجلياً.

وكان الخليفة ابو يوسف يعقوب المنصور (مضرب الامثال في هذا الباب)[١]، ومن توقيعاته ما روي عنه انه لما فرغ من قراءة خطاب الفونسو (ملك النصارى) الذي وجهه اليه، يقول فيه:

((من ملك النصرانية الى امير الحنيفية، اما بعد، فان كنت عجزت عن الحركة علينا، وتثاقلت عن الوصول الينا فابعث الي بمراكب من عندك اجوب بجيشي اليك فان هزمتني فهدية مني اليك وانت امير المؤمنين، وان كان لي عليك كنت صاحب الملقين ثم رمى بالكتاب الى ولده موقعاً على ظهره بالاية الكريمة

---

[١] الادب المغربي، ٣٥٨.

[٢] سورة يونس، الاية ٩١.

[١] العلوم والاداب والفنون على عهد الموحدين، ١٨٦.

((ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ))[٢]، ثم طلب من كاتبه ان يكتب على الرقعة ((الجواب ما ترى لا ما تسمع:

فلا كتب الا المشرفية والقنا

ولا رسلٌ الا الخميس العرمرم[٣]

وهو ما يدل دلالة واضحة على ان الحكام مستوعبون للتراث قادرون على حسن الاستعادة منه ويتجلى ذلك في الاستشهاد بالاية الكريمة السابقة حيث يجب الاستشهاد بل كان ذلك الاستشهاد دلالة على القدرة الفائقة على حسن الجواب حسب مقتضى الحال.

ومما يؤكد ذلك ويدعمه ما ورد عن الخليفة يعقوب المنصور بانه طلب من بعض اعيان دولته رجلين لتأديب ولده ليكون احدهما براً في عمله والاخر بحراً في علمه، فجاءه بشخصين زعم انهما على وفق مقترح المنصور فلما اختبرهما لم يجدهما كما وصف، فكتب الي الاتي بهما ((ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ))[١].

وورد عن ابي الربيع السليمان* (امير ناحية سلجماسة) من الخليفة يعقوب المنصور انه وقع ((الى عامل له كثرت الشكاوى منه: قد كثرت فيك الاقوال، واغضائي رجاء ان تتيقظ فتنصلح الحال، وفي مبادرتي الى ظهور الانكار عليك تنبه الى شر الاختيار وعدم الاعتبار، فاحذر فانك على شفا جرف هار))[٢].

ان هذا التوقيع يدل على حكمة صاحبه وحسن سياسته في اصلاح عماله، اذ نجده يمزج الشدة باللين والتأنيب بالتحذير و الترهيب.

---

[٢] سورة النمل، الاية ٣٧.

[٣] نفح الطيب، ج٤، ٩٩-١٠٠.

[١] سورة الروم، الاية ٤١.

* هو ابو الربيع سليمان بن محمد بن أصبع بن وانسوس أصله من البربر ولآبائه رئاسة في مدينة ماردة وساد هو في حضرة قرطبة وصار وزيراً وجل قدره وله نثر متأخر الطبعة وكان وزيراً للأمير عد الله وصارت له حضوة وكان أديباً مفتناً وشاعراً مطبوعاً حسن البيان بليغاً ، ينظر المغرب في حلى المغرب ج٣٦٢/١.

[٢] الاحاطة، مجلد١، ٤١٦ ، والآية في قوله تعالى (ام من اسس بنيانه على شفا جرف هار) سورة التوبة آية:١٢٩.

كانت هذه نماذج من حكام الموحدين على ما عرض عليه وبالتأكيد ليس ذلك هو كل ما صدر من توقيعات والملاحظة الهامة حولها ان اصحابها اظهروا مقدرة فائقة على الارتجال واصابة الهدف وبرهنوا بخاصة على انهم دارسون للقرآن الكريم دراسة جيدة تنم عن فهم عميق وحفظ ممتاز، واثبتوا انهم مطلعون على التراث المشرقي ولا سيما الشعري منه، مجيدون في الاستظهار به حسب مقتضى الحال.

الكتب الواردة عن السلاطين

وقد وضح لنا القلقشندي كيفية كتابة هذه الكتب بقوله: (والرسم في ذلك أن يكتب الأبواب الشريفة ويصفها، ثم يقول : أبواب السلطان الفلاني ويصفه ويذكر ألقابه، ثم يدعو له، ثم يقول سلام كريم ويصفه من فلان، ويذكر السلطان المكتوب عنه ثم يقول : أما بعد حمدٌ لله، ويأتي بخطبة في المعنى تشتمل على التحميد والصلاة على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والرضا عن الصحابة (رضي الله عنهم) ثم يقول : فأنا كتبنا اليكم ويأتي على ما يناسب المقام، ثم ينخرط سلك المقصود الى آخره وتختم بالدعاء)[١].

وهذا مثال على هذا الكتاب (كتب عن أمير المسلمين السلطان أبي عبد الله محمد ابن أبي الحجاج يوسف بن نصر بن الأحمر[٢] صاحب غرناطة من الأندلس الى السلطان الملك الأشرف (شعبان بن حسين)[٣]، ابن الملك الناصر محمد بن

---

[١] صبح الأعشى: ج٨، ١٠٨(بتصرف).

[٢] هو الغني بالله أبو عبد الله محمد ابن السلطان أبي الحجاج يوسف بن اسماعيل بن فرج بن اسماعيل بن يوسف بن نصر ثامن سلاطين بني نصر بالأندلس ولي سنة ٧٥٥ هـ بعد وفاة أبيه فجدد رسوم الوزارة لوزير أبيه ابن الخطيب كان حاذقاً داهية استمر بالملك الى أن توفي سنة ٧٩٣ (ينظر : الاحاطة: ج٢ ص٢-٥٩.)

[٣] هو أبو المعالي الأشرف الثاني ابن الملك الناثر محمد بن قلاوون من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام ولي السلطة سنة ٧٦٤ وقتل خنقاً سنة ٧٧٨هـ ينظر الاعلام :ج٣: ١٦٣-١٦٤.

قلاوون، انشاء الوزير أبي عبد الله بن الخطيب[١]صاحب ديوان إنشاء يشير فيه الى حادثة الفرنج بالأسكندرية الواقعة في سنة سبع وستين وسبعمائة وهي:-

((..... من منزلنا المحبور ، بسعادة غرناطة، دار ملك الجهاد بجزيرة ثغر الأندلس، وإلى الله عنها الدفاع ، والنار بمشكاة نوره[٢] ..... حتى تشفع بتهانيكم الأوتار وتوتر الأشفاع[٣]، وآلاء[٤] لله لدينا ، بنعمة دين الإسلام علينا))[٥].

وقوله : (بين ربهم الذي يقصدونه من كل فج عميق[٦] ويركبون اليه نهج كل طريق ... والله من ورائهم محيط[٧]، وبدمائهم مشعط، وبعباده يصير ولدينه الحق ولي نصير (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ)[٨]))[٩].

وقوله: (فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ)[١٠]، وأحق الله الحق بكلماته وقطع دابر الكافرين[١١]، (وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع

---

[١] هو محمد بن عبد الله سعيد السلماني اللوشي الأصل الغرناطي المولد المنشأ الشهير بابن الخطيب أديب مؤرخ شاعر كان وزير سلطان غرناطة ابي الحجاج وابنه الغني بالله لقب بذي الوزارتين : السيف والعلم، مات قتلاً وهو في سجن سنة ٧٧٦ هـ ينظر نفح الطيب، مج٦، ١٣-٢٢٠.

[٢] أخذه من قوله تعالى : (مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة)، سورة النور، آية ٣٥.

[٣] اشارة الى قوله تعالى :(والفجر وليلٍ عشر والشفع والوتر)، سورة الفجر ، آية ٣.

[٤] وردت لفظة آلاء في سورة الأعراف، آية ٦٩، ٧٤، سورة الرحمن آية ١٣، ١٦، ٢١، ٢٣، ٢٥، ٢٨، ٣٠، ٣٢، ٣٤، ٣٦، ٣٨، ٤، ٤٢، ٤٥، ٤٧، ٤٩، ٥١، ٣٥، ٥٥، ٧٥، ٥٩، ٦١، ٦٣، ٦٥، ٦٧، ٦٩، ٧١، ٧٣، ٧٥، ٧٧.

[٥] صبح الأعشى، ج٨، ١١٢.

[٦] أشار الى قوله تعالى:(وعلى كل ضامرٍ يأتين من كل فجٍ عميق) سورة الحج، آية ٢٧.

[٧] أخذه من قوله تعالى : (بل الذين كفروا في تكذيب والله ورائهم محيط) سورة البروج، آية ٢٠.

[٨] سورة التوبة: آية ٣٣.

[٩] صبح الأعشى : ج٨: ١١٤.

[١٠] (لأعراف:١١٩).

[١١] أخذه من قوله تعالى: (فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (الأنعام:٤٥) .

الصابرين)[١]..... ومجلس صنيعة راق عيون المؤمنين جمالها، فاهتزت بها الأرض وربت[٢] ،ويشكر الله جل جلاله أعْرَبَتْ))[٣].

[١] اقتباس قرآني من قوله تعالى في سورة البقرة ، آية ٢٤٩.

[٢] اقتباس قرآني من قوله تعالى (وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت) سورة : الحج ، آية ٥.

[٣] صبح الأعشى: ج٨، ١١٥.

الفصل الثالث

أثر الفاصلة القرآنية

في

النثر الاندلسي

الفصل الثالث
أثر الفاصلة القرآنية في النثر الأندلسي

عرفت الفاصلة القرآنية تعاريف كثيرة وخاض فيها العلماء والأدباء وقاموا بدراستها كثيراً فبينوا فيها غايتها الايقاعية[١] .

والفاصلة القرآنية هي ((حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني))[٢].

وقد عرفها السيوطي في الاتقان أنها : ((كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع))[٣].

وعرّفها المحدثون بأنها ((كلمة آخر الاية كقافية الشعر وسجعة النثر والتفصيل هو يتوافق أو آخر الآي في حروف الروي أو في الوزن مما يقتضيه المعنى وتستريح النفوس))[٤].

(وقد أشتق لفظ الفاصلة من الايات القرآنية الاتية : ((كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ))[٥] ، وقوله تعالى : ((وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِيّاً لَقَالُوا لَوْلا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ))[٦])[٧]

وتكمن أهمية الفاصلة القرآنية في كونها عنصراً مهماً في تأمل الآية القرآنية وما تؤديه من وظيفة أسسها الايقاع الموسيقي في الايات القرآنية[٨].

---

[١] ينظر ، الاتقان : ج٢/٩٦، البرهان في علوم القرآن، ج٢/٥٣. الفاصلة القرآنية :١٨، الفاصلة في القرآن:٤٩.

[٢] الفاصلة في القرآن :٢٩.

[٣] الإتقان: ج٢/٩٦.

[٤] الفاصلة في القرآن : ٢٩.

[٥] (فصلت:٣).

[٦](فصلت: من الآية٤٤).

[٧] الإتقان ج٢/ ٩٦ ، وكذلك الشعر الاندلسي من الفتح حتى سقوط الخلافة : ٧٢.

[٨] أثر القرآن الكريم في الشعر الأندلسي من الفتح حتى السقوط : ٧١.

وكذلك فإن ((للفاصلة أثرها في إعطاء الاية جرساً موسيقياً مناسباً لذا عنى القرآن بتوافقها في كثير من السور والآيات))[١].

وقد أهتم العلماء العرب بالفاصلة القرآنية اهتماماً خاصاً لأنها (النوع الذي يباين القرآن به سائر كلام العرب لذا ارتفع عن قيود القافية وسجع النثر لينفرد بنوع خاص به ومميز له وهي ((أواخر الآيات في كتاب الله عز جل))[٢] .

وقد اختلف العلماء في تسمية آخر الاي بالفاصلة إذ سماها بعضهم بالسجع وعارض آخرون من أن يكون في القرآن الكريم سجع لما في السجع من تكلف في أغلب أحيانه وكلام الباري عز وجل منزه عن هذا وكذلك فإن الله سبحانه وتعالى قد سلب اسم النثر من كلامه، لذلك وجب عدم إطلاق السجع عليه لذلك وتُعد الفاصلة بلاغة والسجع عيباً* .

والفاصلة القرآنية تعد مركز الثقل في الآية القرآنية ومدلولها زيادة على علاقتها بما قبلها بحيث تنساب إنسياباً وهذا ما أبرزه العلماء عند تعريف الفاصلة من أنها توجب حسن إفهام المعاني ((ونحن نحس عندما نسمع القرآن الكريم أو نتلوه أن لهذه الفواصل نغمات نفسية ومعنوية وإيقاعاً يعطي الانسان روحاً ويحس عندها بمتعة فنية مؤثرة تبث في الفؤاد الطمأنينة والارتياح[٣].

---

[١] الجرس والايقاع في تعبير القرآن / كاصد الزيدي : ٣٥١، مجلة آداب الرافدين .

[٢] الفاصلة في القرآن :٤٩.

* ينظر النكت في إعجاز القرآن : ٩٧-٩٩ / البرهان في علوم القرآن ١: ٥٣-٩٨ / الاتقان ٣: ٢٩ / الفاصلة القرآنية :٣٨.

[٣] الفاصلة القرآنية : ٣٨.

وتجعل الآذان لا تمل القرآن الكريم على طول التلاوة لما تحققه من جمال صوتي محدثة نغمة موسيقية لها أثر بالغ في النفس لما ينشأ عنها من تناغم لفظي بسبب التناسق اللفظي للحروف داخل الفاصلة الموزونة الواحدة والذي يشكل مع فواصل أخرى ايقاعاً مميزاً.

إن الغاية النفسية التي يروم تحقيقها الكاتب الاندلسي من خلال الاتيان بسجعة متأثرة بوقعها الصوتي في الايقاع القرآني هي التأثير في المتلقي وسحبه الى ما وراء هذا الايقاع من معان وأفكار فيشده اليه فضلاً عن اقتراب الكاتب من الذروة الايقاعية القرآنية العالية. ولم يخف الجمال الموسيقي للفاصلة القرآنية على الكاتب الاندلسي فكانت ضمن دائرة تأثره بهذا الكتاب العزيز فاستعان بها بما يلائم أفكاره وموضوعاته النثرية وقد استعان الكاتب الاندلسي بالفواصل القرآنية من خلال توظيفها في سجعات نثره وسنوضح ذلك من خلال عرض الامثلة.

فهذا الكاتب ابن ابي الخصال أورد لنا رسالةً في الشوق والحنين التي تندرج ضمن الأخوانيات أو الرسائل الاخوانية لأنها تعبر عن مواقف وجدانية بحتة مثل الشوق والفراق عن الأصدقاء والاخوان والاحباب فمما كتبه أبن ابي الخصال في هذا الباب قولهُ في رسالته السراجية[١] :-

((الشوق ما اقتاد العصيّ وألزم التسيار للمكان القصيّ – رب شوقٍ أبدع بالمطي وخطا على صدور الخطِّي – لا يعدم مال الكريم عادةً من الأفضال تُشنّ ، وعادة من الاحسان تُسنّ))[٢].

[١] وهي تسمية أطلقها صاحب كتاب (المغرب في حلى المغرب) على رسالة من رسائل أبن أبي خصال لأن رسالته قد بدأت بعبارة السراج بقوله،:(الريح تلعب بالسراج)

[٢] المغرب ٢/٦٦.

فالرسالة موجزة في عباراتها واضحة في معناها جميلة في مضمونها استطاع كاتبنا أن يحقق بحرف الياء ايقاعاً صوتياً بإيحائه لفاصلة قرآنية وردت من قوله تعالى : ((فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِيّاً))[١] .

ولكاتبنا أيضاً رسالة في التعزية والرثاء كتبها معزياً بوزير قال فيها : ((يا سيدي وواحدي، ومحل الابن المبرور، والأخ المشكور، عندي أعزك الله بالتقوى، ورّضاك بما قضى، وأمدك بالنعمى، وشملك بالحسنى، كتبته – أعزك الله – وقد وصل كتابك الكريم بما نفد به القدر الذي هو في العباد حتْم، ولهُ في كل عنق ختم، في الوزير الفقيه الشهيد أبيك كان رحمه الله وأكرم مثواه، وجعل الحسنى التي أعدها لأوليائه مقره ومأواه، فأسفت كل الأسف لفقدانه، وقد كان عيّنَ زمانه، وعمدة إخوانه ، تغمده الله بغفرانه، ونقله الى رضوانه ، وتلك– أعزك الله– غاية الأحياء، وسبيل الأعداء والأحياء كان على ربنا جل وعلا حتماً مقضياً، ووعداً مأتياً))[٢].

فالكاتب قد ضمن الفاصلة القرآنية في رسالته فالكلمات (حتماً مقضياً) و (وعداً مأتياً) أخذها الكاتب من قوله تعالى :((وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ))[٣]. (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً)[٤].

أما في رسائل الشوق والوجد الديني فنجد أبن أبي الخصال يبعث برسالة الى قبر الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد أفتتحها بمدحه وذكر صفاته الطيبة ومناقبه العظيمة ومآثره الكبيرة ومعجزاته البينة حيث يقول :

((الى الرؤوف الرحيم، الرسول الكريم، ذي الخلق العظيم، والحسب الصميم، والصفح الجميل... ، خطيب الأنبياء ، وإمامهم في اليوم المشهود، المكين الأمين،

---

[١] (سورة مريم: الآية ٢٢) .

[٢] صبح الأعشى : ٨٨/٩.

[٣] (التوبة: من الآية٧٢) .

[٤] (مريم:٧١).

الذي ليس على الغيب بضنين، ...))[١]، كالفاصلة القرآنية هنا تتمثل بحرف النون الذي حقق للكاتب إيقاعاً خارجياً وفر له مساحة صوتية طويلة تتناسب مع من يمدحه الكاتب وهو الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) فأدى ذلك الى حدوث توافق بين المظهر الصوتي وفكرة الكاتب من خلال الاستعانة بحرف النون وجرسه الصوتي ((المجهور بين الشدة والرخاء))[٢].

فقد تأثرت بفاصلة واحدة من سورة التكوير ((وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ))[٣].

وللكاتب أبن ابي الخصال رسالة بعثها الى الوزير ابي بكر بن عبد العزيز[٤] كتب بها إليه مع حاج يضرب القرعة :

(أطال الله بقاء وليّ وإمامي الذي له إكباري وإعظامي ، وفي سلكه اتسامي وانتظامي والى ملكه انتسابي واعتزازي وبوده افتخاري وانتزابي .... ونثرتم نظام الحدس فما انتشر سألتم عن روح شارد، وشيطان مارد، وصادر مع اللحظات وارد ، لا يوطن داراً، ولا يأوي قراراً، ولا يطعم النوم الا غراراً، نعم أمره عندي مستقر، وهو زنديق مستتر، وشهاب من شهب الكفر مستمر ثم رجع البصر واختصر وعاد الى الحساب يتقراه، والصواب يتحراه)[٥] .

---

[١] أزهار الرياض ٤/٢١.

[٢] الأصوات اللغوية : ٦٦.

[٣] (التكوير:٢٤)

[٤] هو محمد بن أبي بكر بن عبد العزيز بن محمد بن ابراهيم أبن سعد الله بن جماعة مولده كان سنة تسع وخمسين وسبعمائة وحفظ القرآن في شهر كل يوم حزبين واشتغل بالعلوم على كبر وكان يعرف علوماً عديدة منه الفقه والتفسير والحديث والجدل والخلاف والنحو والصرف والمعاني والبيان والبديع وغير ذلك من العلوم، مات في جمادي الآخرة سنة تسع عشر وثمانمائة بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج١/٣٦-٦٦.

[٥] الاحاطة : ٤٠٨.

فاستعار الكاتب كلمات (مستقر، البصر) وهي فواصل قرآنية من قوله تعالى ((وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ))[١] ، ((فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ))[٢].

فقد وفّر الكاتب حرف الراء للنص النثري مظاهر ايقاعية داخلية اثرت النص.

وفي الرسالة نفسها نجد اقتباسات لفواصل قرآنية كثيرة إذ يقول في نفس الرسالة :

((وقال ألم يأنُ أن تدينوا لي بالاكبار وتعلموا أني من الجهابذة الكبار، فقلنا منك الاسجاح فقد ملكت ومنك ولك النجاح، أية سلكت فاطرق زهواً، واعرض عنا لهواً ،وقال اعلموا أن القرعة لو طوت أسرارها، ومنعتني أحبارها، لمزقت صدارها ، وذروت عبادها، ولكان لي عنها أوسع منتدح، وأنجد زناد، يقدح، أين انتم عن رصدي الاحلاك ، وعلمي بالافلاك، أنا في مرج الموج، وأوج الأوج، والمتفرد بعلم الفرد والزوج))[٣] .

في هذا النص وظّف الكاتب في نصه النثري حرف النون كفاصلة قرآنية وهذا التوظيف لا يخرج عن غاية أسلوبية صوتية شأنها الارتقاء بكتاباتهم النثرية للتدليل على ثقافتهم الدينية المتأصلة في نفوسهم فمرج الموج كلمات أقتبسها الكاتب من كتاب الله عز وجل من قوله تعالى : ((مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لا يَبْغِيَانِ))[٤].

---

[١] (القمر:٣) .

[٢] (الملك: من الآية٣)

[٣] الإحاطة مج٢: ٤١٠.

[٤] (الرحمن:١٩- ٢٠) .

ولمحمد بن ابراهيم الحميري[١] رسالته بعثها الى شخصٍ مجهول لم يذكر اسمه قال فيها :

تحملها يا نسيم نجدية النفحات، وجدية اللفحات، يؤدي على نغمها الى الاحبة سلاماً، ويورد عليهم لفحها برداً وسلاماً، ولا تقل كيف تحملني ناراً، وترسل على الاحبة مني إعصاراً، كلا إذا أهديتم تحية أيناس وأنسوا من جانب هبوبك[٢].

فقد استدعى ذلك الكاتب حضور الفواصل القرآنية ((بَرْداً وَسَلاماً))[٣] . مقتبساً إياها ليضمن بها كتاباته النثرية وهي فواصل قرآنية لآية بينة من قوله تعالى : ((قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ))[٤] .

ولأبن خاتمة الانصاري[٥] : نص كتبه في استهلال شهر رمضان يقول فيه:-

((سلامٌ على أنس المجتهدين، وراحة المتهجدين، وقرة أعين المهتدين، والذي زين الله به الدنيا، وأعز به الدين، شرف الله به الاسلام، وجعل أيامه رقوماً ..... فعلم الله أني نويت التوبة أولاً وآخراً أملت الاداء باطناً وظاهراً، وكنت على ذلك لو هدى الله قادراً، وإنما علم من تقصير الإنسان ما علم وللمرأ ما قضي عليه به وحكم وإن النفس لأمارة بالسوء إلا من رحم، فإن غفر فبطولهِ وإحسانه))[٦].

فالنفس الأمارة بالسوء استخدمها الكاتب ليناسب ذكر شهر الطاعة حيث يكثر من تلاوة الذكر وإقامة الليل وينبه الانسان الى كبح جماح هذه النفس الأمارة بالسوء فجعل القارئ يقفز بذاكرته إلى آيات بينات ختمت بهذه الفواصل القرآنية منها قوله

---

[١] هو محمد بن ابراهيم بن عيسى بن داود الحميري من أهل مالقة يكنى أبا عبد الله يعرف بأبن عيسى كان أديباً حسن الخط جيد انظم منطرفاً توفي سنة ٧١٦ هـ تنظر ترجمته في الاحاطة مجلد ٢/ ص٣٧١.

[٢] الاحاطة: ٣٧٢.

[٣] (الانبياء: من الآية٦٩).

[٤] (الانبياء:٦٩).

[٥] هو محمد بن علي بن محمد بن فاتحة الانصاري من أهل المرية يكنى أبا عبد الله كان أديباً بارعاً، شاعراً حلو الكلام مبرزاً في نظم الطريقة الهزلية بلسان عوام الاندلس الملقب بالزجل توفي عام ٧٥٠ أثر اصابته بالطاعون تنظر الاحاطة (مج٢، ص ٤٩١-٤٩٤.

[٦] الاحاطة : مج٢/٥٠٠.

تعالى :((وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ))[١] .

وقال أيضاً في استهلال شهر شوال :

((ولكل مقامٍ مقال، الله أكبر هذا هلال شوال قد طلع وكر في منازله وقطع، وغاب احد عشر شهراً، ثم رجع، مالي أراه رقيق الاستهلال، فض الهلال وروحاً تردد في مثل اعلال، ما باله أمسى الله رسمه، ... وتبلغ مأمله، ولذلك ما مدّت لذيذ السماح، فتعرض بالعشي، وارتصدها في الصباح مع ما ايقنا به من الانقطاع، ويئسنا من الاجتماع كما نفد العذر، وصدر الخير، وقال تعلن لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر، فوجد لذلك وجداً شديداً))[٢].

تعد فاصلة الراء من الفواصل القرآنية التي جذبت انتباه الكتّاب لما لحرف الراء من وقع صوتي في تبيين قدرة الله تعالى في تسيير الكون في هذه الآية الكريمة فقال تعالى ((لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ))[٣].

وله أيضاً في النص نفسه : ((عندما طلعت الشمس بوجه كدور المرآة، ولون كصفا المهراة، وخرج لا ينسيها ريم الفلاة، وقضوا السنّة، وبذلوا الجهد في ذلك والمنة، وسألوا من الله أن يدخلهم الجنة ثم خطبوا حمداً لله وشكراً، وذكروه كذكرهم آباءهم أو أشد ذكراً ثم انصرفوا راشدين))[٤].

في هذا النص قد جمع الكاتب فاصلتين في وقت واحدٍ فقد جمع بين حرفين (الراء + تنوين الفتح) فجاء حرف الراء وبعده الألف المنونة في الترتيب من حيث الاستعمال ملبياً الفائدة والغاية الصوتية من توظيفه بهذا الشكل. فعبارة ((وذكروه

---

[١] (سورة يوسف:٥٣) .

[٢][٢] الاحاطة : مج٢/٥٠١.

[٣] (يّس:٤٠).

[٤] الاحاطة : مج٢ / ٥٠٢.

كذكرهم آباءهم أو أشد ذكراً)) أخذها الكاتب من قوله تعالى : ((فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً))[1] .

[1] (البقرة: من الآية٢٠٠).

الباب الثاني

البناء المعنوي

الفصل الأول

أثر القصص القرآني

في

النثر الأندلسي

أثر القصص القرآني في النثر الأندلسي

القصة لغة واصطلاحاً

لفظ القصة لغة متأتٍ من : الحفظ والتتبع والأخبار (يقال : قصصت الرؤيا على فلان اذا أخبرت بها)[١].

وبالنظر في المعنى اللغوي للقصة نجد أن اشتقاقها يتلاقى مع المفهوم الذي قامت عليه أصل التسمية للقصص القرآني.

فالقصة مشتقة من القص وهو (تتبع الأثر)[٢].

وجاءت في القرآن الكريم في قوله تعالى : (وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ)[٣] أي تتبعي آثاره على ما انتهى اليه أمره، ويقال : قصصت أثره واقتصصته وتقصصه، وخرجت في اثر فلان قصصاً ، وفي القرآن قوله تعالى (فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصاً)[٤].

أما أصطلاحاً فتعرف بأنها : ((حكاية حوادث وأعمال وتصوير شخصيات بأسلوب مشوق، ينتهي الى غاية مرسومة وهدف مقصود))[٥].

---

[١] لسان العرب:مادة قصص .

[٢] معجم مقاييس اللغة: قصص .

[٣] (القصص:١١)

[٤] (الكهف: من الآية٦٤)

[٥] المفيد من الأدب العربي، ١/ ١٣٢-١٣٣.

أو هي " تركيب أدبي تتحول خلاله الشخصيات وتنمو الحوادث وتترابط العناصر القصصية على خطة مقصودة، وتدبير محكم من خارج حياة القصة نفسها أي يقصد القاص وتدبيره ووعيه "[١].

بعد هذا الاشتقاق اللغوي والاصطلاحي للقصة نستنتج أن القصة معناها : كشف آثار وتنقيب عن أحداث نسيها الناس أو أغفلوا عنها، وغاية ما يراد بهذا الكشف هو إعادة عرضها من جديد لتذكير الناس بها " لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ"[٢].

طريقة عرض القصة القرآنية:

فالقصة القرآنية تعرض بالقدر الذي يكفي لأداء هذا الغرض الديني ومن الحلقة التي تتفق معه فمرة تعرض القصة من أولها، ومرة من وسطها، ومرةً من آخرها، وتارةً تعرض كاملة، ... حسبما تكون العبر، من هذه الجزء أو ذاك، "لأن الهدف التاريخي لم يكن من بين أهداف القرآن الأساسية كالهدف القصصي، فسارت القصة وهدفها الأول هو الهدف الديني"[٣](ثم ان هذه القصص في جانبها الفني جاءت باشكال وأخبار مختلفة تارةً بسردها كاملة كقصة يوسف واخرى متفرقة في أكثر من سورة كقصة آدم وإبراهيم وموسى وعيسى أو بإشارة كقصص ذي الكفل وإلياس واليسع وبهذه الصورة اضافة فن الى الفنون الادبية) [٤].

لأن القرآن يأخذ من القصة ما يحقق هدفه ومبتغاه من التهذيب والوعظ، فحيناً يقص القصة كلها مثل قصة يوسف، ومرةً يأخذ من القصة بعضها اذا كان بعضها يحقق هدفه ومبتغاه وقد يشير الى القصة تلميحاً يستغني به عن الاطالة باعتماده على كون القصة معروفة ((فالخطيب حين يستشهد بقصة من القصص لا

---

[١] فن القصة: ٧.

[٢] سورة يوسف: آية : ١١١.

[٣] التصوير الفني في القرآن : ص١٤٨.

[٤] القصص القرآني في الشعر الأندلسي : ٦ .

يعمد إلى القصة كلها فيسردها، وإنما يكتفي بجزء منها فيورده في خطبته، وأحياناً يكتفي بالايماء الى القصة والاشارة اليها من غير أن يكون في مثل هذا العرض نقص في الخطبة أو اعتراض على الخطيب))[١].

وعليه فالمناسبة الموضوعية هي التي تحدد طريقة العرض وخصائص أداء القصة " فالقرآن كتاب دعوة ودستور لأمة لها نظامها ومنهج حياة لا كتاب رواية أو تاريخ تسجل فيه وقائع ، وفي سياق الدعوة يجيء القصص المختار بالقدر وبالطريقة التي تناسب الجو والسياق، وتحقق الجمال الفني الصادق الذي لا يعتمد على الخلق والتزويق ولكنه يعتمد على ابداع العرض، وقوة الحق، وجمال الأداء"[٢].

وقد أدرك كتاب القصة أخيراً هذه الميزة في القصة يقول الدكتور محمد غنيمي هلال : " ومن النوع الاخير من القصص توزع الأضواء على الصور توزيعاً موحداً متعادلاً بل يختار الكاتب الجوانب الموحية، ويلقي عليها أضواء مختلفة ما بين ضعيفة وقوية، ليترك الجوانب الأخرى تغوص في الظلام كي ينفذ القارئ بفطنته الى الجوانب المطموسة، مستدلاً عليها من الجوانب المضاءة وبهذا الاختيار والإيحاء تكتسب الأحداث والشخصيات المنوعة معانيها المقصودة، وتتوحد فيما تهدف اليه جميعاً مع قصد الكاتب في قصته، فيضفي هذا التنوع على وحدة القصة قوة ووضوحاً"[٣].

فالقصة إذن (اختيار وتنسيق ، اختيار الحادثة أو عدة حوادث تبدأ وتنتهي في زمن محدد وتصور غاية معينة، وتساق جزيئاتها سياقة معينة لتؤدي إلى تصوير هذه الغاية فليست مجرد تسجيل لخط سير الزمن والحوادث بلا بدء ولا انتهاء ولا لتسجيل خواطر وانفعالات بلا ترتيب ... كذلك تصنع القصة وهي تصور فترة من الحياة بأحداثها ووقائعها ذات بدء ونهاية ثم تزيد فتنسق جزيئات هذه الفترة بحيث

---

[١] من بلاغة القرآن: ص٣٦٨.

[٢] الظلال: ٦٤/١.

[٣] النقد الأدبي الحديث: ص٥٥٨.

تكون لها خاتمة كأنما تقف الحياة عندها لحظة وهي لا تقف أبداً قبل أن تتابع السير الى غير انتهاء"[١].

وأخيراً لابد لنا من عرض الأمثلة على هذا النوع من القصص القرآني لكي نبين كيف تعامل الكاتب الاندلسي مع هذا النوع من القصص على الرغم من نزرة ما استطعت الوقوف عليه من قصص قرآني تكون على عدد أصابع اليد.

١. قصة يوسف (عليه السلام)

أثر قصة النبي يوسف (عليه السلام) وجدناه عند الكاتب الاندلسي (ابن الجنان)[٢]، في كتاباته النثرية اذ يقول في نص له :

((وكانت كالقوس أرنت وقد أصمت القنيص والمراودة، وربما يظن بها الصدق، وظن الغيب ترجيم))[٣]، في هذا النص أشار الكاتب من خلال هذه الألفاظ القرآنية الى جمال النبي يوسف (ع) الذي حدا بامرأة العزيز أن تحاول إغواءه حيث قال تعالى : (وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ *)[٤].

فقصة يوسف التي تناولها كاتبنا في هذا النص وقد أخذ بعض أحداثها مثل جمال يوسف وما جنى عليه هذا الحسن والجمال من مصائب وويلات من خلال محاولة امرأة العزيز اغواءه والوقوع في حبه .

---

[١] النقد الأدبي أصوله ومناهجه: ص٧٦.

[٢] هو محمد بن محمد بن احمد الانصاري من أهل مرسية يكنى أبا عبد الله ويعرف بابن الجنان كان محدثاً راوية ، ضابطاً كاتباً بليغاً، شاعراً بارعاً، رايق الخط ، ديناً فاضلاً، زكياً ، خيراً، استكتبه أمراء الأندلس وكانت كتاباته شهيرة تضرب بذكره فيها الامثال انتقل الى بجاية فتوفي فيها في عشر سنة ٦٥٠ هـ ، ينظر الاحاطة مج٢/ ص٣٤٨-٣٩٥.

[٣] الاحاطة : مج٢ / ٣٥٥-٣٥٦.

[٤] يوسف :الآية ٢٣-٢٥.

وفي موضع آخر نجده يقول : (أن قال الحكمان منها كان النشوز، عادت حرورية العجوز ، وقال التحكم في دين الله لا يجوز ، فعند ذلك يحصحص الحق)[١]، أخذه الكاتب من قوله تعالى : (قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ)[٢].

واخيراً يمكن أن نقول أن الاندلسيين قد تأثروا كثيراً بهذه القصة (لوجود التشابه بين الأحداث في الأندلس وبين أحداث قصة يوسف فلجأوا اليها لتقوية معانيهم بأمثلة لها قوة دينية في المجتمع الاسلامي)[٣].

قصة النبي موسى (عليه السلام)

لقد وردت قصة النبي موسى (عليه السلام) في القرآن الكريم من قوله تعالى:(وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ)[٤]. وقوله تعالى : (أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي)[٥] .

فنجد هذه القصة كاملة عند ابن طفيل[٦]، في قوله : (فلما خافت أن يفتضح أمرها وينكشف سرها، وضعته في تابوت أحكمت زمه، بعد أن أروته من الرضاع

---

[١] الاحاطة: مج٢/ ٣٥٦.

[٢] (يوسف: من الآية٥١)

[٣] أثر القرآن الكريم في الشعر الأندلسي: ١١٨.

[٤] (القصص:الآية ٧) .

[٥] (طه:الآية ٣٩) .

[٦] هو أبو بكر محمد بن عبد الملك بن محمد بن طفيل القيسي، من قبيلة قيس المعروفة ولد نحو (٥٠٠ هـ) في وادي آش قرب غرناطة وتوفي عام (٥٨١ هـ) درس ابن طفيل الطب كما اشتغل كاتباً لعامل غرناطة وكاتباً في ديوان الأمير أبي سعيد حاكم طنجة ثم أصبح طبيباً ووزيراً للسلطان الموحدي ابي يعقوب يوسف وكان لابن طفيل تأثير كبير على الخليفة وقد استثمر ذلك في جلب العلماء الى البلاط ، ينظر، الاحاطة: مج٢/ ٤٧٩-٤٨٢.

وخرجت به في أول الليل في جملة من خدمها و ثقاتها الى ساحل البحر، قلبها يحترق صبابة به، وخوفاً عليه، ثم أنها ودعته وقالت : اللهم أنك قد خلقت هذا الطفل ولم يكن شيئاً مذكوراً، ورزمته في ظلمات الأحشاء، وتكفلت به حتى تم واستوى، وأنا قد سلمته الى لطفك، ورجوت له فضلك، خوفاً من هذا الملك الغشوم الجبار العنيد، فكن له، ولا تسلمه يا أرحم الراحمين، ثم قذفت به في اليم، فصادف ذلك جرى الماء بقوة المد فاحتمله من ليلته الى ساحل الجزيرة الأخرى)[١].

فالكاتب هنا يبين لنا الحالة الصعبة للأم وهي تلقي بفلذة كبدها في اليم وتضعه في تابوت ثم يتأزم وضع الأم أكثر فأكثر حينما اوحى لها الله تعالى بأن ولدها سوف يأخذه عدوٌ لي وله فهو اتمام للحالة الصعبة والحرجة التي تمر بها هذه الأم .

ومثال على ذلك أيضاً ما أورده الشريشي[٢] عن قصة النبي موسى (ع) حين ورد ذكر أم موسى (ع)، في المقامة الخامسة وهي (الكوفية) وجاء فيها :

(فقال : أن مرامي الغربة الى هذه التربة ، وأنا ذو مجاعة وبؤس وجراب كفؤاد أم موسى)[٣]، فهو يشير الى أن سبب بؤس اغترابه وترحاله هو جوعه وبؤسه الدائم فيستغل الشرشيني ذكر أم موسى (ع) ليسرد القصة شبه كاملة موثقاً شرحه بالايات القرآنية الكريمة ويحيل في نهاية حديثه الى سورة الكهف لتكملة القصة فيقول :

---

[١] حي بن يقظان: ٢٨.

[٢] هو أبو عباس أحمد بن عبد المؤمكن بن موسى بن عيسى بن عبد المؤمن القيسي الشريشي كان كاتباً بليغاً فيما يرويه، مبرزاً في النحو العربي، عارفاً باللغات ، محياً للآداب أثر الرحلة في طلب العلم توفي عام ٦١٩ هـ، ينظر الذيل والتكملة س ١: ٢٦٨/١-٢٧٠.

[٣] ينظر ، شرح مقامات الحريري: ٢٠٢/١.

(وأما رجوعه الى فرعون بأنه رسول الله الى أن غرق فرعون في البحر وجنوده فمذكور في الثامنة عشرة)[١]، والمقصود (بالثامنة عشرة) هي سورة الكهف لأنها تحمل الرقم (١٨) في تسلسلها القرآني الكريم.

وقد يعمد الكاتب الأندلسي الى أخذ أكثر من حدث من أحداث قصة النبي موسى (ع) مثلما فعل القاضي ابن فرس[٢]، إذ يقول في جواب له للخليفة المنصور الموحدي : " اقول لك ما قاله موسى (عليه السلام) لأخيه هارون : (وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ) [٣] .

فالصيغة الدينية في هذا النص واضحة تدل على جمال أسلوب الصياغة.

أما لسان الدين بن الخطيب فقد أشار الى قصة النبي موسى (عليه السلام) في كلامه الى ابن مرزوق[٤]، في شفاعة إذ قال فيها : ((سيدي الأعظم، وملاذي الأعصم وعروة عزي الوثقى التي لا تفصم أبقاك الله تعالى بقاء آثارك آية للعز تأمر الدهر فيأتمر .... الموسد على أولياء وطاء لطفه المغشى بغطاء رعيه، قلبٌ خافقٌ، وقلب مؤمن يجول بهِ وسواس منافق (وقد تجاوز موسى مجمع البحرين)[٥]والصبح سرى بابه سرى العين)[٦].

---

[١] م. ن. : ١/ ٢٠٥.

[٢] هو القاضي عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم بن فرج الخزرجي أبو محمد المعروف بابن الفرس رجل دين أندلسي جليل وفقيه غرناطي ذائع الصيت، وحافظ متقن لمذهب الجزيرة التقليدي، وقد اختلفت الروايات في تحديد سنة وفاته، فهي عند صاحب الاحاطة ٥٩٧ هـ في حين انفرد السيوطي بجعلها سنة ٥٩٩ هـ، ومولده كان عام ٥٢٤ هـ، ينظر الاحاطة : مج٣، ٥٤٢.

[٣] الاحاطة مج٣/ ٥٤٤، اشارة الى سورة لأعراف: من الآية١٤٢.

[٤] لم أعثر له على ترجمته.

[٥] أخذه من الآية الكريمة : (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً) (الكهف:٦٠).

[٦] النفخ: ج٩، ص٩٢.

ثم نجد ابن الخطيب يخاطب ابن مرزوق جواباً عن كتابه وقد استقر خطيب السلطان بتونس قائلاً : (وأن الله تعالى في رعيك يسرا، ولطفاً مستمراً مستقراً، (اذا ألقاك اليم الى الساحل)[1]، وأخذ بيدك في ورطة الواحل، وحرك منك عزيمة الراحل الى الملك (الحُلاحل)[2] .... ونقلك من عناية الى عناية وهو الذي يقول وقلوه الحق : (مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ)[3].

٣. قصص قرآنية متفرقة

من خلال نظرة فاحصة لرسالة ابن عطية الكاتب الاستعطافية التي وجهها الى أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي* يلتمس فيها العفو والغفران إثر محنة إصابته.

والرسالة غير كاملة مبتورة المقدمة قد كتبت في ذروة غضب الخليفة عليه، هذه الرسالة بما أنها وليدة المعاناة وحصيلة التجربة الشخصية تمتاز بخاصية وجدانية ذاتية لأنها تعبر عن نفس أزعجها شبح الموت.

وعلى أية حال فإن الرسالة أو المتبقي منها تنم عن ثقافة واسعة كان يتمتع بها أديبنا.

وفي الرسالة نجد فكرة تمرد أبليس وتكبره عن السجود لآدم وعدم اطاعة امر الله في ذلك كما قوله :

---

[1] اشارة الى قوله تعالى : (فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ)(طه: من الآية٣٩).

[2] الحُلاحل بضم الحاء هو العظيم.

[3] (البقرة: من الآية١٠٦).

* هو عبد المؤمن بن علي بن مخلوف بن يعلي بن مروان أبو محمد الكومي أمير المؤمنين مؤسس دولة الموحدين المؤمنية في المغرب وأفريقيا وتونس توفي سنة ٥٥٨، ينظر الاستقصاء ج١/١٣٩.

((تالله لو أحاطت بي كل خطيئة.... حتى سخرت بمن في الوجود، وانفت لآدم من السجود))[١].

إشارة الى قوله تعالى (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ)[٢] .

وفي نصّ ابن عطية يأتي ذكر النبي نوح (عليه السلام) هو الآخر مباشرة بعد ذكر عصيان إبليس لأمر الله في السجود لآدم، فذكر ذنب عظيم وهو ذنب من ينكر إيحاء الله تعالى لنوح ببناء الفلك وهذا بحد ذاته كفر جسيم، يقول ابن عطية : (وقلت أن الله تعالى لم يوحِ في الفلك لنوح)[٣]، إشارة الى قوله تعالى: (فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا)[٤].

---

[١] النفخ: ٥/ ١٨٤.

[٢] (البقرة:٣٤) .

[٣] النفخ: ١٨٤/٥.

[٤] المؤمنون: من الآية٢٧.

الفصل الثاني

أثر الصورة القرآنية

في

النثر الأندلسي

أثر الصورة القرآنية في النثر الاندلسي

تعرف الصورة : بأنها " التعبير غير المباشر " [١] الذي يعتمد الخيال عنصراً اساسياً من العناصر التي تعمل على خلق الصورة من التشبيه والاستعارة والكناية والمجاز بأنواعه المختلفة .

فالشاعر يستطيع " ان يحيل الظواهر الخارجية عن طبيعتها فتتحول الصورة الى صورة تقنية تتخطى عالم العقل الى عالم الحدس والكشف والإشراق "[٢] فالصورة في ابسط تعريفاتها (كونها رسم قوامه الكلمات)[٣] يمكن ان تقدم للقارئ (بصورة طبيعية ، تشرق فوقه وتغرب بهدوء وروعة تاركةً اياه في ترف الضياء الهادئ)[٤] هذا التعريف للصورة يعد مرحلةً متقدمة من مراحل نقد الادب العربي الذي يعد الصورة: (نوعاً من الزخارف والمحسنات)[٥] .

على وفق هذا التعريف للصورة بات من المؤكد ان تكون الوشائج قوية بين الصورة والاسلوب يعبر عنها بأن (الصورة هي الوجود الذهني للاسلوب)[٦]
وبذلك تعددت (حدود السطح الحسي المبني على المقارنة الشكلية واصبحت ذات ابعاد نفسية داخليا تحدث أزيزاً انفعالياً يثير في نفس المتلقي جواً مشحوناً بالدهشة والفجأة)[٧] ومن الباحثين من يرى ان الصورة بشكل عام تشتمل على مجموعتين من العناصر (محسوسة، تحمل الفكرة والعاطفة، وغير محسوسة تتألف من جانب يركز على الفكرة والعاطفة والمعاينة وجانب آخر، ايحائي ذهني يوحي بأكثر ما يفهم من الظواهر)[٨] .

---

(١) ينظر الاسس النفسية الاساليب البلاغة العربية : ص١٤٧

(٢) الادب العربي في الاندلس (تطوره وموضوعاته واشهر اعلامه) : ص٣٩٢

(٣) الصورة الشعرية: ص٢١ .

(٤) م. ن : ص٨٥.

(٥) الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر: ص٣٦٣.

(٦) الاسلوب بين التراث والمعاصرة: ص١٢

(٧) ينظر الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر: ص٣١٤

(٨) ينظر اثر القرآن في الصورة الفنية لدى شعراء صدر الاسلام: ص٣١

إن الصورة القرآنية جسدت المستوى الامثل والاعلى من العلاقات اللغوية والايحائية وانها اكثر الجوانب الفنية اثارة للذهن لدى المتلقي فهي (مجموعة العلاقات اللغوية والبيانية والايحائية القائمة بين اللفظ والمعنى أو الشكل والمضمون)[١] .

لذا كان (تأثير الصورة القرآنية سحرياً بقيمته التصويرية قبل ان تسحرهم بقدسيتها الدينية أو اغراضها التربوية)[٢] .

لقد بهرت الصورة القرآنية الكتّاب ومنهم كتّاب الاندلس في هذه العصور بما تحمله من الخصائص والسمات فضلاً عن دقتها التصويرية وقوة الايحاء فيها واشباعها بالحركة وايجازها اللغوي فانها ذات (اثر نفسي ملازم لها سواء جاء التعبير القرآني بأنماطه البلاغية أو جاء تعبيراً حقيقياً يحمل في طياته صورة ذات تأثير نفسي في المتلقي)[٣] .

إن التآلف بين عناصر الصورة القرآنية المحسوسة وغير المحسوسة اعطى الصورة القرآنية اعجازها اللغوي والفني، فحاول الكتُاب اكساء صورهم النثرية بما جاد عليهم هذا المؤثر العظيم فتمثلوا صور القرآن ملياً وبدت جوانبها طاغية على نثرهم فعمقت نظرهم الى الاشياء وقوة الاحساس بها وبكل ما حولهم من مظاهر بيئية واجتماعية وسياسية وفكرية فوقفوا ازاء صورهم موقفين بينتها كتاباتهم النثرية :-

الاول: صور مستمدة من وصف الطبيعة في القرآن مثل صور الجنة والنار والصحراء والجبال والانهار والمروج والازهار والاشجار والحيوان.

الثاني: صور نفسية عقلية مستمدة من الصور القرآنية الموغلةفي النفس الانسانية وما يحيط بها من انفعالات الانسان واعماله وما يتلقاه في آخرته بعد موته.

(١) الصورة الفنية في المثل القراني: ص٢٧.

(٢) ينظر اثر القرآن الكريم في الشعر الاندلسي منذ الفتح حتى السقوط: ص١٦٧ .

(٣) ينظر اثر القرآن في الشعر العربي الحديث : ص١١٢ وما بعدها.

هذا التقسيم الثنائي له ما يبرره لأن اغلب النثر الاندلسي هو نثر بلاط ومجالس نمتها الاواصر الاجتماعية الرفيعة المستوى يكون المتلقي فيها حاضر الذهن نافذ البصيرة حاد الثقافة دينية كانت ام لغوية ولديه مستوى عالٍ من التعامل مع ما يسمعه ويشده فالبيوت الاندلسية أغلب ملوكها كتُاب كانت مجالسهم لا تخلوا من فقية أو عالم أو كاتب فلا بد للكاتب وهذه الاجواء ان يتقن تعامله مع النص القرآني فكانت الصورة النثرية تستوحي المفردة القرآنية المنتقاة عن قرب وتستوحي الصورة المنقولة من هذا الكتاب العظيم وتعتمد على ذهن المتلقي في استحضارها وسنحاول ابراز معالم هذه الانماط التصويرية التي كان للقرآن فضل في انضاجها في مخيلة الادباء والكتاب .

ان مقياس جودة الصورة الادبية بوجه عام وجماليتها هو (قدرتها على نقل الفكرة)[١] الى المتلقي بطريقة فنية تجعله يتلذذ بها ويحس بحسها ورونقها وجمالها بطريقة جديدة تثير الاندهاش والانبهار في نفس المتلقي وليس (تقله وتصويره كما هو)[٢].

فلذلك لابد من تلاحم الصورة الادبية جميعاً (وانسجامها مع عناصر الادب الاخرى، من خيال وعاطفة وفكرة)[١] (ويقدر ما يكون بين هذه العناصر من توافق وانسجام توفر للنص الادبي قيمته الادبية)[٢] (فالكل هو الشمول المتناغم لجميع الاجزاء في العمل الادبي)[٣].

(١) أصول النقد الادبي: ص٢٤٨.

(٢) في النقد الادبي: ص٢٢.

(٣)التعرفي عهد المرابطين والموحدين بالاندلس : ص٣٥٧.

(٤) النثر الفني وأثر الجاحظ فيه: ص٥٤.

(٥) التحليل النقدي والجمالي للادب: ص٦٥

١- الصورة الاصلية :-

وهي نمط من انماط الصور القرآنية المقتبسة من القرآن الكريم إذ تحضر الصور القرآنية حضوراً واسعاً ونقف بين حنايا النص النثري شاخصةً فيقوم الكاتب بامكانياته المعرفية بالقرآن الكريم (نقل جوهر الحدث القرآني في الصورة القرآنية بجزئياته)[١] الى ساحته النثرية فتنتج عن ذلك علاقة لغوية تربط هذه الصورة بما يريد الكاتب التعبير عنه دون ان يتدخل في هذا النقل سوى الربط بينها وبين الفكرة المعبر عنها .

ومن امثلة هذا اللون من الصور رسالة ابن أبي الخصال صور فيها مشاعر الود والوفاء بين الاصدقاء فهي تعيد للقلوب صفاءها وتمحو الغشاوة عن الحقيقة اذ قال فيها : (سيدي وواحدي الذي اجمل ذكره، واولاني شكره، لازال مغناك رحيباً، وزمانك خصيباً، ولا زلت تأخذ لاخراك نصيباً، عبدك فلان مؤديها ينتجع الكرام، ويباري في جريها الايام، فتارة يجمع، واخرى يفرق، وطوراً يغرب، وطوراً يشرق، وام الحضرة – وصل الله حراستها وأدام بهجتها ونفاستها، والملك بها غض الشباب، وأحضر الجلباب، واحسانك احسانك)[٢]

فكلمة (جلباب) مفردة قرآنية وردت في قوله تعالى :

(يَا أَيُّهَا النَبِيُّ قُل لأَزواجِكَ وَبَناتِكَ وَنِسَاءِ المُؤمِنينَ يُدنينَ عَليهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ)[٣]

(١) أثر القرآن في الشعر العربي الحديث : ص١١٩.
(٢) صبح الاعشى: ٩ / ٢٢٦ .
(٣) سورة الاحزاب : آية / ٥٩

ولابن ابي الخصال رسالة يناقش فيها الامدي[١] في عدد من الاحكام النقدية والتعابير اللفظية التي وردت في رسالته اذ يقول فيها (وتبعناه معشر الضعفاء عليه، حين عدلنا عن المنهج ودخلنا تحت الحرج، ولو شاء الله بنا يسراً لوضع عنّا من هذه المشقة إصراً فالصابي ينسق اعلاقاً)[٢] ونحن نلفق اخلاقاً ..... وعمدة احساننا حين نعزم انما هي لزوم ما لا يلزم، ومقابلات يبدأ بها الكلام ويختم، يعترفيها العلم، ولا يكاد يقيمها اللسان والفم فكأننا نضارع الند بضريع[٣] ونحاسن بالهشيم خضرة الربيع .....)[٤] .

فالالفاظ القرآنية في هذه الصورة واضحة تماماً مثل: (ضريع ، هشيم) فالكاتب هنا يرجع الى الآيات القرآنية من قوله تعالى: (ليس لهم طعام الا من ضريع)[٦] والضريع هو طعام الكافر من جهنم ، وكذلك قوله (فأصبح هشيما تذروه الرياح)[٧]

ومن الصور الاصلية المتسمة بقوة الحركة، وكثرتها، وازدحامها، صورة الجيش بعد أن عاد ظافراً من غزو قرطبة حيث اعمل فيها السيف والنار يقول لسان الدين بن الخطيب في ذلك : (وعدنا والبنود لا يعرف النشر لفها، والوجوه المجاهدة لا يخالط التقطب بشرها، والايدي بالعروة الوثقى معتلقة والألسن بشكر نعم الله منطلقة والسيوف في مضاجع الغمود قلقة)[٨] .

---

(١) هو ابو القاسم محمد بن القاسم بن بشر الآمدي الاديب الناقد المعروف صاحب كتاب الموازنة بين ابي تمام والبحتري ت سنة ٣٧٠هـ .

(٢) الاعلاق: جمع العلق وهو الثوب الكريم (اللسان : مادة علق).

(٣) الضريع : نبات اخضر منتن خفيف يرمي به البحر وله جوف.

(٤) الترسل: ورقة ٣١.

(٦) سورة الغاشية : آية/ ٦

(٧) سورة الكهف : آية / ٤٥

(٨) ريحانة الكتاب: ١ / ٢٠٠.

فهذه اللوحة دائبة الحركة لا تكاد تستقر على حال بين القاء الرعب في قلوب الاعداء وبين الفرح والسرور الذي اصاب المسلمين وشعورهم بقوتهم على اعدائهم ونلاحظ ان الكاتب استطاع ان يستولي على خيال القارئ ويجعله يتفاعل معها من خلال رسم صورة حية تزخر بالحركة والحياة حيث بث فيها كثيراً من الخصائص الانسانية واكثر من التشبيهات الرائعة، والاستعارات الجميلة، فالاثر القرآني هنا واضح في قوله تعالى (العروة الوثقى) وردت في قوله تعالى :(فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى)[١] وقوله تعالى: (ومن يسلم وجهه الى الله، وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى)[٢] أي تمسك بحبل لا انقطاع له ، وتعلق بأوثق ما يتعلق به من الاسباب وهذا من باب التمثيل.

٢. الصورة الاشارية : (قد تؤدي اللفظة المفردة في البنية النثرية الى سحب القارئ واستجداء كوامنه القرآنية في استحضار صورة قرآنية ترتبط بها من خلال هذه القرينة اللغوية ويمكن ان نسميها بـ (الاشارية القرينة) بينما اعتاد الباحثون على اطلاق مصطلح (الصورة المفردة) على مثل هذا النمط)[٣] .

ولا نرى فرقا واضحا بين الصورة الاشارية والصورة المفردة وانما يكمن الفرق في الاشارة البعيدة للصورة النثرية التي يرجع منشأ البعد فيها الى فقدان مقومات الربط اللغوي والاعتماد على الربط الذهني والمعنوي بين الصورة النثرية والصورة القرآنية وهي تكاد ان تكون مهمة القارئ.

هذا ما دفعنا الى العزوف عن دراسة الصورة النثرية المفردة في نمط مستقل وادخالها في اطار الصورة الاشارية القريبة لذا يمكن ان تكون الصورة قريبة الايحاء أو بعيدة[٤] .

---

(١) سورة البقرة: آية ٢٥٦ .

(٢) سورة لقمان : آية ٢٢

(٣) ينظر اثر القرآن الكريم في الشعر العربي الحديث : ص١١٥ ، وينظر كذلك اثر القرآن في الشعر الاندلسي من الفتح وحتى السقوط : ص١٦٩.

(٤) ينظر اثر القران الكريم في الشعر الاندلسي من الفتح وحتى السقوط: ص١٨٣ وقد اشار د. محمد شهاب العاني الى هذا التقسيم لكنه افرد نمطاً مستقلاً بالصورة المفردة.

من امثلة هذا النوع قوله في وصف صورة زرزور وقد صاغها ابن ابي الخصال في شكل خطبة وقدّم لها بمقدمة دينية جرياً على طريقته في هذا الضرب من الرسائل، وتأتي بعد ذلك صورة الزرزور على هذا النحو: (كلا ما هو زور، انما هو زرزور، عليه الليل مزرور، رشته النجوم بأندائها، وذرّت عليه من صفائها، فهو منمنم ..... بديع الائتلاف والازدواج، يباسطكم البعيد والقريب، ويطارحكم المستعمل والغريب، .....يحدو القلوب الى تقاها وينفث على الذنوب يرقاها، ويكحل العيون بألذّ من كراها، ويسري الى الارواح بألطف من سراها، بنغمة تغني عن الزمر، وتعدل حلاوة النهي والامر، فالأيام معه انس وأجر، والليالي شفق وفجر)[١] فالزرزور هنا هو ذلك الاديب البارع الذي يتألف الاذهان بآدابه، ويأسر القلوب بمودته، ويستميل الاسماع بعذب انغامه فهو يحدو القلوب الى التقوى من خلال ما يضفي على الرسالة من مسحة دينية فيلبسه ثياب الوعظ والتقوى والورع ويجنب النفس الوقوع في شرك الذنوب وهي صورة قريبة من شخصية ابن ابي الخصال الفقيه الورع كما اننا نرى صورة الزرزور هنا اقرب الى صورة بطل المقامة وهو يتوسل بهذه الصفات – كالوعظ والمباسطة ومطارحة الادب واستثارة الناس الى العطاء لذلك يجعله الكاتب قريباً من شخصية المكدي والاثر القرآني في هذه الصورة يتمثل بقوله (والليالي شفق وفجر)[٢] .

ثم يستمر الكاتب في استنطاق زرزوره فيعرض الزرزور بضاعته على الناس، ويستثير هممهم الى العطاء ويفصح لهم عن رغبة دفينة في نفسه يتمنى ان يحققوها له، وهي ان يساعدوه في اداء فريضة الحج وزيارة بيت الله الحرام (فاقرضوا الله احسن القرض، ومكننوني من وجوب الفرض ، لاضع الاوزار ، واكون اول زرزور زار، وأحل حيث لا احذر شركة ، ولا اعدم بركة)[٣] .

---

(١) الترسل : ٦٨ – ٦٩ .

(٢) اشارة الى قوله تعالى (والشفع والوتر والليل اذا يسري) سورة الفجر : آية/ ٣

(٣) الترسل : ٧٠

فالصورة القرآنية في قوله تعالى :(فاما مناً بعد واما فداء حتى تضع الحرب اوزارها)[١] فاستطاع الكاتب ان يضع للحرب اوزارها أي انقضائها وانتهائها بوضع آلاتها واثقالها ، فيقول ان الامان يتحقق بانتهاء الحرب وعودة الحياة الى طبيعتها وايضا تتمثل الصورة القرآنية في قوله تعالى: (ان المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضاً حسناً)[٢] .

ومن النماذج الاخرى قوله في احدى رسائله الزرزورية التي تبدأ غالباً بمقدمة قصيرة تتضمن الاشادة بمآثر من يتوجه اليه الكاتب بخطابه والدعاء له ثم يشير الكاتب بعدها الى حامل الرسالة الذي يجسده في صورة الزرزور فقد اقتربت رسائل ابن ابي الخصال الزرزورية من شكل الخطبة اذ يصدّرها بمقدمة دينية طويلة مليئة بالتحميدات والادعية من مثل قوله في صدر احدى زرزورياته : (الحمد لله ذي الحكمة البالغة والنعمة السابغة الذي اعتمدنا بالاحسان ابتداءً، وانشأنا من نفس واحدة إنشاءً، وجعل منها زوجها تماماً ووفاءً، وبث منها رجالاً كثيراً ونساءً، فضم بحكمته النشر، وعم برحمته للبشر، وبعث في كل امة رسولاً يهديهم والى سبل السلام يؤديهم)[٣] فقوله (بث منها رجالاً كثيراً ونساءً) اقتبسه من قوله تعالى : (يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منها رجالاً كثيراً ونساءً)[٤].فهذه صورة قرآنية متكاملة اقتبسها الكاتب بتمامها دون تغيير.

(١) سورة: محمد ، آية/ ٤

(٢) سورة الحديد ، آية/ ١٨

(٣) الترسل : ١

(٤) سورة: النساء، آية : ١

٣. الصورة المحوّرة:

قد تتطلب الكتابة أو الصياغة النثرية ان يقوم الكاتب بانتخاب صورة قرآنية فيحذف منها أو يضيف اليها وقد يقدم فيها ويؤخر بحسب ما تقتضيه الفكرة التي يريد التعبير عنها أو الموقف الذي يجسده وهذا من شأنه ان يجعل الصورة القرآنية محورة عن اصلها في الكتاب العزيز.

وهذا النوع من الصور نجده عند ابن ابي الخصال في رسالة له يمكن ان نعدها غاية في الجمال اختار لها اللفظة المناسبة والفكرة المعبرة فأجاد فيها وهي رسالة خاطب فيها الكاتب شخصاً مجهولاً لم يحدد اسمه واكتفى بقوله (الشيخ الاجل) فنراه يتخذ من رسالته هذه مناسبة للحديث عن قدرة الله تعالى التي لا حدود لها يقول فيها : (عندما طرأ علينا ما كحل العيون بقذاها ومنعها لذيذ كراها، اخفق الضلوع الحانية واقلق مصارين حشاها، وهو أن الله عز وجل، ذكر عباده ان نفعت الذكرى، ونبههم أن تنبهوا ولم يأمنوا منه كيداً مبيراً ولا مكراً، وذلك بزلزال قضى به على قرطبة وبعض اعمالها ، وملأ نفوس ساكنيها من روعاتها واوجالها، وحالت لذلك في الخوف والارتفاع أقبح حالها، حتى نحوا الى الاستكانة والضراعة ، واطاع الله من لم يكن له قبل ذلك طاعة ، وخشوا بل كانوا يوقنون انها زلزلة الساعة)[١] .

الرسالة واضحة الدلالة، بينة المعنى، سهلة الالفاظ لا غرابة فيها ، فهي اشبه ما تكون برسالة تبصير بقدرة الله تعالى التي لا حدود لها مزجها الكاتب بالتضرع الى الله تعالى أن يمن على عباده بكريم فضله وجزيل عطاياه، ودعوته افراد الشعب الاندلسي من اهل قرطبة المنكوبين بالزلزال الى شكر الله وتعظيمه والاقرار بوحدانيته فالكاتب هنا يشبه الزلزال الذي حل بمدينة قرطبة بزلزلة يوم القيامة على سبيل التمثيل والرسالة لا تخلو من الفاظ قرآنية تمثلت بقوله تعالى (اذا زلزلت الارض زلزالها وأخرجت الأرض اثقالها) [٢] .

---

(١) صبح الاعشى: ٩ / ٢٢١ – ٢٢٢ .

(٢) سورة الزلزلة :آية / ١

كما تتسم صور لسان الدين بن الخطيب التي يسوقها بالحركة فالمستقري لكثير منها يعيش وضعاً متحركاً غير ساكن فصورة الحرب مثلاً قوية، كثيرة الجلبة والضوضاء تبعث الخوف والفزع في نفس من يتصورها ومن ذلك الصورة التي رسمها للجيش الاندلسي حين افتتح مدينة جيان[١] والتحم مع جيش النصارى يقول فيها (سلبوهم لباس الجلد، في موقف يذهل الوالد عن الولد، صابت السهام فيها غماماً، وطارت لاسراب الحمام تهدي حماماً، ..... وماج بحر القتام باموا ج النصول واخذ الارض الرجفان لزلزال الصباح الموصول)[٤٢] .

ففي هذا النص اضفى صورة متحركة قوية تبعث على الهلع من خلال التركيز على صورة السهام وهي تحمل الموت وصورة القتام المتكون من غبار المعركة، وقد تكون امواجه من النصول لكثرتها حين شبهه بالبحر المتلاطم الامواج، ووصف الحالة النفسية للمقاتلين حين جعل الارض تتزلزل تحت اقدامهم من شدة الهول والرعب لتؤدي وظيفتها في النص من خلال السبك المحكم والتناسب بين جزئياتها والتلاحم الفتي بين مكوناتها، وترابطها العضوي في السياق فضلاً عن استعماله لغة الشعر وموسيقاه في تشكيل الحركة المناسبة لطبيعة المعركة فأظهر الكاتب مقدرة كبيرة على الجمع بين رهية الحرب وبين متعة الكتابة وجماليتها .

فالكاتب يقول (موقف يذهل الوالد عن الولد) وهذا واضح ان الصورة مأخوذة من الصورة القرآنية (يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها)[٣] .

وللمقري ايضاً صورة نهج في رسمها على الطريقة ذاتها التي يستعملها لسان الدين بن الخطيب في مثل هذه المواضع ومن ذلك قوله : (لما سبق القضا، وجرت الاقدار، بارتحال عن الوطن المحبوب بعد ان شممت عرارة النجدي، ولا اشجان ولا

---

(١) دارت هذه المعركة بين المسلمين والنصارى عام ٧٦٩هـ

(٢) ريحانة الكتاب : ١ / ١٩٤ .

(٣) سورة البلد : آية/ ٣

أكدار، في عشية لم يكن من بعدها من عرار ونزحت عن بلد، به الوالد وما ولد[١]، محل قطع التمائم، وفتح الكمائم)[٢] .

فالمقري طويل النفس في صوره، يستقضي الصورة من جميع جوانبها ويأتي على جميع دقائقها.

٤. الصورة المنقولة

قد يشترك المتلقي بحضوره الذهني في عملية رصد ظواهر الصورة النثرية وتحليل معالمها وكشف أساسها ومرجعيتها حين تختفي صورة قرآنية وراء صورة نثرية حسب الكاتب بها موقفاً معيناً من المواقف الحياتية أو فكرة أراد تثبيتها والتعبير عنها فتسهم مخيلة المتلقي في الكشف والربط بين الصورة النثرية والصورة القرآنية .

ومن الأمثلة النثرية على هذا اللون من ألوان الصور وصية الأمير (علي بن يوسف) الى ولده تاشفين بمناسبة توليه أعمال قرطبة والتي كتبها الأديب أبن ابي الخصال حيث يقول : " وأول ما نوصيك به تقوى الله، فاجعلها بردة شعارك وعقدة أضمارك ، وعهدة إيرادك وأصدارك ، ... فإنما أنت واحدٌ منهم وكلنا عبيد الله الى التراب انتسابنا والى الحساب (مآبنا)[٣] ، والناس كلهم سواء في اول النشأة والحال ، وإنما يتميزون بالمساعي والأعمال فهي التي رفع الله منها (بعض فوق بعض درجات)[٤]، ... على مجازاة الحسن بإحسانه[٥] .

---

(١) سورة البلد آية:٣.

(٢) ازهار الرياض ١ / ٣ – ٤

(٣) تعبير قرآني استمده من قوله تعالى : (ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ)(آل عمران: من الآية١٤)، ينظر سورة الرعد، آية ٢١، سورة ص، آية ٢٥، ٤٠، ٤٩، ٥٥.

(٤) تعبير قرآني استمده من قوله تعالى : (وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيّاً)(الزخرف: من الآية٣٢).

(٥) البيان المغرب: ٨٨/٤.

عرض ابن ابي الخصال في وصيته هذه صورة من عذاب الجحيم وهو ما سيلقاه العاصي من غضب الله .

والصورة المنقولة تظهر بوضوح في رسائل ابن ابي الخصال الوصفية فله مشاركة فعلية في هذا اللون من الرسائل كما في رسالته التي بدأها بوصف الجدب والقحط وما يكون عليه حال الناس في مثل هذه الظروف الصعبة فنراه يقول : "... وتراوحت على القلوب راحتا (اليمين والشمال)[١]، (وأُحضرت أنفس الأغنياء الشُح)[٢] ... اذا غشيتها ظل الغمام)[٣] وحجبتها أستار كأجنحة الحمام، وأخذت عليها في الظروف)[٤].

والرسالة واضحة الدلالة على قدرة الكاتب في التصوير ، وبراعته في التعبير عن أحوال الناس في الجدب وما يتعلق به من نتائج وآثار .

المثل القرآني والصورة النثرية :

عُرف المثل بأنه " جملة من القول مقتضبة من أصلها أو مرسلة لذاتها تتسم بالقبول وتشتهر بالتداول "[٥]، أما المثل في عُرف القرآن الكريم فهو (كلام يقصد به تصوير حالة أو واقعة أو شخص لاتعاظ القارئين والسامعين بالصورة التي صورها لهم أو لأيناسهم بها سوا أطال الكلام أم قصر أم بقي في لوحته اللامعة مكتوباً محفوظاً)[٦].

---

[١] تعبير قرآني استمده من قوله تعالى: (وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ)(الكهف: من الآية١٧)، وينظر ، سورة الكهف ، آية ١٨، سورة سبأ ،آية ١٥، سورة ق، آية ١٧.

[٢] تعبير قرآني استمده من قوله تعالى: (والصلح خيرٌ وأُ حضرت الأنفس الشُحُّ) سورة النساء، آية ١٢٨.

[٣] تعبير قرآني استمده من قوله تعالى: (هل ينظرون ال أن يأتيهم الله في ظل من الغمام) سورة البقرة، آية ٢١٠.

[٤] ينظر صبح الأعشى : ١٤/ ٢٩٨، ٣٠٣.

[٥] المزهر في علوم اللغة وأنواعها : ج١، ص٤٨٦.

[٦] المثل في القرآن الكريم: د. منير القاضي مجلة المجمع العلمي العراقي مجلد ٧، ١٩٦٠، ص٥-٦.

أما عن أهمية الامثال القرآنية فان الامثال في القرآن " أبرزت المعقول في صورة مجسمة وأبرزت المعنوي في ثوب المحسوس وفصلت المجمل وأوضحت المبهم لتهذب بذلك الطبائع وتعلم الغرائز الشريرة "[١].

والمشكلة التي واجهتني في هذا الباب هو نزرة ما استطعت الحصول عليه من نصوص نثرية ضربت مضرب المثل لكنني أوردتها من أجل التوضيح مثال ذلك الرسالة التي وجهها القاضي عياض الى الفتح بن خاقان يقول فيها :

" في علمك سدد الله علا حكمك، ما جمعه فلان من حلائل تشذ عن الحصر ، وفضائل يُعرف له لها نبهاء العصر ... فشجرة سيادة أصلها ثابت وفرعها في السماء " [٢].

فضربت هذه الآية الكريمة مضرب المثل لأن النص القرآني شبه الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة التي تعطي الناس ثمراً حلواً وطيباً فالكلام الطيب يبقى راسخاً في القلب.

---

[١] الأمثال في القرآن ، ص٨.

[٢] اقتبسه من الآية الكريمة : (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ) (ابراهيم:٢٤)

الفصل الثالث

أثر القرآن الكريم في أجناس أدبية متنوعة :-

- أثر القرآن الكريم في المقامات
- أثر القرآن الكريم في الخطب
- أثر القرآن الكريم في أدب الرحلات

المقامات

المقامة لغةً : المجلس*

واصطلاحاً : تعني (الاحدوثة من الكلام، لأنها تذكر في مجلس واحد يجتمع فيه الجماعة من الناس لسماعها)[١].

والمقامة كما وضع تقاليدها بديع الزمان الهمداني : " قطعة من النثر الفني على صورة حكاية قصيرة تنتهي في مغزاهاالى عبرة أو عظة، أو طرفة ويرويها شخص واحد لا يتغير "[٢] وهو عيسى بن هشام، عند بديع الزمان، والحارث بن همام عند الحريري.

وبطل كل حكاية شخص خيالي : هو أبو الفتح الاسكندري في مقامات بديع الزمان وأبو زيد السروجي في مقامات الحريري (ويشترط أن تتوفر في هذا البطل صفات : البلاغة والفصاحة وسرعة البديهة ، وسعة الخيال، والكدية، وحلاوة النادرة)[٣]، ثم تطورت المقامة مع مرور الزمن الى أن صارت قطعة من النثر المسجوع القائم على التأنق في اللغة والاسلوب والصياغة وأضحت تشتمل على موعظة أخلاقية، وصارت أقرب الى المقالة منها الى المقامة ((كمقامات الزمخشري لأنه لا يوجد فيها شخصيات تروي أو يروى عنها "[٤] مع خلوها من الكدية والاستجداء – وكل ما بقي من رسوم المقامة هو الموضوع فحسب " الذي قصره الزمخشري على الزهد، والنصائح وامتازت بالاسلوب المسجوع، الذي لا تكلف فيه"[٥] هذا عن نشأة المقامة المشرقية .

---

* لسان العرب : قَوَمَ

[١] صبح الأعشى: ١٤/ ١١٧.

[٢] الأدب العربي في الاندلس : ٤٧٩.

[٣] م.ن. والصفحة.

[٤] م.ن. والصفحة.

[٥] الأدب العربي، ٤٨٠.

أما عن نشأة المقامة الأندلسية، فإن أهلها قد عرفوا فن المقامة عن طريق رحلة طلاب العلم ورواد المعرفة الى المشرق للتزود من معين معارفه وعلومه وعندما عادوا الى بلادهم رجعوا ومعهم هذا اللون من النثر الفني.

يقول احد الباحثين : " لم يقف الأندلسيون عند حدود الشرح والرواية للمقامات المشرقية، بل نجدهم يمضون قدماً في درب الإبداع، فأنشأوا مقامات جديدة حاولوا بها تأكيد قدرتهم الأدبية في هذا الباب"[١].

وتأثر كتّاب المقامات في الأندلس بمقامات الحريري، فنسجوا على منوالها، وترسموا طريقتها وعبروا عن آرائهم واحوالهم الشخصية والاجتماعية من خلالها وقد " دخل هذا اللون النثري الى الأندلس في نهاية القرن الرابع الهجري"[٢]، وفي القرن الثامن الهجري نجد أن هذا الفن الأدبي قد تقلص ظله، وبدا شاحب اللون، لم يرتده الا القليل من الأدباء الذين لم تتجاوز مقاماتهم الواحدة أو الاثنتين على سبيل الترف الفكري ومع ذلك " فليس فيها ما يشير الى تطورٍ ما في طبيعة المقامة"[٣].

و"كما يبدو أن المقامة الكلاسيكية شكلاً ومضموناً، ولم تصدف في الأندلس من يستمر في كتابتها"[٤].

وقد كتب الأدباء الكتاب في جميع أشكال المقامة المعروفة فمن هذه الأشكال التي وجدنا الأثر القرآني واضحاً فيها هي :-

[١] فنون النثر الأدبي في الأندلس : ١٤٣.

[٢] ملامح التجديد في النثر الأندلسي: ٢٧٨.

[٣] تأريخ الأدب الأندلسي ، عصر الطوائف والمرابطين: ٣٢٦.

[٤] مقامات أندلسية، ١٢.

١. المقامة النقدية

وهي المقامة التي يصور فيها الكاتب موقفه من علماء عصره وأدبائه، فيختفي فيها الكاتب وراء راويتها في بث أحكامه وتعليقاته.

وينهج فيها الكاتب منهجاً نقدياً لكنه لا يتحرى النقد الموضوعي والمنهجي وإنما ينتقد الأشخاص وما يتعلق بهم من دون أن ينقد أدبهم.

ومن أمثلة هذا النوع مقامة أدبية نقدية لأبي المطرف عبد الرحمن أبن فتوح[١].

إن موضوع المقامة هو التصدي لأدباء عصر الكاتب واصفاً لنا إياهم فيسأل الفتى ويجيبه ابن فتوح قائلاً (فمن اقواهم استعارات وأصحهم تشبيهات؟ قلت : البحر العجاج ، والسراج الوهاج، أبو عامر ابن شهيد قلت فمن أذكرهم وأنظمهم للأخبار ، قلت : الحلو الظريف، والبارع اللطيف أبو الوليد ابن زيدون)[٢].

فالألفاظ القرآنية التي وردت في هذه المقامة قول الكاتب (السراج الوهاج مأخوذ من قوله تعالى : (وَجَعَلْنَا سِرَاجاً وَهَّاجاً)[٣].

٢. المقامة الاجتماعية

هذا اللون من المقامات يتحدث عن كل ما يمت الى المجتمع بصلة لذلك سميت بالاجتماعية فهي تعطينا صورةٍ حية للحياة الشعبية العامة اليومية فهي صورة حقيقية لكل ما يقع الحديث عنه في هذا الجانب.

---

[١] ينظر في ترجمة الذخيرة، ق١، مج٢، ٧٧٠، ٧٧١.

[٢] الذخيرة: ق١، مج٢، ٧٧٠، ٧٧١.

[٣] (سورة النبأ:الآية ١٣)

ولأبـي حفـص عمـر بـن الشـهيد[١] مقامـه تعـد مـن روائـع الأدب النثـري فـي العصـر المرابطـي قـال فيهـا وهـو يصـف ديكـاً وجماعـة يحـاولون ذبحـه وهـو يسـتنجد بالخالق والمخلوق أن يتخلص منهم يقول فيها :

" وحـان وقـت الظهيـرة، فصـفق بجناحيـه ثنتين، وصـرخ صـرختين واقتـدى بـه المؤذنون وتجمهر المؤذنون، حتى اذا قضيت الصلاة استصرخهم فأصرخوه، وتواثبت اليه السادة والوجوه، فقال لهم الديك ايها السادة الملوك فيكم مُتع بالشباب، والأشيب نـور شيبه مـع (الكواعب والأتراب)*، وقد صـحبتكم مدة، وسبحت الله علـى رؤوسكم مراراً عدة، أوقضكم بالأسحار، وأؤذن بالليل والنهار "[٢].

٣. المقامة السياسية

أن صـاحب هذا اللون من المقامات هو لسان الدين ابن الخطيب إذ قام فـي هذه المقامـة برسم حـدود منصـب الـوزير ومهـام الـوزارة وعنـوان المقامـة هـو : الاشـارة الـى أدب الوزارة في السياسة [٣].

بدأ ابـن الخطيب تلك المقامـة بالدعاء ومـن ثم ((الصـلاة علـى سيدنا ومولانـا محمد، الذي لـه القدر الرفيـع والفخـر الكبير، والرضـا علـى آلـه وعشيرته، فحبذا الآل والعشير))[٤].

---

[١] هو ابو حفص عمر بن الشهيد، كثير الشعر متصرفاً في القول متقدماً عند أمراء بلد، ذكر الحميدي لقاؤه في حدود الاربعين وأربعمائة في المرية كان قريباً من ابن شرف القيرواني زماناً ومكاناً لكن المصادر ضنت بالحديث عنه، ينظر الذخيرة، ص٦٩٠، ق١، مج٢.

* فالكواعب والاتراب أثر قرآني ورد في قوله تعالى (ان للمتقين مفازا حدائق واعنابا وكواعب اترابا) سورة الصافات / آية:٦

[٢] الذخيرة: ق١، مج٢، ٦٧٩.

[٣] المقامة في ريحانة الكتاب: ٢/ ٣١٦.

[٤] ريحانة الكتاب : ٣٣٥/٢.

ويقول ابن الخطيب لمن يحاوره: " وإني لما رأيت برك ديناً يجب علي قضاؤه، ولا يحمل بي إلقاؤه تخيرت لك في الهدايا ما يملأ اليد، ويصاحب الأمد ... فلم أجد أجدى من حديث الحكمة التي من أوتيها فقد أوتي خيراً كثيراً "[١]، وهنا صدى الأثر القرآني في قوله :(من أوتيها فقد أوتي خيراً كثيراً)، أخذه من قوله تعالى: (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ)[٢].

أما السرقسطي[٣] فله مقامة في سياسة القضاة فيبرز فيها شخصية القاضي ويجعلها مركز الثقل قس المقامة وهي المقامة الثالثة عشرة إذ يرسم فيها صورة القاضي العالم بأطوار البلاغة فيبدا الكاتب مقاماته بنظمه شعراً ثم يبدأ المحاجة نثراً فنراه أقوى حجة وأشد عزيمة قائلاً :

" ايها الحكم العدل، والمحكم الجدل، وأخا الراي الفاضل، والحسام الفاصل، والله ما أنا بالظلوم ولا بالمليم، ولا الملوم لكل باطن وظاهره ودنيس من الأمر وطاهر ، نعم دعتني داعية الإنقطاع، وضرورة القدر المطاع، فحالتهم ضيفاً وطرقتهم طيفاً"[٤].

فالمقامة لا تخلو من ألفاظ قرآنية مثل (الظلوم) وردت في قوله تعالى:(وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ)[٥] وكذلك (مليم) وردت في قوله تعالى (فالتقطه الحوت وهو مليم) *.

---

[١] م.ن. والصفحة.

[٢] (البقرة:٢٦٩)

[٣] أبو الطاهر محمد بن يوسف بن عبد الله بن يوسف التميمي السرقسطي ت ٥٣٨ هـ ومقاماته خمسون مقامة، منها ستة وعشرون مقامة مسماة، وأربعة وعشرون غير مسماة له كتاب المقامات اللزومية : ينظر المقدمة كتاب المقامات اللزومية ص١١-٢٨.

[٤] المقامات اللزومية: ١٧٦-١٧٧.

[٥] (ابراهيم: من الآية٣٤).

٤. المقامة الهجائية:

يتناول هذا اللون من المقامات هجاء اشخاص معينين وقد تجسد ذلك في: مقامة الفتح بن خاقان التي تتنازع بين الهجاء والمجون وكان في تلك المقامة قادحاً بعلماء قرطبة على الرغم من اتصافهم بالصفات الحميدة كقوله في أبي جعفر بن أبيّ : " قلت فما عندك في أبي جعفر بن أبيّ ؟ قال : هو شيطان في كل طريق، ومع كل فريق، تميمياً مرة، وقيسياً أخرى، ويسلم على اختلاف الدول، مع التفخم في القول والعمل، و(أظنه من المنظرين الى يوم القيامة)[١] "[٢].

ونجد نقيض ذلك ابن بسام قد كتب عن هذا الرجل ما يأتي : " هو أحمد بن أبي الحسن بن ربيع الأشعري قرطبي ويلقب بذي الوزارتين ... مدحه الأعمى التطيلي بقصيدة طويلة " [٣].

وزاد عبد الملك المراكشي بقوله : (أنه كان من بيت علم وجلالة ذا عناية بالعلم)[٤].

٥. المقامات البلدانية

في هذا اللون من المقامات يتحدث المقامي عن المدن وخصائصها ومميزاتها التي تميزها الواحدة عن الأخرى بأسلوب رفيع وبليغ.

---

* سورة الصافات / آية:١٢٤.

[١] اشارة الى قوله تعالى : (قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) (الأعراف:١٤) .

[٢] رسائل ومقامات أندلسية: ١٤٧.

[٣] الذخيرة: ق٢، مج٢، ٧٤٣-٧٤٤.

[٤] الذيل والتكملة: ١/١٩٣-١٩٤.

وصاحب هذا اللون من المقامات هو أبو بحر صفوان بن أدريس التجيبي (ت٥٩٨ هـ) حيث كتب لنا مقامة خاطب بها الأمير الموحدي عبد الرحمن بن السلطان يوسف بن عبد المؤمن جعل بطل المقامة مدن الأندلس نفسها[١] التي هي اشبيلية ، وقرطبة ، وغرناطة، ومرسية فكانت هناك مجادلة بين هذه المدن ومفاخرة بما اشتهرت به هذه المدن دون غيرها.

ثم كتب في هذا اللون من المقامات بعد ردح من الزمن ابن الخطيب فقط كتب لنا ثلاث مقامات طغى عليها الجانب الجغرافي الوصفي بحيث صور لنا جغرافية الأندلس والمغرب آنذاك وصفاً دقيقاً.

وهذه المقامات هي :

أولاً: مقامة (خطرة الطيف في رحلة الشتاء والصيف)[٢]، وصف لسان الدين الرحلة التي قام بها السلطان أبو الحجاج يوسف الأول (٧٥٥ هـ) لتفقد الثغور وبعض الجهات الشرقية في مملكة غرناطة والنظر في أحوال أهلها وقد كان لسان الدين برفقة السلطان كما اشار الى أن تأريخ هذه المقامة كان في السابع عشر من المحرم سنة ٧٤٨ هـ ، وقد تخلل هذه المقامة ذكر كثير من أسماء المدن والحصون والوديان مثل : مدينة بسطة ، والبيرة والمرية ، وحصون شيرون ، ووادي آش، ووادي المنصورة، وبرشانة وقد أظهر لسان الدين قدرة فائقة في رسم هذه المدن فجاءت مقاماته (آية في الوصف أفاض عليها مؤلفها من بيانه ما هو معهود من اتقانه، ومعدود في إحسانه)[٣].

---

[١] يراجع، ص من هذه الرسالة.

[٢] مشاهدات لسان الدين بن الخطيب: ٢٥.

[٣] ابن الخطيب ، من خلال كتبه: ٧٧/٢.

وفي ما يلي المواضيع التي ورد فيها الأثر القرآني في هذه المقامة ، يقول لسان الدين بن الخطيب: (نحمد الله حمد معترف بحقه، ونشكره على عوائد فضله ورفقه الذي جعل لنا الأرض ذلولاً نمشي في مناكبها ونأكل من رزقه)[١].

وقوله (واستقبلنا البلدة حرسها الله في تبريز سلبت الأعياد احتفالها، وغصها حسنها وجمالها نادى بأهل المدينة موعدكم يوم الزينة)[٢].

وقوله : (ومسها طائف من الشيطان)[٣]، ثم تذكرت فالحمد لله الذي هداها بعد أن تبت يداها[٤].

وكذلك (وينبوع العيون المتعددة بتعدد ايام العام، ومعدن ما زين للناس حبه من الحرث والأنعام)[٥].

وقوله : (فلا أقسم بهذا البلد وحسن منظره الذي يشفى منه الكمد لو نظر الشاعر الى نوره المتألق)[٦].

وقوله : ولم تزل الركائب تفلى الفلاة، فري الأديم، وأهلة السنابك صيرها السير كالعرجون القديم)[١].

---

[١] مشاهدات لسان الدين: ٢٥ وفيه أشارة الى سورة : الملك آية ٥، (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ).

[٢] مشاهدات لسان الدين: ٢٨، وفيه اشارة الى قوله تعالى (قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحىً) (طه:٥٩) .

[٣] اشارة الى قوله تعالى : (لا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَس)(البقرة: من الآية٢٧٥).

[٤] اشارة الى قوله تعالى :(تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ) (المسد:١).

[٥] مشاهدات لسان الدين: ٣١ وفيه تعبير قرآني مستمد من قوله : (والخيل المسومة والأنعام والحرث) سورة : آل عمران / آية:١٤.

[٦] مشاهدات لسان الدين : ٣٢ وفيه اشارة الى قوله تعالى : (لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ) (البلد:١) .

وقولـه : (وجنـات دانيـة القطـاف، ينسـابٌ بينهـا العـذبُ الـزلال)[٢]، وقولـه : ((فللذين أحسنوا الحسنى، وإلا فالمثل الأدنى))[٣].

وقولـه : (وفـي مـآرب أخرى فتنفس صـدر الجـو)[٤]، وكـذلك (وأقبـل بعضـهم علـى بعـض يتلاومـون حتـى اذا سـلت لـذكاتها المـدى)[٥]، وقولـه : (وفـار التنـور، وفاضت السماء)[٦]، وقوله : (والانسان قد رجع من الماء والحمأ الى أصله)[٧].

---

[١] مشاهدات لسان الدين: ٣٣ فيه اشارة الى قوله تعالى (وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ) (يّس:٣٩) .

[٢] م.ن. / ٣٥ اشارة الى قوله تعالى : (فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ) (الحاقة:٢٢-٢٣) ، و(وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً) (الانسان:١٤) . وكذلك لفظة العذب وردت في قوله تعالى : (هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ)(الفرقان: من الآية٥٣)، وقوله تعالى : (هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُه)(فاطر: من الآية١٢).

[٣] م.ن. :٣٧ وفيه اشارة الى قوله تعالى : (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ)(يونس: من الآية٢٦). و(وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى)(لنجم: من الآية٣١).

[٤] مشاهدا لسان الدين: ٨٣ وفيه اشارة لقوله تعالى : (قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى) (طه:١٨) .

[٥] مشاهدات لسان الدين: ٣٧، وفيه اشارة الى قوله تعالى : (تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ)(البقرة: من الآية٢٥٣). و(وَلا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ)(النساء: من الآية٣٢)، (وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ)(لأنفال: من الآية٣٧)، ()انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً) (الاسراء:٢١)، (مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ) (المؤمنون:٩١) (وأقبل بعضهم على بعض يتلاومون) سورة القلم آية:٣٠ .

[٦] مشاهدات لسان الدين: ٣٩ فيه اشارة الى قوله تعالى : (حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ)(هود: من الآية٤٠)، (فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ)(المؤمنون: من الآية٢٧).

[٧] م.ن. والصفحة وفيه اشارة الى قوله تعالى : (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ) (الحجر:٢٦) ، و(إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ)(الحجر: من الآية٢٨)، و(قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ) (الحجر:٣٣).

وقوله : (أنبت حبها سبع سنابل ونجادها بالهشيم قد شابت)[١] (ونداء وآتوا حقه يوم حصاده أجابت)[٢].

وقوله (ولما طال مرام العروج الى جو السماء ذات البروج)[٣]. وقوله: (كما تتدافع الأمواج، فرف الجناح، وخفض الجناح، ومهد لهم سبيل العطف)[٤].

(بلدة طيبة ورب غفور حللناها ومنادي العجماء يغرب)[٥].

(حتى تقلص الظل وطوى منشوره طي السجل)[٦]، ثم يختمها بقوله:(أدخلوها بسلام آمنين وألقت عصاها واستقر بها النوى)[٧].

أما مقامته الثالثة فهي بعنوان : (معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار) وهي تعد رائدة مقاماته البلدانية فهي (جديرة بأن تعدُّ في أحسن ما كتب العرب من مقامات)[٨].

---

[١] مشاهدات لسان الدين : ٤١، وفيه اشارة لقوله تعالى : (كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ)(البقرة: من الآية٢٦١)، وكذلك لفظة (هشيم) وردت في قوله تعالى : (إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ) (القمر:٣١) .

[٢] م.ن. والصفحة وفيه اشارة لقوله تعالى : (كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ)(الأنعام: من الآية١٤١).

[٣] مشاهدات لسان الدين : ٤١ وفيه اشارة لقوله تعالى :(وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ) (البروج:١) .

[٤] م.ن: ٤٥وفيه اشارة الى قوله تعالى : (وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَاناً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ)(الأنعام: من الآية٩٦).

[٥] م.ن : ٤٩وفي اشارة الى قوله تعالى : (كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ)(سورة سبأ، آية ١٥)

[٦] مشاهدات لسان الدين : ٤٩، وفي اشارة الى قوله تعالى :(يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ)(الانبياء: من الآية١٠٤).

[٧] مشاهدات لسان الدين : ٥٢ وفيه اشارة الى قوله تعالى (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ آمِنِينَ) (الحجر:٤٥-٤٦) .

[٨] تاريخ الجغرافية والجغرافيين: ٨٥١

تحتوي هذه المقامة في مجلسين:-

المجلس الأول : يتعلق بجغرافية مدن الأندلس .

المجلس الثاني : يتعلق بوصف مدن المغرب.

وفيما يأتي نصوص في هذه المقامة ورد فيها الأثر القرآني يقول بن الخطيب:-

(وسكنت مدينة الاسكندرية ثغر الرباط، وعجلت بالمرور الى تكرور، فبعت الظل بالحرور)[١].

وقوله : (فلا يناله من غير تلك الفرصة ضيق ولا حصر، وأطل بأعلاه قصر، وأظله فتح من الله ونصر)[٢].

وقوله :(قلت فمريله... حدقاتها مغرس العنب العديم القرين، الى قبة أرين قلت إن مرساها غير آمين)[٣].

(قلت فسهيل ... سبب عزه متين، ومادة قوته شجر وتين، قد علم أهله مشربهم)[٤].

---

[١] مشاهدات لسان الدين : ٧٢ وفيه اشارة الى قوله تعالى : (وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ * وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ) (فاطر:٢٠-٢١) .

[٢] مشاهدات لسان الدين : ٧٤، وفيه اشارة الى قوله تعالى :(إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ) (النصر:١) .

[٣] مشاهدات لسان العرب: ٧٥ وفيه اشارة لقوله تعالى : (يَسْأَلونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا)(الأعراف: من الآية١٨٧)، و(وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) (هود:٤١) ، و(يَسْأَلونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا) (النازعات:٤٢).

[٤] م.ن / ٧٦، وفيه تعبير قرآني استمده من قوله تعالى : (قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ)(البقرة: من الآية٦٠)، (فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ)(الأعراف: من الآية١٦٠).

وقوله : (وكلفٌ بهاجر، واغتمام تبلغ به القلوب الحناجر، وزمهرير تجمد له المياه)[١]، وقوله : (ثم قال اللهم غفراً، وأن لم نقل كفراً أن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)[٢].

هذا بالنسبة للمجلس الأول، أما المجلس الثاني فلم تعثر فيه على أي أثر أو اقتباس قرآني.

وقد رسم لنا ابن الخطيب في هذه المقامة صورة واضحة لمناخ هذه المدن والعمران فيها وكذلك الظروف الاقتصادية والزراعية والاجتماعية لهذه المدن.

٦. مقامة الوعظ

الهدف من هذا النوع من المقامات هو هدف ديني يتمثل بنبذ مغريات الدنيا وزينتها وإنها زائلة لا محالة وترك الذنوب والاستغفار الى الله عز وجل والتقرب اليه ومن المقاميين الذين برعوا في كتابة هذا النوع هو السرقسطي يقول في المقامة العشرين :(فأحقرنفسي وأذللها وأرجيها بالصفح وأعللها، والدمع قد انتثرت درره، انسكبت درره فاذا بصوت عالٍ وهو يقول :(اين من شيد وأطال ، وملك فاستطال؟ وكفر وتمرد ... أين فرعون ذو الأوتاد ... اين ملة العصيان والعناد)[٣].

فكل شيء في هذه الدنيا زائل الاّ وجه الله سبحانه وتعالى.

---

[١] م.ن :٨٩، وفيه تعبير قرآني ورد في قوله تعالى :(وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا)(الأحزاب: من الآية١٠).

[٢] م.ن: ٩٢، وفيه اشارة الى قوله تعالى :(إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً) (النساء:٤٨) .

[٣] المقامات اللزومية، ٢٥٥-٢٥٦.

فقوله : (اين فرعون ذو الأوتاد) تعبير قرآني استمده من قوله تعالى (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ)[١].

٧. المقامات الدعائية

من المقامات التي تضمنت الدعاء مقامتين للسرقسطي يقول في إحداها على لسان شيخ يدعو : (اللهم إليك المآب، وأنت أعلم ما الناس وما الذئاب؟ أبعدك المتاب، ومنك الأعتاب ... فاجعل لهم من رحمتك نصيباً)[٢]، فالمآب لفظ قرآني ورد في قوله تعالى :(هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ)[٣].

والأخرى يقول فيها : (اللهم اجعلني من خير مناديك وجنبني شر أعاديك، اللهم عليك رزقي، وستري، ولك شفعي ووتري)[٤].

فالشفع والوتر الفاظ قرآنية وردت في قوله تعالى : (وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ * وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ)[٥].

وهناك مقامتان دعائيتان أيضاً لابن قزمان[٦]، في استهلال شهر رمضان والأخرى في استهلال شهر شوال.

---

[١] (سورة صّ: الآية ١٢).

[٢] المقامات اللزومية: ٢٩٥.

[٣] (سورة صّ:الآية ٥٥).

[٤] الاحاطة: مج٢، ٤٩٨-٥٠٠.

[٥] (الفجر:٣-٤).

[٦] هو محمد بن عيسى بن عبد الملك بن قزمان الزهري من أهل قرطبة يكنى ابا بكر مبرر في البيان ومحرز السبق كان أديباً بارعاً محسناً شاعراً حلو الكلام مبرزاً في نظم الطريقة الهزلية توفي سنة (٥٥٠ هـ) ينظر الاحاطة : مج٢، ٤٩٤-٥٠٥.

يقول في مقامة استهلال شهر رمضان :(وتدخل الحور العين في زينتها تكريماً، وتلتزم اجلاله وتعظيماً ويهتدي فيه الناس إلى دينهم صراطاً مستقيماً)[١]، فالحور العين والصراط المستقيم وردت في قوله تعالى (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)[٢]، و(وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ)* ، وقوله : (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ)[٣]، وقوله :(الله نور السموات والأرض، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح)[٤]، وقوله: (التمست الليلة التي هي خيرٌ من ألف شهر)[٥].

وقال في استهلال شهر شوال: (أن النفس لأمارة بالسوء الا من رحم)[٦]، وقال (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر فوجد لذلك وجداً شديداً)[٧].

قوله : (وذكروه كذكرهم آبائهم أو أشد ذكراً ثم انصروا راشدين)[٨]، وقوله تعالى : (ويكاد سنا برقهِ يذهب بالأبصار)[٩]. وأخيراً يمكن القول ان خلاصة هذا المبحث أجملها د. إحسان عباس في قوله : (فقد انتفت من بعضها قصة الكدية والحيلة المقترنة بها وأصبحت صورة في رسالة يقدمها شخص بين يدي امير يرجوه او أمل يجب تحقيقه كما ان كثيراً من المقامات الاندلسية أصبح وصفاً للرحلة والتنقل في بلاد الاندلس)[١٠].

---

[١] الاحاطة :مج٢، ٤٩٨.

[٢] (سورة الفاتحة:٦).

* سورة الواقعة / آية ٢٢-٢٣ .

[٣] الاحاطة : مج٢، ٤٩٨ اقتباس من قوله تعالى : (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ)(البقرة: من الآية١٨٥).

[٤] م.ن والصفحة اقتباس قرآني من سورة : النور ، آية ٣٥.

[٥] م.ن والصفحة اقتباس قرآني من سورة : القدر، آية ٣.

[٦] الاحاطة : مج٢، ٥٠٠، اشارة الى قوله تعالى : (وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ) (يوسف:٥٣) .

[٧] الاحاطة :مج٢، ٥٠١، أخذه من سورة يس ، آية٥٣.

[٨] الاحاطة: مج٢، ٥٠٢ أخذه من سورة : البقرة، آية ٢٠٠.

[٩] الاحاطة : مج٢، ٥٠٣، أخذه من سورة: النور ، آية ٤٣.

[١٠] تاريخ الأدب الاندلسي : ٣٤ .

الخطـــابـة

الخطابة في الاندلس.

كـان الشـاعر فـي الجاهليـة مقدماً علـى الخطيـب (فلمـا كثـر الشـعراء صـار الخطيب أعظم قدراً من الشاعر)[١] ، لما للخطيب من تأثير في النفوس، ومما ساعد على علّو قدر الخطابة الاسلام (للحاجة الى الخطيب في اقناع النفوس، وجمع كلمة المسلمين، وإثارة العزائم واستنهاض الهمم)[٢].

وقد كان للقران الكريم أثره العظيم في تطور أسلوب الخطابة لان الخطباء حاكوا أسلوبه وأقتبسوا من آياته، وعلى مر عصور الاندلس أزدهرت الخطابة وما تلـى ذلـك مـن حيـاة الراحـة والتـرف حتـى (أضـحت الخطابـة تميـل الـى الموعظـة والشكلية)[٣] بعد ان كانت في السابق تميل الى ايقاظ الهمم، واشعال الحماسة في النفوس .

ولقد أزدهر فن الخطابة لسببين اثنين :-

ألاول:- التمزق الذي عاشته الاندلس طويلاً لتشاحن ملوكها واستعانة بعضهم بالعدو ضد اخوانهم المسلمين فكان هذا أقوى سبب لكي يُشمّر الخطباء عن سواعدهم ويتفننوا في خطبهم لكي ينجحوا في جمع الكلمة وتوحيد الصفوف .

الآخر:- كان ابناء العربية في الاندلس يتحدثون اللغة العربية في غدوهم ورواحهم يعينهم عل ذلك قدرتهم على أرتجال القول وهذا يساعدهم على النبوغ في هذا الفن النثري.

ونجد أن فن الخطابة ابتداءً من عصر المرابطين، اعتمد الاطناب، وتكلف الزخارف اللفظية، كالسجع والجناس، وكان هذا ناتجا عن تأثرهم بما شاع بين المشارقة في تلك الحقبة من تكلفهم لفنون البديع، (فقد انتهى الامر بالخطابة – بعد أن التاثت الملكات واضطربت الالسنة، واختلطت السلائق بالعجمة، واستغنى بتنظيم

---

(١) البيان والتبين : ١ / ١٦٢ .

(٢) الادب العربي في الاندلس : ٤٤٥.

(٣) م.ن والصفحة

الجيش عن الخطابة، بأقلام الكتّاب عن السنة الخطباء والركود لفتور الهمم عنها، وتضاؤل العناية بالعلم، وفساد الاذواق والملكات وفترت الدواعي القوية التي تدعو الى الخطابة، وقد اشتهر بالخطابة في هذا العهد ابن ابي الخصال)[١] .

أما في عصري الموحدين وبني الاحمر فلم يؤثر عن كتّاب تلك الحقبة أنهم كانوا خطباء ومع ذلك فقد أثر عنهم عدد قليل من الخطب وصلت الينا ضمن ما وصل من نتاجهم النثري ولا ندري ان كانوا مقلين في ذلك أم أن اهتمامهم بالالوان الادبية الاخرى اكثر من الخطابة جعلهم يبدون كذلك، أم إن هذا اللون الادبي قد تقّلص ظله في هذه الحقبة وظل منحصراً في المساجد (لا سيما المسجد الجامع الذي أضيفت مهمة الخطابة فيه الى مهمة الامامة)[٢] .

ويبدو ان هذا هو السبب الرئيس في ذلك وسبب نزرة هذه الخطب ان (العوادي قد تطاولت عليها وتحكمت فيها ..... فلم يصل منها الا النزر اليسير)[٣] فضلا عن ان الخطبة تلقى على الجموع بقصد التأثير فيها، عكس الشعر الذي وجدناه يسود في المجالس الحافلة[٤] وفيما يأتي نماذج من خطب الكُتّاب لهذه الحقبة يقول أبن أبي الخصال في الشكر على نزول الغيث، (اللهم بارئ النسم، وذارئ المقسم، وناشر الرّحمة والنعم، ومنزل الدّيم، وباعث الرمّم، محيي الامم، فأنا نؤمن بقدرك : خيره وشره، ونطوى غيثك على غرّه، ولا نتعرض لنشره حتى تأذن بنشره، ونعتقد ربوبيتك كل الاعتقاد، نبرأ اليك من أهل المروق والالحاد ونستزيدك من مصالح العباد ومنافع البلاد، رزقنا لديك ونواصينا بيديك، وتوكلنا عليك، وتوجهنا اليك، ولا نشرك بك في غيبك أحداً، ولا يجدُ عبد من دونك مُلتحداً تباركت وتعاليت، وأمَتّ الحي واحييت الميت، لا هادي لمن أضللت ولا مُضلّ لمن هديت فأكفنا فيمن كفيت، وتولّنا فيمن تولّيت، إنك تقضي ولا يقضى عليك ألم تر أن الله أنزل من

(١) الحياة الادبية في الاندلس والعصر العباسي الثاني : ٣٥.

(٢) الصناعتين : ١٤٢ .

(٣) تاريخ الادب العربي في الاندلس : ٧٧

(٤) الصناعتين : ١٤٣.

السماء ماءً فتصبح الارض مخضرة)[١] فالتوجه الى الخالق عزّ وجل وقت اشتداد الصعاب والأزمات وحال حلول النكبات الطبيعية أو تردي الاوضاع فكانت الخطب والرسائل تنشأ في هذه الظروف.

فكأن هذه المناسبة قد انتهزها الكاتب ليجعل منها خير منطلق لبث نوع من التوبة نحو السماء والرضا والايمان بأقدارها .

فقد استهلّ أبن أبي الخصال خطبته السابقة اولاً بالحمد والشهادة والصلاة والتسليم ثم يعدد اوصاف الطبيعة أثر نزول الغيث واصلا كلامه بالدعوة للتسبيح حتى يلتفت اخيراً الى الايمان بالاقدار، ثم يبدأ الخطبة.

والاثر القرآني واضح تماماً في هذه الخطبة من خلال ايراد الكاتب الايات القرآنية في قوله (الم تر ان الله انزل من السماء ماءً فتصبح الارض مخضرة)[٢].

وله خطبة ثانية في الحث على الجهاد، قال فيها : (الحمد لله الذي لا تعد سوابق نعمه، ولا ترد بوائق نقمه الذي فضح البرية عدله، ووسعتهم رحمته وفضله، قدر ارزاقهم واعمارهم، وأحصى أنفاسهم وكتب آثارهم، ووكل بهم ليلهم ونهارهم، فكل يتحري مطلعه الى أن يبلغ منتهاها ويتفرى مضاجعه حتى يبيت بأقصاها من رضي حتمه فمن السعداء، ومن سخط حكمه فليمدد بسبب الى السماء، أحمده حمد مؤمن بلقائه، موقن بدوامه وبقائه)[٣] .

(١) صبح الاعشى: ١٤ / ٣٠٣ .

(٢) سورة الحج / آية : ٦٣.

(٣) عصر الطوائف والمرابطين : ٢٨٦ .

إن الخطبة مليئة بتصوير تفاهة الدنيا وانها زائلة لا محالة مع التذكير بالموت، وهي نموذج من الرسائل الدينية التي سادت الاندلس في تلك الحقبة وبرع فيها أبن أبي الخصال كونه ذا دين وورع ووقار وانه محدّث وفقيه وقد اعانته خلفيته الدينية في ذلك فقد استمد عبارة (فليمدد بسبب الى السماء) من قوله تعالى (فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده)[١] .

ومن خطبه التي يحث فيها على الجهاد : (ألاّ تستوحشون لتباريح العصر، وركود ريح النصر، وتداعي أم الكفر، واجفالنا عن مقاومتهم اجفال، المعفر، الا نقلع عن الذنوب التي فتت في اعضادنا، وقضت باهتضامنا واضطهادنا ؟ واقسم بالله ما انقلب حال الدهر ولا سلبنا عادة الظهور والقهر، ولا نكل الابطال ولا اخلفنا الغيث الهطال، ولا رفعت علينا من الرغب جبال، ولا تظهر ولا تطال، وغيّر الله نعمنا، ولا خذلنا ولا اسلمنا، الا لما عهد الينا وأعلمنا، اذ يقول سبحانه " ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم") [٢] و [٣].

وتأثر أبن أبي الخصال بغيره من كتّاب النثر في المشرق حقيقة قائمة اكدها احد الباحثين بقوله (التقى أثر أبي العلاء والحريري وابن نباته عند الكاتب أبن أبي الخصال فله مقامه في معارضة الحريري – وله خطب عارض بها ابن نباته ومنها خطبه في الشكر على نزول غيث، وخطبة في الحض على الجهاد وخطبة في عيد الاضحى)[٤] .

ولابن ابي الخصال خطبة رائعة ابدع فيها واجاد فهي خطبة قالها داعياً الله تعالى أن يجمع بين عروسين فهي خطبة في الدعوة الى جمع الشمل قال فيها : (اللهم يا من جعل الارض قراراً وفجر خلالها انهاراً، وجعل لنا من الشجر الأخضر ناراً)[١]. ويا من جلّ عن الشركاء والانداد، وتعالى عن (الصاحبة والاولاد)* ، وانزل

---

(١) سورة الحج / آية : ١٥ .

(٢) سورة الرعد / آية : ١١.

(٣) عصر الطوائف والمرابطين : ٢٨٦ – ٢٨٧ .

(٤) عصر الطوائف والمرابطين : ٢٨٥ – ٢٨٦ .

[١] اقتباس من قوله تعالى: " الذي جعل لكم من الشجر الاخضر ناراً فإذا انتم منه توقدون "سورة ياسين/ آية ٨٠.

* اشارة الى قوله تعالى (ما اتخذ صاحبة ولا ولدا) سورة الجن / آية: ٣ .

بغناه وكرمه فقر العباد، (فألف بينهما كما ألف بين العين وسناها)*، والنفس وهداها والاقحوانه ونداها، والارض وسمائها، والشمس وضيائها، والنجوم وافلاكها .... ورحم الله من امدنا بالتأمين، وصلى الله على الرسول الامين، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين وعلى جميع الانبياء والصالحين، وعليه التوكل وبه نستعين، وهو المؤيد المعين، لا ربّ سواه ولا نُعمى الا نُعماه ولا ندعو ولا نعبد الا إياه)[1]. وخلاصة القول في خطابه أبن أبي الخصال أن الاثر القرآني فيها واضح من خلال اقتباسه من القرآن الكريم كذلك نجد ان الخطبة قد اتجهت اتجاهاً تقليدياً في الغالب، ولكنها لا تخلو من لمسات تجديدية يعثر عليها الباحث هنا وهناك في خطبته .

وهناك خطبة أخرى لابن زمرك يحض فيها على الجهاد أيضاً كتبها رحمه الله لما نزل المسلمون بأخر مرج غرناطة متوجهين لفج خير يقول فيها :-

" اعلموا إنا نذكر لكم ما لا يغيب عن أديانكم وأحسابكم أن هذا الجهاد وليمة دعا الله عباده اليها، وحضهم عليها، فالآيات في المصاحف مسطورة والاحاديث مشهورة، لبيع النفوس فيها من الرحمن ويذل المهج رغبة في حصول ثواب الملك الديّان، ينزل الله فيها الملائكة المسومين وتفرج الحور العين وتسيح الرحمة من رب العالمين ويباهي الله وملائكته بالمجاهدين وقد تضافرت على ذلك النصوص كفى شرفاً الفوز بمحبة الله في قوله : (ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص)[2] فينبغي فيه الاستغفار[3] .

ان الخطبة مفعمة بالالفاظ والعبارات القرآنية التي تدل على حرص الكاتب على الاخذ من القرآن الكريم وتدل ايضاً على ثقافته القرآنية فمن هذه الالفاظ " الملائكة المسوّمين " [4] .

و" الحور العين " [1] كلها الفاظ قرآنية مأخوذه من كتاب الله العزيز .

---

* اشارة الى قوله تعالى (لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم) سورة الانفال / آية :٦٣ .

(١) الترسل ورقة رقم (١) .

(٢) سورة الصف/ آية : ٤ .

(٣) أزهار الرياض في اخبار عياض : ج١ / ص٦٣ – ٦٤ .

(٤) اشارة الى قوله تعالى (يمددكم ربكم خمسة الاف من الملائكة المسومين) سورة آل عمران / آية: ١٢٥ .

أما لسان الدين بن الخطيب فلم تكن خطبه مرتجلة وانما كانت معدة سلفاً، ومكتوبة قبل القائها، ناشداً توفير عنصري الاقناع والتأثير لهما فهما الاساس الذي تقوم عليه الخطبة وقد استخدم ابن الخطيب الخطبة استخداماً موجهاً فجعلها وسيلة من وسائل الحض على الجهاد والنفور للقاء الاعداء والتصدي لخطرهم بعد ان استباحوا حرمتهم للقضاء على دينهم تلك السياسة التي اتبعها النصارى هدفاً لهم "إذ لم يبق شبر من الارض لم يصحبه دم قتيل، ولم يمر يوم لم يكن فيه قتال " [٢]. فهذه هي حال المسلمين هناك حتى نهاية امرهم في تلك البلاد.

فالحض على الجهاد كان وسيلة لسان الدين بن الخطيب التي ينشد من ورائها التأثير والاقناع من قوله في الخطبة التي بعث بها الى المغرب مع احد شيوخ الصوفية :-

" يا ايها الناس، رحمكم الله اخوانكم المسلمون، قد دهم العدو – قصمة الله – ساحتهم ورام الكفر – قبّحه الله – استباحتهم، وزحفت احزاب الطواغيت عليهم ومد الصليب ذراعيه اليهم، وايديكم بعزة الله اقوى وانتم المؤمنون أهل البر والتقوى وهو دينكم فأنصروه وجواركم القريب فلا تخفروه، وسبيل الرشد قد وضح فلينصروه الجهاد الجهاد قد تعين، الجار الجار، فقد قرر الشرع حقه وبيّن، الله الله في الاسلام، الله الله في المساجد المعمورة بذكر الله، الله الله في وطن الجهاد في سبيل الله، فقد استعان بكم الدين فاغيثوه، قد تأكد عهد الله وحاشاكم ان تنكثوه – والله يقول: (يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارةٍ تنجيكم)[٣] (وسنة الله قائمة فيكم)[٤] .

ويعمد في خطبه الى الاثارة العاطفية لذلك كان التركيز على ما يستفز الانفس ويثير العواطف ويشحذ الهمم وقد يتخذ من اسلوب التوكيد وسيلةً لزيادة

---

(١) اشارة الى قوله تعالى (كذلك زوجناهم بحورٍ عين) سورة: الدخان / آية : ٥٤ . وكذلك وردت لفظة الحور في : سورة الطور، آية: ٢٠ ، سورة الرحمن، آية: ٧٢، سورة الواقعة، آية: ٢٢ .

(٢) ملامح التجديد في النثر الاندلسي: ٢٢٣ – ٢٣٣ .

(٣) سورة الصف :آية ١٠ .

(٤) أزهار الرياض في اخبار عياض : ج١ / ٦٤ والخطبة موجودة ايضاً في ريحانة الكتاب : ٦١/٢ .

التأثير لا سيما اقترانه بعبارات الرجاء والالم والمرارة (الجهاد الجهاد فقد تعين، والجار الجار فقد قرر الشرع حقه وبيّن، الله الله في الاسلام، الله الله في امة محمد عليه السلام، الله الله في المساجد المعمورة بذكر الله، الله الله في وطن الجهاد في سبيل الله)[١] .

وقد تمتزج الصيغة الدينية بالصيغة السياسية حين يدعو الى التمسك بالدولة والقائمين عليها التي يصورها بصورة المحافظ على الاسلام والمسلمين والمسؤول عن امنهم وامانهم، وما يتحصل على يديها من النصر على عدو الاسلام والمسلمين فبعد ان وصله خبر استرداد سلطانه مدينة إطريرة، وقف خطيباً يعّرف الناس بهذا النصر العزيز ويقول :(فاستبشروا بفضل الله ونعمته واغتبطوا بهذه الدولة المباركة التي لم تعدموا من الله معها عيشاً خصيباً، ولا رأياً مصيباً، ولا نصراً عزيزاً، ولا فتحاً قريباً، وتضرعوا في بقائها، ونصر لوائها، لمن لم يزل سميع الدعاء مجيباً)[٢] .

ومما يسترعي الانتباه اليه ان ما وصل الينا من خطب لسان الدين لم تستفتح بالبسملة ولا الحمد له فجاءت مبتورة الاول فكانت العرب تسمي الخطبة التي لم يستفتح فيها بذكر الله تعالى البتراء[٣] .

وهكذا نجد خطبته هذه تتأثر بالفاظ قرآنية ومنها قوله (نصراً عزيزاً)[٤] و(وفتحاً قريباً)[٥] تدل على تأثر الكاتب بالقرآن الكريم .

---

(١) من خطبته السابقة التي ارسلها الى المغرب.

(٢) ريحانة الكتاب: ٢ / ٦٣ ، واطريرة مدينة الى الجنوب الشرقي من اشبيلية ٣٩ كم ، أنظر نفح الطيب ٣٦٩/٦ هامش ٣.

(٣) البيان والتبين : ج٢ / ٧١ .

(٤)و (٥) استمده الكاتب من قوله تعالى (إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ليتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً وينصرك الله نصراً عزيزاً) سورة الفتح / آية : ٣ .

ومن خطب لسان الدين ابن الخطيب ما خاطب به سلطان المغرب أبن زيّان[١] لما تم له الأمر ونصه : " مولانا وعمدة ديننا ودنيانا، الذي سخر الله تعالى البر والبحر بأمره ، وحكم فوق السموات السبع بعز نصره، وأغنى يوم سعده عن سلّ السلاح وشهره، وخنق عن زهر الصنع الجميل كمامة تسليمه وصبره ... وخطر البحر وعدوان مائه، وغول السفر، وارتكاب الغرر، وثبات أقدام أوليائه الذين ما بدلوا تبديلاً، ولا ارتضوا القبلة طاعته بعد أن ولوا وجوههم شطرها تحويلاً بل صبروا صبراً جميلاً وباعوا نفوسهم تتميماً لعقدة ايمانهم وتكميلاً"[٢].

فقوله : " بعد أن ولوا شطرها اشارة الى الآية القرآنية الكريمة "وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره" [٣].

ومن نثره ايضاً قوله في خطبةٍ له يبشر فيها بالفتح : " أيها الناس ضاعف الله تعالى بمرايد النعم سروركم ، وتكفل بلطفة الخفي في مثل هذا القطر الغريب أموركم أبشركم بما كتب به سلطانكم السعيد .... وأن الله تعالى فتح له الفتح المبين وأعز بحركة جهاده الدين"[٤].

فقوله (فتح له الفتح المبين) إشارة الى الآية القرآنية الكريمة : (إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً)[٥].

---

[١] هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن ابي حفص بن عبد المؤمن ، رامها ابن هود، فلم يقدر عليه الى أن مات بحسرتها استولى عليها ابن زيّان ابتداءً من سنة ٦٢٦ هـ اذ أقبل عليها من أبده فدخلها وسكن القصر وأخذ البيعة لتفسه داعياً للعباسي ببغداد ولم يزل بها حتى هاجمها النصارى بقيادة ملك ارغون سنة ٦٣٥، ينظر المغرب في حُلى المغرب، ج٢، ٣٠٣.

[٢] النفح : ج٩ / ٨٦-٨٧.

[٣] سورة البقرة، آية : ١٤٤، ١٥٠.

[٤] النفح : ج٩/ ص٤١.

[٥] سورة : الفتح/ الآية : ١

ومما خاطب به لسان الدين ابن مرزوق* قوله: (واستدفع البؤس، له وجوه متعذر الحصول، دونه بيض النصول[١] وإلا ما كان من الغرض الذي بان فيه بعد الجد الفتور وعدل عنه وقد أخذ الدستور، وتيسرت الأمور، وتقررت الإيمان والنذور، فأنه (عرض قريب ، وسفر قاصدٌ)[٢] ومسعى لا ينفق فيه سيدي من المال درهم واحدٌ)[٣].

* لم أعثر له على ترجمة.

[١] بيض النصول: تقصد بها السيوف.

[٢] هذه العبارة استمدها الكاتب من قوله تعالى ((ولو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة) سورة التوبة، آية ٤٢.

[٣] النفح: ج٩ ، ص١٢٨.

أدب الرحلات

أ. اسباب الرحلة :

يمكن حصر الأسباب التي تدفع المغاربة والاندلسيين الى القيام بالرحلة الى المشرق، بصورة خاصة، في سببين رئيسين :-

الأول : زيارة البقاع المقدسة وأداء فريضة الحج.

الآخر: الرحلة طلباً لتحصيل العلم في مراكز الثقافة المشرقية والاستفادة من شيوخها وعلمائها دراسة أو مجالسة.

وقد يمتزج السببان معاً فتكون الفرصة سانحة لأداء فريضة الحج وطلب العلم معاً وأن طالب العلم يغتنم فرصة وجوده قريباً من هذه البقاع المقدسة فيؤدي مناسك الحج.

ب. أنواع الرحلات

هناك أسباب أيضاً تدعو الى الرحلة مثل الهجرة للاستقرار أو السفارة أو الاطلاع والمغامرة لكن هذه الأسباب قليلة اذا ما قورنت بالسببين الرئيسين :

الحج وطلب العلم وعلى هذا الأساس تنوعت الرحلات فتكون الرحلات حجازية إذا قصد منها أداء فريضة الحج في الحجاز وتكون الرحلة عامة اذا أراد صاحبها التجوال في اصقاع الأرض وتكون سفارية اذا كان الشخص موفداً في سفارة للقيام بمهمة محددة لدى دولة أخرى وقد تكون استكشافية جغرافية وأكثر أنواع الرحلات شيوعاً في هذه العصور هي الرحلات الحجازية والرحلات العلمية التي كان القصد منها التزود بالعلم من منابعه المشرقية ، وأن معظم العلماء قد قاموا بهذه

الرحلات العلمية وكان على رأسهم الامام المهدي بن تومرت، ومما ساعد على انتشار الرحلات في عهد الموحدين (تحسن التنقلات البحرية وتقدم بناء السفن)[١].

ويبقى عليّ أن أقرّ بأن الرحلات المدونة لم تصلنا كلها وما ضاع منها أو غاب عن أعيننا أكثر مما ذكرته بكثير ولعل المستقبل يحمل إلينا ما يجعلنا ننمي إطلاعنا عن هذا الموضوع.

رحلة ابن العربي المسماة بـ (ترتيب الرحلة للترغيب بالملة)

لقد كان ابن العربي[٢] أثناء رحلته هذه وحيثما حل به الرحال، وأينما استقر به المقام حريصاً على لقاء العلماء والاصغاء اليهم من جهة، مثابراً على إدراك ما كان يمر به من أحداث وناس من جهة أخرى، ومع معرفتنا بأخبار كثيرة لهذه الرحلة فقد ضاع مؤلفها هذا ولم يصل الينا منه الا فقرات قد توزعتها مواضع شتى من كتب ابن العربي العديدة كتلك النقول التي تطالعنا بها خطبة كتابه (قانون التأويل في تفسير القرآن) ، فمما قصة علينا من أخبار رحلته هذه الفقرة الوصفية الشيقة لغرق سفينته عند سواحل أفريقيا : (ونحن من السغب)* على عطب، ومن العرى في اقبح زي ... تمجنا الأبصار ، وتخذلنا الأبصار فعطف أميرهم علينا ، فآوينا اليه فآوانا وأكرم مثوانا، وكسانا بأمرٍ حقير (أنا لما وقفنا على بابه الفيناه[٣] يدير أعواد الشاه فدنوت منه))[٤].

---

[١] مقدمة تحقيق الأكسر في فكاك الأسير / ب، ت.

[٢] هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن العربي المعارفي نسبة الى معارفين يعفر بن مالك بن الحارث ينتهي نسبه الى قحطان وهم باليمن والأندلس ومصر كان والده من أشهر علماء اشبيلية واحد وزراء بن عباد لما تمتع به من العلوم والآداب أما والدته فكانت ذات نسب عريق فأخوها عالم وفقيه ولد في اشبيلية عام ٤٦٨ توفي بالقرب من فاس عام ٥٤٢ هـ، ودفن خارج باب المحروق ، ينظر : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ٢٩٦/٤، الأعلام ج١٠٦/٧.

* اشارة الى قوله تعالى (او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة) سورة البلد آية:١٤ .

[٣] اشارة الى قوله تعالى : (واستبقا الباب وقدت قميصه من دبرٍ وألفيا سيدها لدى الباب) سورة يوسف، آية : ٢٥.

[٤] العواصم من القواصم: ١٣٧.

هذا كل ما وجدناه من ألفاظ قرآنية في رحلة ابن العربي بسبب ضياع أكثر نصوص هذه الرحلة التي لم نستطع الحصول عليها ومع ذلك نستطيع القول فيما يخص اسلوب ابن العربي في وصف رحلته عامة : فهو اسلوب امتاز بالكثير من الحيوية وسهولة التعبير فضلاً عن ميله الواضح صوب الصنعة البلاغية المتمثلة خاصة باللجوء الى السجع.

رحلة ابن جبير

أما ابن جبير[1] فقد عنى في رحلته هذه بوصف المساجد والنواحي الدينية والمشاهد وقبور الصحابة ومناسك الحج عناية خاصة فقد كان ذا عاطفة دينية قوية متقدة يختتم كلامه بالدعاء إلى الله تعالى والتوكل عليه لذلك نرى أن ألفاظ الدعاء واضحة في رحلته هذه مثل (حرسها الله، عمرها الله، حماها الله، ومنها ما يدعو عليها مثل (دمرها الله إذا كانت تحت سلطة الفرنج).

وقد ابتدئ بتقييد رحلته يوم الجمعة الموافق ثلاثين لشهر شوال سنة ثمان وسبعين وخمس مئة على متن البحر بمقابلة جبل شلير.

وهذه الرحلة حافلة بالاقتباسات القرآنية الكثيرة والألفاظ القرآنية التي تدل على ثقافة الرحالة ابن جبير الدينية والقرآنية والتي سنوضحها من خلال اقتباس نصوص من هذه الرحلة يقول في هذه الرحلة في وصف المسجد الحرام والبيت العتيق:-

((وسقف البيت مجلل بكساء من الحرير الملون، وظاهر الكعبة كلها من الأربعة الجوانب مكسو بستور من الحرير الأخضر وسداها قطن وفي أعلاها رسم

---

[1] هو أبو الحسن محمد بن أبي جعفر بن حبير صاحب الرحلة المشهورة ولد عام ٥٤٠ هـ ودرس الفقه والحديث بشاطبة ويقال أنه أضطر وهو يعمل مع عثمان بن عبد المؤمن الى شرب الخمر فأزمع الحج الى بيت الله ليكفر عن خطيئته وقد رحل الى المشرق مرتين ثم رحل الى مصر فمات عام ٦١٤ هـ وقبره بالاسكندرية، ينظر : المغرب في حلى المغرب: ٢/ ٣٨٤.

بالحرير الأحمر فيه مكتوب : (إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً)[١]، واسم الامام الناصر لدين الله في سعته قدر ثلاث اذرع)[٢].

ثم يذكر الآيات القرآنية المذكورة على أبواب الحرم الشريف بقوله: ((وعلى كل واحدة منهما لوحٌ قد وضع على رأس السارية كالتاج الفيت فيه منقوشاً يرسم مذهب :(إن الصفا والمروة من شعائر الله)[٣] وبعدها أمر بعمارة هذا الميل عبد الله وخليفته أبو محمد المستضيء)[٤].

ويقول في موضع آخر : (وهو الوادي الذي عنى، صلى الله عليه وسلم) بقوله حيث حكى الله تبارك وتعالى عنه : (ربنا أني اسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذي زرع)[٥]، فسبحان من أبقى له الآيات البينات))[٦].

ثم يذكر مكة بقوله : ((هذه البلدة المباركة سبقت لها ولأهلها الدعوة الخليلية الابراهيمية، لأن الله عز وجل يقول حاكياً عن خليله صلى الله عليه وسلم : فأجعل أفئدة من الناس تهوى أليهم، وأرزقهم من الثمرات، لعلهم يشكرون) [٧] وقال عز وجل : (أولم نمكّن لهم حرماً آمناً يجبى إليه ثمرات كل شيء)[٨] فبرهان ذلك فيها ظاهر متصل الى يوم القيامة)[٩]، ويقول : (وتكفل الله به في انقلابه وتحسين مآبه (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ)[١٠] ، وبقي خبر هذا الرجل مع الأمير

---

[١] سورة آل عمران، آية ٩٦.

[٢] رحلة ابن جبير : ٦١.

[٣] سورة البقرة ، آية ١٥٨.

[٤] رحلة ابن جبير: ٨٤.

[٥] سورة ابراهيم ، آية ٣٧.

[٦] رحلة ابن جبير، ٨٦.

[٧] سورة إبراهيم ، آية ٣٧.

[٨] سورة : القصص، آية ٥٧.

[٩] سورة سبأ، آية ٣٩.

[١٠] (سورة سبأ: من الآية٣٩).

يتهادى غرابةً وعجباً[١]، ويقول : ((وفي يوم الجمعة الرابع والعشرين من الشهر المذكور نفذ امر الأمير مكثر بالقبض على زعيم الشيبيين محمد بن اسماعيل وانتهاب منزله وصرفه عن حجابة البيت الحرام، طهره الله، وذلك لهنات نسبت اليه لا تليق بمن نيطت به، سدانة البيت العتيق ((ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم))[٢]، أعاذنا الله من سوء القضاء، وتفوذ سهام الدعاء)[٣].

ثم يقول : (وتحققنا أن أظهار القبض عليه لم يكن غيرة ولا أنفة على حرمات الله المنتهكة على يديه مع كونها في خطة دونها الخلافة رفعة والحال تشبه بعضها بعضاً ((وأن الظالمين بعضهم أولياء بعض))[٤]، وإلى الله المشتكى من فساد ظهر حتى في أشرف البقاع))[٥].

وكذلك قوله : (وكانت المنافع التجارية كلها راجعة اليه والذخائر الهندية المجلوبة كلها واصلة الى يديه فأكتسب (سحتاً)[٦] عظيماً))[٧].

ثم يصف الانحدار الى مكة في قوله :(فوقع التعجيل في هذا الزمان في اليومين كما قال الله تبارك وتعالى : (فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ)[٨]، و مخافة تبني شعبة وما يطرأ من حرابة المكين)[٩].

---

[١] رحلة ابن جبير : ١٠٦.

[٢] سورة الحج، آية ٢٥.

[٣] رحلة ابن جبير : ١٤٢.

[٤] سورة الجاثية ، آية ١٩.

[٥] رحلة ابن جبير : ١٤٥.

[٦] اشارة الى قوله تعالى : (سماعون للكذب آكلون للسحت) سورة : المائدة، آية ٤٢.

[٧] رحلة ابن جبير : ١٤٨-١٤٩.

[٨] (البقرة: من الآية٢٠٣).

[٩] رحلة ابن جبير: ١٥٧.

ثم يقول في وصف مجلس وعظ (وفي صبيحة يوم السبت شاهدنا مجلس الشيخ الفقيه، الإمام الأوحد، جمال الدين أبي الفضائل بن علي الجوزي .... وهو يورد الخطبة الغراء بها عجلاً ! : ((أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لا تُبْصِرُونَ))[١] ((إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ))[٢]، فحدث ولا حرج عن البحر وهيهات)[٣].

ومن أحفل المشاهد الدنيوية التي ذكرها ابن جبير قوله :(وفي يومنا هذا رأينا عن يمين الطريق، (جبل الجودي المذكور في كتاب الله تعالى)[٤] الذي استوت عليه سفينة نوح (عليه السلام)، وهو جبل عالٍ مستطيل)[٥].

ثم يصف مدينة حران بقوله : (فلا يزال أهلها في (ظلٍ ممدود)[٦]، فتخترقها كأنك تخترق داراً كبيرة الشوارع)[٧].

ثم يذكر مدينة دمشق : (قد سئمت أهلها كثرة الماء حتى اشتاقت الى الظمأ فتكاد تناديك بها الصم الصلاب: (أركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب)[٨]، قد أحدقت البساتين به أحداق الهالة بالقمر))[٩].

ثم يصف لنا المشاهد المكرمة التي شاهدها بقوله:(وهذا المولد المبارك غار مستطيل ضيق، وقد بني عليه مسجد كبير، مرتفع مقسم على مساجد كثيرة كالغرف

---

[١] سورة الطور:الآية ١٥.

[٢] سورة النمل ، آية ١٦.

[٣] رحلة ابن جبير: ١٩٧.

[٤] اشارة الى قوله تعالى : (وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)(هود: من الآية٤٤).

[٥] رحلة ابن جبير : ٢١٣.

[٦] اشارة الى قوله تعالى : (في سدرٍ مخضود وطلح منضود وظل ممدود)، سورة الواقعة، آية ٢٨-٣٠.

[٧] رحلة ابن جبير : ٢٢١.

[٨] سورة ص، آية ٤٢.

[٩] رحلة ابن جبير: ٢٣٤.

المطلة، وعليه صومعة عالية، من ذلك الغار رأى عليه السلام، الكوكب ثم القمر ثم الشمس، حسبما ذكره الله تعالى في (كتابه عز وجل)[١] وفي ظهر الغار مقامه الذي كان يخرج منه))[٢].

ثم يقول : ((والله يوفق ويرشد لا إله سواه قد نصحت إن ألفيت سامعاً، وناديت إن أسمعت مجيباً (وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ)[٣]، جلت قدرته، وتعالى جده))[٤].

ثم يصف مدينة بانياس بقوله : (ومن الفجائع الطارئة على المسلمين: أن يشتكي الصنف الاسلامي جور صنفه المالك له ... فإلى الله المشتكى من هذه الحال، وحسبنا تعزية وتسلية ما جاء في الكتاب العزيز ((إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ))[٥])[٦].

ثم يذكر مدينة عكا: (وهي قاعدة مدن الأفرنج بالشام ومحط (الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلامِ)[٧] مرفأ كل سفينة)[٨].

ثم يقول :(وهذا الخنزير صاحب عكة المسمى عندهم بالملك محجوب لا يظهر قد ابتلاه الله بالجذام، فعجل له سوء الانتقام، قد شغلته بلواه في صباه، عن نعيم دنياه فهو فيها يشقى، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى[٩] وحاجبه وصاحب

---

[١] اشارة الى سورة الأنعام، آية ٧٦-٧٨.

[٢] رحلة ابن جبير: ٢٤٦.

[٣] (الاسراء: من الآية٩٧).

[٤] رحلة ابن جبير : ٢٥٨.

[٥] (لأعراف: من الآية١٥٥).

[٦] رحلة ابن جبير: ٢٧٥.

[٧] (الرحمن: من الآية٢٤).

[٨] رحلة ابن جبير : ٢٧٦.

[٩] سورة طه، آية ١٢٧.

[١٠] رحلة ابن جبير: ٢٨٢.

ثم يصف عكا وصور بقوله :(ولها مع شاطئه مما يتصل بالبحر بسيط رمل لم يرَ أجمل منه منظراً ولا ميدان للخيل يشبهه، وإليه كوب صاحب البلد كل (بكرة وعشية)[١]، وبه يجتمع العسكر)[٢].

(وفي يوم الأربعاء الثالث والعشرين منه تحركت الريح الشرقية نسيماً فاتراً عليلاً فاستبشرت النفوس بها رجاءً في نمائها وقوتها، فكانت نفساً خافتاً ثم بعد ذلك غشى البحر ضباب رقيق سكنت لهُ أمواجه فغادر (كأنه صرحٌ ممردةٌ من قوارير)[٣])[٤].

ثم يصف الاشراف على الغرق بقوله : (فتمكن حينئذٍ اليأس من النفوس وفي أثناء مكابدة هذه الأحوال (أسفر الصبح)[٥]. (فجاء نصر الله والفتح)[٦] وحققنا النظر فإذا بمدينة مسينة)[٧].

ثم يصف مدينة مسينة : (لكنها معمورة بعبدة الصلبان (يمشون في مناكبها)[٨] ويرتعون في أكنافها والمسلمون معهم على أملاكهم وضياعهم)[٩].

---

[١] تعبير قرآني ورد في سورة مريم، آية ١١، ٦٢.

[٢] رحلة ابن جبير: ٢٨٣.

[٣] سورة : النمل، آية ٤٤.

[٤] رحلة ابن جبير : ٢٨٦.

[٥] اشارة الى قوله تعالى (والصبح إذا أسفر) سورة المدثر، آية ١٤.

[٦] اشارة الى قوله تعالى (إذا جاء نصر الله والفتح)، سورة النصر . آية ١.

[٧] رحلة ابن جبير: ٢٩٤.

[٨] اشارة الى قوله تعالى : (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا)(الملك: من الآية١٥).

[٩] رحلة ابن جبير: ٢٩٧.

ثم يصف جبلاً في جزيرة صقلية بقوله :(وأما الجبل الشامخ الذي بالجزيرة، المعروف بجبل النار، فشأنه ايضاً عجيب، وذلك أن ناراً تخرج منه في بعض السنين (كالسيل العرم)[١] فلا تمر بشيء إلا أحرقته)[٢].

ثم يذكر مدينة ثرمة في قوله :(وأبصرنا من القصور المشرفة والميادين المنتظمة .... ما راع أبصارنا أذهل أفكارنا وتذكرنا قول الله عز وجل (ولولا أن يكون الناس أمةً واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضةٍ ومعارج عليها يظهرون)[٣])[٤].

ثم يقول: (نعوذ بالله من عواقب الشقاوة وخواتم الظلالة، ومع ذلك فأعلمنا أنه يكتم أيمانه ، فلعله داخل تحت الاستثناء في قوله :(إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ)[٥])[٦].

ثم يقول: (فإنه لم تزل بهم الملكة الطاغية من النصارى والاستدراج الشيء بعد الشيء حالاً بعد حال حتى اضطروا الى التنصر عن آخرهم، وفر منهم من قضى الله بنجاته، (وحقت كلمة العذاب على الكافرين)[٧] والله غالب على أمره، لا إله سواه)[٨].

---

[١] إشارة الى قوله تعالى : (فاعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم)، سورة سبأ ، آية ١٦.

[٢] رحلة ابن جبير: ٣٠١.

[٣] سورة الزخرف، آية ٢٣.

[٤] رحلة ابن جبير: ٣٠٤.

[٥] (النحل: من الآية١٠٦).

[٦] رحلة ابن جبير: ٣١٣.

[٧] سورة الزمر، آية ٧١.

[٨] رحلة ابن جبير: ١١٥.

رحلة العبدري[١] المسماة بـ : (الرحلة المغربية)

خرج العبدري في رحلته قاصداً بلاد الحجاز فيقول : (كان سفرنا تقبله الله تعالى في الخامس والعشرين من ذي قعدة عام ثمانية وثمانين وستمائة مبدوءة من حاحة صانها الله وكان طريقنا على بلاد القبلة)[٢].

ومن خلال هذه الرحلة سوف نتلمس مواضع الأثر القرآني فقد كان العبدري في رحلته هذه مقلاً من الاقتباس القرآني إلا في مواضع معينة سوف نبينها في هذا المبحث منها قوله :

((وفرقاً بينها وبين الحيزية قال الله تعالى :(فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا)[٣] وقال جل شأنه : (فيما هم فيه مختلفون)[٤]ولو حذف الألف منها لصح الوزن)[٥].

وقوله : (من ابتغى العلم في غيره أضله الله ومن ولى هذا الأمر من جبار فحكم بغيره قصمه الله وهو الذكر الحكيم والنور المبين والصراط المستقيم)[٦] فالصراط المستقيم تعبير قرآني[٧].

---

[١] هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن مسعود العبدري الحيحي وسمي جده في بعض مخطوطات رحلته سعوداً وتدل نسبة العبدري على أنه كان من أصل عربي قرشي، ينظر مقدمة كتاب الرحلة المغربية : ت.

[٢] الرحلة المغربية: ٧.

[٣] (سورة النازعات:الآية ٤٣) .

[٤] سورة النبأ ، آية ٣.

[٥] الرحلة المغربية: ١٧.

[٦] الرحلة المغربية: ٢٩.

[٧] سورة الفاتحة آية : ٥ .

وقوله : (يسأل الناس عن الطريق ويدل بي وهذا من أغرب ما يسمع من جميل الأخلاق (وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء)[١] ولولا أني دخلتها لحكمت بأن العلم في أفق الغرب قد محي رسمه)[٢].

وقوله تعالى : (واستبان لهم لما لاح في ليل خبطهم نهار أن بنيانهم كان على (شفا جرفٍ هار)[٣] ولولا ما أتوقع من جدال المماحك لم أشن وجوه الأوراق بهذه المضاحك، ولم أخلد لها ذكراً في الكتاب بل طويتها كطي السجل للكتب)[٤])[٥].

ثم يصف قطع البرية بين قابس وطرابلس فيقول : (ومنها الى قريتي (زوارة وزواغة ذوي الأنفس الخبيثة والقلوب الرواغة معتقدات شنيعة وأعمال (كسراب بقيعة)[٦]ومذاهب سوء ردية)[٧].

---

[١] أخذه من قوله تعالى :(أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ)(البقرة: من الآية٩٠).

[٢] الرحلة المغربية : ٤٢.

[٣] أخذه من قوله تعالى : (أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّم)(التوبة: من الآية١٠٩).

[٤] أخذه من قوله تعالى : (يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ)(الانبياء: من الآية١٠٤).

[٥] الرحلة المغربية :٧٥.

[٦] أخذه من قوله تعالى: (أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً) سورة النور، آية ٣٩.

[٧] الرحلة المغربية: ٧٦.

وله اقتباس قرآني ايضاً في قوله تعالى : (وأرى مثل هذا في آية آل عمران، وهي قوله تعالى : (فإن كذبوك فقد كذبت رسلٌ من قبلك)[١][٢].

وسألت شيخاً عن (ماء هل هو معين)[٣] فقال لي هو ماء غور)[٤].

وقوله: (ما وروي عنها من العلوم القديمة نقاهم من الأوضار والأدناس (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ)[٥]، كتابهم أعظم كتاب أنزل ونبيهم أكرم نبي أرسل)[٦].

وقوله : (قال البكري فليس في الأرض نهر يسمى بحراً ويماً غير الله تعالى فألقاه في اليم واليم البحر فسماه بحراً)[٧].

يقول في وصف معالم المدينة المنورة :(ولم تقم الركب بالمدينة إلا (يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ)[٨] وقد أستقر عن وسعي في تأملها وتحفظ صفتها)[٩].

وقوله : (حرم الخليل (عليه السلام) وهي قرية مليحة النظر والمخبر، أنيقة المسموع، والمبصر مشرقة (والصبح إذا أسفر)[١٠]، موضوعة ببطن وادٍ قليل الماء والشجر[١١].

---

[١] سورة آل عمران: آية ١٨٤.

[٢] الرحلة المغربية : ٧٩.

[٣] أخذه من قوله تعالى : (قل أرأيتم أن أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماءٍ معين) سورة الملك: آية ٣٠.

[٤] الرحلة المغربية: ٨٩.

[٥] (آل عمران: من الآية١١٠).

[٦] الرحلة المغربية: ١٤٥.

[٧] وفيه اشارة الى قوله تعالى : (فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ)(طه: من الآية٣٩).

[٨] اشارة الى سورة الكهف: الآية١٩). من قوله تعالى : (قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ).

[٩] الرحلة المغربية: ٢٠٣.

[١٠] سورة المدثر آية ٣٤.

[١١] الرحلة المغربية: ٢٢٢.

رحلة لسان ابن الخطيب في بلاد المغرب عن كتاب (نفاضة الجراب في علالة الاغتراب)

بدأ ابن الخطيب رحلته بالبسملة والصلاة على سيدنا محمد فعقد فصلاً في وصف جبل هنتانة والرحلة هذه مفعمة بالالفاظ القرآنية من ذلك قوله:

(من الخطب الذي عوضه من نظرة النعيم وجوه الغرانقة[١] الغر، والتوكؤ على النمارق المصفوفة ، والزرابي المبثوثة [٢] في المتبؤ الكريم).

ثم بعد ذلك يصف مسجد أمام الموحدين (المهدي بن تومرت) ودار سكناه ، فيقول : (فعجبنا من مفتاح تلك الدوبرة المهتضمة، كيف تملك من القصور العظيمة (ما أن مفاتحهُ لتنوء بالعصبة أُولي القوة)[٣]، ولمنبر ذلك المسجد كيف أخذ)[٤].

ثم يصف رحلته الى أزمور[٥] (فرأينا صدق المثل في قولهم العود أحمد، فتلقينا بها أصناف الفضلاء مصحرين، ولوظائف البر متممين وقاهم الله معرات السنين، وكرم وجوههم (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه)[٦]، في يوم العرض والدين)[٧].

رحلة ابن بطوطة المسماة : تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار

---

[١] جمع غرنيق وهو طائر مائي ابيض جميل.

[٢] اشارة الى قوله تعالى (ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة) سورة الغاشية ، آية ١٦.

[٣] اشارة الى قوله تعالى : (وآتيناه من الكنوز ما أن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة) سورة القصص، آية ٧٦.

[٤] مشاهدات لسان الدين: ١٢٦.

[٥] أزمور : مدينة على ساحل المحيط بالمغرب الأقصى على الحافة اليسرى لمصب نهر أم الربيع راجع صبح الأعشى: ج٥، ص١٧٢ .

[٦] اقتباس قرآني في سورة : آل عمران، آية ١٠٦.

[٧] مشاهدات لسان الدين: ١٥٤.

أما رحلة ابن بطوطة[١] فتتميز بخاصية ميزتها عن باقي الرحلات وهذه الخاصية هي نزرة ما استطعت الوقوف عليه من ألفاظ قرآنية أو اقتباس قرآني وفيما يلي المواضع التي وردت فيها اشارات الى ذلك:-

هذه الرحلة دونها ابن بطوطة بجزأين يقول في الجزء الأول من هذه الرحلة وهو يذكر مدينة القاهرة أثناء نزوله فيها وفي مدينة دمياط:-

((وبها زاوية الشيخ جمال الدين الساوي قدوة الطائفة المعروفة بالقرندرية، وهم الذين يحلقون لحاهم وحواجبهم .... ويذكر أن السبب الداعي للشيخ جمال الدين الساوي الى حلق لحيته وحاجبيه أنه كان جميل الصورة حسن الوجه، فعلقت به امرأة من أهل ساوة، وكانت تراسله وتعارضه في الطرق وتدعوه لنفسها، وهو يمتنع ويتهاون، فلما أعياها أمره دست له عجوزاً تصدت له أزاء دار على طريقه الى المسجد،وبيدها كتاب مختوم فلما مر بها قالت له : يا سيدي اتحسن القراءة ؟ قال : نعم، قالت له : الكتاب وجهه إلي ولدي وأحب أن تقرأه علي، فقال لها : نعم، فلما فتح الكتاب قالت له: يا سيدي : أن لولدي زوجة وهي بأسطون الدار فلو تفضلت بقراءته بين بابي الدار بحيث تسمعها، فأجابها لذلك، فلما توسط بين البابين غلقت العجوز الباب وأخرجت المرأة جواريها فتعلقن به ، وأدخلته الى داخل الدار وراودته المرأة عن نفسه فلما رأى أن لا خلاص له قال لها :(إني حيث تريديني فأريني بيت الخلاء) فأرته إياه فادخل معه الكتاب وكانت عنده موسً جديدة، فحلق لحيته وحاجبيه وخرج عليها فاستقبحت هيأته)[٢].

في هذا النص اشارة الى سورة النبي (يوسف عليه السلام)[٣] عندما راودته أمرأة العزيز، وقد برع ابن بطوطة في الاستفادة من هذه القصة وكيف ضمنها في

---

[١] هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم الطنجي المعروف بابن بطوطة الملقب بشمس الدين ولد في طنجة سنة ٧٢٣ هـ ، وعاش مع والديه في سعة واطمئنان الى أن دعاة داعي الحج الى مكة في ٧٢٥ هـ ثم جاب أكثر بلاد العالم المعمور في ذلك العصر في ثلاث رحلات كثيرة انتهت سنة (٧٥٥هـ) وقد توفي ابن بطوطة في سنة ٧٧٠ هـ وقبره يزار بطنجة. ينظر الأعلام : ١١٤/٧.

[٢] رحلة ابن بطوطة: ٤٩/١.

[٣] (وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ * وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ

رحلته هذه، ثم يصف مدينة مصر فيقول : (ثم وصلت الى مدينة مصر، وهي أم البلاد، وقرارة (فرعون ذي الأوتاد)[١] ذات الأقاليم العريضة)[٢].

ثم يصف نيل مصر فيقول: (ولا يعلم نهرٌ يزرع عليه ما يزرع على نهر النيل وليس في الأرض نهرٌ يسمى بحراً غيره، قال الله تعالى : (فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِ)[٣] فسماه يماً وهو البحر)[٤].

أما الجزء الثاني من رحلة ابن بطوطة فلم أعثر فيه على أية ألفاظ قرآنية أو اقتباسات قرآنية.

وأخيراً نقول مهما قلنا بحق الرحلة أو سيقول عنها الآخرون فهي مصنف أدبي على غاية من الفنية والفائدة افتتح وبكل جرأة الباب أمام التأليف الأدبي في مجال الرحلات ليلجه من بعده عدد من جغرافي وأدباء الأندلس.

عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ * وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءاً إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ *وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ * فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ * يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ * وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبّاً إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلالٍ مُبِينٍ * فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّيناً وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ) سورة يوسف ، آيات ٢٣-٣١.

[١] سورة الفجر آية ١٠.

[٢] رحلة ابن بطوطة: ٥٣/١.

[٣] (القصص: من الآية٧).

[٤] رحلة ابن بطوطة: ٥٦/١.

الفصل الرابع

التركيب الفني للرسائل والخطب والمقامات والرحلات الاندلسية

الدراسة الفنية

تختص هذه الدراسة بالتعامل مع المحسنات اللفظية والمعنوية[1] في النثر الاندلسي وقد سبق لنا تاكيد انتماء النثر الفني في الاندلس الى اتجاه النثر البديعي المسجّع الذي شاعت انماطه في القرن الرابع الهجري وقد اخذ طريقه الى الاحتراف والتعقيد مع تقدم العصور الادبية. فيكون المنهج المتبع عند كُتّاب هذه العصور انعكاساً لمؤثرات فن النثر في هذه الحقبة في المشرق. إذ صار الكُتّاب يلاحقون اصطياد المحسن اللفظي أو المعنوي وتكثيفه في النص الادبي لاظهار براعة الكاتب في اغناء انشائه بمياسم الجمال الفني الذي شاع طرازه ومن خلال العودة الى النصوص التي استشهدنا بها في دراستنا الموضوعية نجد هذه الحقيقة ماثلة للعيان حيث تبدو الزخرفة اللفظية والمعنوية منهجا عاما للكُتّاب بحيث تصبح الدلالة على المعنى عسيرة بعض الشيء في ظل ضجيج الالفاظ.

بعد هذه المقدمة يتضح لمن يتأمل النثر الفني في هذه الحقبة انه يتضمن كل هذه المحسنات اللفظية والمعنوية ان لم نقل معظمها وفيما يلي عرض لاهم هذه المحسنات.

[1] ينظر التلخيص: ٣٤٧ ، جواهر البلاغة : ٣٦٠ وما بعدها .

اولاً : البدء والختام

حذا كتاب النثر الاندلسي في هذه الحقبة حذو المشارقة في بناء رسائلهم فالفيناها لا تختلف كثيراً عن الرسائل المشرقية من حيث البناء الفني الا في بعض الجزئيات. فتبدأ الرسالة في الغالب بالبسملة والتحميد والصلاة على الرسول الكريم[١].

ويظهر ذلك واضحاً في بعض الرسائل الدينية ولا سيما رسائل الشوق والوجد الديني فهذا ابن ابي الخصال يفتح احدى رسائله بالبسملة والصلاة على الرسول الكريم قائلاً:-

(بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الى الرؤوف الرحيم، الرسول الكريم، ذي الخلق العظيم، والحسب الصميم، والصفح الجميل)[٢].

وقد نجد للكاتب رسائل تبدأ بالدعاء للمرسل اليه مباشرة إذ تخلو في الغالب من الاستفتاح المعروف بالبسملة والصلاة على الرسول ومن الامثلة التي تبدأ بالدعاء الى المرسل اليه قول ابن ابي الخصال يعتذر لابي الحسين بن سراج: ((أطال الله بقاء الوزير الاجل أبي الحسين))[٣] .

---

[١] ينظر صبح الاعشى : ٩ / ٣٧ – ٢٢٦ ، ١٤ / ٢٩٨ – ٣٠٣ .

[٢] أزهار الرياض: ٤ /٢٠ .

[٣] ينظر ترسل الفقيه الكاتب : ٧٤.

وقوله في رسالة عن بعض المرابطين الى أمير المسلمين علي بن يوسف تتعلق بشؤون حصن اربلة قال في اولها : ((أطال الله بقاء امير المسلمين وناصر الدين، مؤيداً بجنوده))[١] .

وقوله في رسالة اخرى: أطال الله بقاء وليّ وامامي، الذي له اكباري واعظامي))[٢] .

وقوله في اخرى: (اطال الله بقاءك، ومقاليد المجد تلقى اليك، ووفود الحمد)[٢] .

أما أبو فارس الفشتالي فأستهل رسائله بفصل الخطاب (أما بعد) ويتبعها بالحمدلة ثم يصلي على الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم يترضى عن الصحابة والآل رضوان الله عليهم فيقول على سبيل المثال: ((أما بعد حمداً لله الذي منّ على سعداء عباده بالانتماء للجناب النبوي مناً جسيماً .... والصلاة والسلام على لبنة التمام من شوامخ ابنية الرسالة..... سيدنا ومولانا محمد الماحي بأنوار هدايته سدف الضلال ..... والرضا عن آله الذين تسنموا الذروة الشمّاء .... وعن اصحابه الذين اشرعوا الاسنة في الانتصار للدين والسُنة والدعاء لهذا المقام الامامي))[٣] .

أما عقود النكاح عند لسان الدين بن الخطيب فالمقدمة عنده تتكون من الحمد له والشهادتين (ونشهد انه الله الذي لا اله الا هو .... ونشهد محمداً عبده ورسوله

---

[١] عصر المرابطين والموحدين: ق١ / ٥٤٧.

[٢] الاحاطة: ١ / ٢٨٨ .

[٢] الذخيرة: ق ٣ / م٢ / ٨٠٠ – ٨٠١ .

[٣] رسائل سعدية: ٨٢ – ٨٣ .

والصلاة على الرسول الكريم صلى الله عليه وعلى آله وسلم)[٤] فهو في اثناء ذلك يشيع جواً دينياً .

أما الختام فقد كان الكُتّاب يختتمون رسائلهم بالدعاء للمرسل اليه والسلام عليه، من امثلة ذلك قول ابن ابي الخصال في ختام إحدى رسائله التي كتبها معزياً :((والله عز وجل يديم لنا بكم الامتاع بمنّه وكرمه، والسلام))[(١)].

وقوله في خاتمة رسالة اخرى كتبها الى صديق له يعزيه في نكبه:((جعل الله ذلك صقلاً لقلوبنا وتوبةً عما سبق من ذنوبنا ..... بمنّه والسلام الطيب المبارك ورحمة الله وبركاته))[١].

وقوله في أخرى يهنئ أحد اصدقائه بسلامته ((والسلام المعاد عليه وعلى جملته ورحمة الله وبركاته))[٢].

أما ابن الخطيب فيختتم مقامة رحلة الطيف بآيةٍ قرآنية كريمة فيقول : ((ادخلوها بسلامٍ آمنين))[٣] .

ثانياً:- الجمل الدُعائية والاعتراضية

لقد أكثر الكُتّاب من استخدام الجمل الدّعائية والمعترضة في رسائلهم في مختلف الاغراض ذلك ان هذا اللون من الجمل يُعد ((أصلاً من أصول التعبير الادبي لدى الكُتّاب في المشرق والاندلس، وتقوم عليه الرسائل على أختلاف موضوعاتها واغراضها))[٤] .

---

[٤] ريحانة الكُتاب: ١ /٨٤ .

[(١)] صبح الاعشى: ٩ /٩٢ .

[١] م . ن : ٩ /٢٢٢ .

[٢] م . ن : ٩ / ٣٧ .

[٣] مشاهدات لسان الدين : ٩٢.

[٤] أحكام صنعة الكلام : ٨١.

والمقصود بالجمل الدعائية: ((الجمل والعبارات التي تعّبر عن التعظيم لله تعالى أو المتضمنة دعاء للمرسل اليه بالعز والسعادة وامتداد السلطان وطول البقاء والتوفيق))[١] .

أو تدعو على العدو بالهزيمة والفناء وما الى ذلك من المعاني والموضوعات[٢].

أما الاعتراضية فيقصد بها تلك الجمل والعبارات التي ترد بين أجزاء الكلام الاساسية وغالباً ما تكون دعائية. وتبدو ظاهرة الجمل الدعائية بوضوح في معظم اغراض الكُتّاب النثرية وموضوعاتها وخاصةً في الرسائل الاخوانية.

ومن الأمثلة على ذلك، قوله ابن ابي الخصال مهنئاً: ((البُشرى – أدام الله اعتزازه – بمقدم الوزير فلان قد أوضعت ركابها ....))[٣] .

وقوله مخاطباً ابن بسّام[٤] : ((وأنا أرباً – أعزك الله – بقدر الذخيرة، عن هذه النتف الاخيرة))[٥] .

وقوله مخاطبا ابن خاقان : ((الحذر – اعزك الله – يؤتي من الثقة،....))[٦].

---

[١] م . ن: ٨٢ – ٨٣ .

[٢] ينظر وثائق تاريخية جديدة:١٦٧ – ١٧٥.

[٣] صبح الأعشى: ٩ / ٣٧

[٤] هو الأديب أبو الحسن علي بن بسام التغلبي الشنتريني صاحب الذخثيرة في محاسن أهل الجزيرة العجب أنه لم يكن في حساب الآداب الاندلسية أنه سيبعث من شنترين قاضية الغرب محل الطعن والضرب توفي سنة ٥٤٢ هـ ، ينظر المغرب في حلى المغرب ج١/٤١٧-٤١٨.

[٥] الذخيرة: ق٣ / م٢/ ٧٩١ .

[٦] الذخيرة: ق٣ / م٢/ ٣٨٨ .

وقوله مهنئا الوزير ابا بكر بن رحيم بتوليه الوزارة: ((هذه – اعزك الله – بديهة البشرى، وعجالة كعجالة القرى، فأنا لها بالاقبال ضمين))[١] .

ولعل من ابرز موضوعات الرسائل الاخوانية التي تكثر فيها الجمل الدعائية التعازي والمراثي، حيث تتضمن عبارات دعائية كثيرة تدعو الى الصبر والجلد واحتمال المصاب احتساباً للاجر والثواب من اجل تخفيف وقع المصاب على المخاطب وبعث الطمأنينة الى قلبه مثال ذلك قول ابن ابي الخصال في رسالة كتب بها يعزي في نكبه : ((مثلك آنس الله فؤادك – وخفف عن كاهل المعاني ما هاضمك))[٢] .

وقوله ايضاً في باب التعازي : ((الشيخ فلان عَزّاه الله على احتسابه))[٣] وقوله ((الشيخ فلان – أبقاه الله –))[٤] وقوله في أخرى: ((الشيخ الاجل فلان آنس الله وحشته))[٥] .

اما المقري* فان –الجمل الاعتراضية عنده تأتي في كثير منها على شكل دعاء كقوله حين رحل الى فاس واستقر بها : ((فالفيت به عصا التسيار – وقاها الله – من الافات والاغيار – واقتفيت في ذلك سنن بعض سلفي من الاخيار))[٦].

---

(١) م. ن: ق٣ / م٢ / ٨٠٨ – ٨٠٩ .

(٢) الذخيرة: ق٣:م٢/ ٨٠٦.

(٣) صبح الاعشى : ٩ / ٨٨ .

(٤) م . ن: ٩ / ٩١ – ٩٢ .

(٥) م . ن : ٩ / ٩٣.

* هو محمد بن أحمد بن ابي بكر بن يحيى بن عبد الرحمن القرشي المقري يكنا ابا عبد الله قاضي الجماعة بفاس وتلمسان كان صادق القول مفرط الخفة ظاهر السذاجة ذاهب أقصى مذاهب التخلق حريص على العمل محافظ على العبادة ولد في تلمسان وتوفي بفاس من عام تسعة وخمسين وسبعمائة ينظر ، الاحاطة مج٢/١٩١-٢٢٦.

[٦] أزهار الرياض: ١ / ٤..

وأخيراً – تلاحظ الباحثة – ان صيغ الجمل الدعائية والاعتراضية تقل في كثير من الرسائل الاجتماعية ولعل السبب في ذلك هو ان اسلوب هذا اللون من الرسائل يميل الى تقرير الاشياء، وايراد الحقائق والقواعد والاصول في الموضوعات والمعاني المختلفة.

ثالثاً : السجع

هو ضرب من ضروب البلاغة في الكلام فهو في النثر كما لقافية الشعر[١] . وبه يحسن الكلام، ويشترط فيه الاعتدال والابتعاد عن التكلف والتعسف.

وفي تعريفه ذهب أكثر البلاغيين بأنه : ((توافق الحرف الاخير من فواصل الجمل))[٢].

وفيما يتعلق بالنثر الفني في هذه العصور فقد تعامل كُتابها مع السجع حتى يمكننا القول أن ظاهرة التسجيع اصبحت في رسائلهم سُنّة يقتفيها الكُتّاب فقل أن نجد رسالة من رسائلهم تخلو من السجع ويظهر السجع في رسائلهم في صور متباينة على وفق طبيعة الموضوع والحدث ولعل ذلك صدى الاسلوب المسجوع المشرقي الذي كان شائعاً عند المشرقيين.

فمن الرسائل التي تميزت بسجعاتها القصيرة رسالة صفوان بن ادريس الجوابية رداً على رسالة صديقه في العتاب يقول فيها:-

((ادام الله سبحانه ، مدة الاخ الذي استديم أخائه ، وان واجهتني زعازعه ارتقب رخاءه، وتجاوزت عن يومه لامسه ..... وبعد : فأنه وصل كلامك بل ملامك وكتابك بل عتابك، ورسالتك بل بسالتك، واسمعتني بالفاظك العذاب، سوء العذاب، واريتني لمعان الحسام من فقرك الوسام))[٣].

---

١ التلخيص: ٣٩٧.

٢ ينظر الصناعتين: ٢٢٦ – ٢٧١ ، التلخيص : ٣٩٧ – ٤٠٥ .

٣ نفح الطيب : ٥ / ٦١ .

يلاحظ على النص ان الكاتب قد بنى رسالته بالاعتماد على السجع القصير الفقرات من بداية الرسالة الى نهايتها وهو ما يفسح المجال امام الكاتب ان يظهر قوة النبرة على الفاصلة التي يقف عندها ويبدو على النص حرص الكاتب على تزيين رسالته باستخدام وسائل البديع الاخرى كالطباق بين (عِذاب ، عَذاب). فالكاتب قد تأثر بالآية القرآنية المعروفة (سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ)[1].

أما ابن ابي الخصال فقد جرى في ذلك على سنن من قبله من الكُتّاب الذين عنوا بهذه الظاهرة البلاغية ومن أمثلته ما جاء في رسالة ابن ابي الخصال وهو بصدد حديثه عن الزرزور، حيث يقول: ((فأقرضوا الله احسن القرض، ومكنوني من الفرض لاضع الاوزار، وأكون اول زرزور زار))[2]. فتلاحظ في هذا النص اختتام كل جملتين بفاصلتين متجانستين : ((القرض، القرض)) و (الاوزار، زار) وتتنوع الفواصل ولا تجري على حرفٍ واحدٍ في القطعة كلها وهذا يتناسب مع الذوق البديعي العام فالقرض تعبير قرآني ورد في قوله تعالى : ((مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً))[3] .

[1] سورة الانعام / آية: ١٥٧ ، وقد وردت لفظة (سوء العذاب) في سورة الاعراف / آية ١٤١ ، ١٦٧ ، سورة ابراهيم / آية : ٦ ، سورة النمل ، آية : ٥ / سورة : الزمر، آية: ٥ / سورة غافر، آية ٤٥.

[2] الترسل: ورقة ٦٨ .

[3] سورة البقرة: آية ٢٥٤ وقد وردت هذه العبارة في سورة المائدة / آية ١٢ ، سورة الحديد: آية ١١ ، ١٨ ، سورة التغابن: آية ٣٧، سورة المزمل ، آية :٢٠.

أما كلمة أوزار فقد وردت في قوله تعالى : ((لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ))[١]

من أمثلة السجع له أيضاً رسالة يخاطب بها احد أصدقائه معزياً إياه بوفاة ابنة له: (فاحمد الله عز وجل إذ رجحت ميزانك، وضمنت لك يوم المعاد جنانك، والله عز وجل يرزقنا احتساباً جميلاً وصبراً، ويؤنسك وقد اختار لك الصهر قبراً ويعظم لك ثواباً جزيلاً على مصابك وأجراً)[١].

والسجع هنا في عبارات الرسالة ونوع ابن ابي الخصال في فواصله ولم يجر فيه على حرفٍ واحد، فالمعاد لفظة قرآنية وردت في قوله تعالى: (إن الذي فرض عليك القرآن لرادّك الى معاد)[٢]، وكذلك (صبراً) وردت في قوله تعالى (فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً*إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً * وَنَرَاهُ قَرِيباً)[٣].

أما لسان الدين بن الخطيب فقد ورد عنده السجع في مقاماته التي قالها في وصف سلا : (وسلا بلدٌ عديم الظلال، أجرد التلال اذا ذهب زمن الربيع والخصب المريع صار هشيماً، واضمحل ماؤها عميماً وانقلب الفصل عذاباً أليماً)[٤] ، فالهشيم

---

[١] سورة النحل: آية ٢٥.

[١] صبح الأعشى: ٨٨/٩.

[٢] سورة القصص، آية ٨٥.

[٣] سورة : المعارج، آية ٥.

[٤] مشاهدات لسان الدين : ٦٣.

تعبير قرآني ورد في قوله تعالى : (فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ)[١] .

أما عبارة (عذاباً أليماً) فقد وردت في قوله تعالى :(فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)[٢].

وقد يعمد لسان الدين بن الخطيب الى استخراج عدة سجعات متباينة بين السجعة الأصلية واختها ومن ذلك قوله في مقدمة كتاب الإحاطة :(أما بعد حمداً لله الذي أحصى الخلايق عدداً، ..... وجعل الأرض ذلولاً ، يمشون في مناكبها ، ويتخذون من جبالها بيوتاً، ومن متاعها عدداً، وخص بعض أقطارها بمزايا تدعو الى الاغتباط والاعتمار، وتحث على السكون والاستقرار، متبوأ فسيحاً)[٣].

فهنا أشار الى الآية الكريمة (هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه)[٤].

أما ابن جبير فقد خلت رحلته من هذا الفن إلا ما ندر لا سيما عندما تغلبه عاطفته كما في وصفه وصولهم مكة المكرمة قادمين اليها من جدة إذ يقول :

---

[١] (الكهف: من الآية٤٥).

[٢] (آل عمران: من الآية٢١)، ينظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (كلمة عذاب) ص٦٧٣-٦٧٧.

[٣] الاحاطة: مج١/ ٧٩.

[٤] سورة الملك، آية ١٥.

(وكان أسراؤنا تلك الليلة المذكورة والبدر قد القى على البسيطة شعاعه، والليل قد كشف عنا قناعه)[١].

فالإسراء لفظة قرآنية وردت في قوله : (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى)[٢]، فالسجع في هذا النص النثري لا تحس معه بتكلف أو تعمد بل يجري ضمن نسيج البنية، والحقيقة أننا ومن خلال الاطلاع على النماذج المتعددة لم نجد تكلفاً في هذه الظاهرة فهي منسابة بين عناصر النص من غير أن نحس بزيادة بل هي تسهم في اضفاء جمال فني مبدع يخلق طابعاً موسيقياً جميلاً يملك الألباب ويشد القلوب.

رابعاً : الازدواج

من الظواهر الشكلية السائدة في الرسائل النثرية بأنواعها المتعددة والتي تعد لوناً من ألوان البديع وقد أقبل عليه الكتاب لما له من أثر في تجميل العبارة وإثرائها بالايقاع الموسيقي.

ومفهوم الازدواج عند البلاغيين: (أن تكون كل فاصلتين في النثر على قافية واحدة)[٣]، وقد قال عنه صاحب الصناعتين: (لا يحسن منثور الكلام حتى يكون مزدوجاً، ولا تكاد تجد لبليغ كلاماً يخلو من الازدواج)[٤].

---

[١] رحلة ابن جبير: ٥٢.

[٢] (الاسراء: من الآية١).

[٣] كتاب الصناعتين: ١٩٩.

[٤] كتاب الصناعتين: ١٩٩.

ومن أمثلة الازدواج ما ورد في نص للكاتب ابن ابي الخصال حيث قال: (واستغنى عن هذا التطويل بأن يأوي الى ظلك الظليل ويستقر في رأيك الجميل)[١].

حيث ورد الازدواج في قوله (ظلك ورأيك) و(الظليل والجميل) فالظل لفظة قرآنية وردت في قوله تعالى :(فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلّ)[٢] ، وكذلك الظليل وردت في قوله تعالى (لا ظليل ولا يغني من اللهب)[٣].

ويقول ابن ابي الخصال بعد حمد الله ووصف قدرته (الحمد لله خلق الخلق أطواراً، جعل لهم آمالاً وأوطاراً، فكل على رزقه غاد، ومن بين متحرج وعاد، وساجع وشاذ)[٤]، فالخلق تعبير قرآني ورد في قوله تعالى : (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّام)[٥]، فالأزدواج واضح هنا بين فواصل الجمل فهي تتماثل وتتوازى فيما بينها وكذلك كلمة (اطوارا)*.

ثم يكمل النص فيقول : (فماشٍ على رجلين، وباطش بيدين، وطائر بجناحين وماشٍ على أربع، وبها ثم رتع، وموشية المتون، ماشية على البطون)[٦].

---

[١] رسائل أندلسية : ٣٣٢-٣٣٣ .

[٢] القصص: من الآية٢٤، وكذلك وردت هذه اللفظة في سورة الفرقان، آية ٤٥، فاطر، آية ٢١، سورة الواقعة، آية ٣٠-٤٣، سورة المرسلات، آية ٣٠.

[٣] سورة المرسلات، آية ٣١.

[٤] الترسل : ورقة ٤٧.

[٥] (الأعراف: من الآية٥٤).

* سورة نوح / آية:١٤ .

[٦] الترسل: ورقة ٤٧.

فالازدواج واضح هنا من خلال هذا التماثل الجميل الذي تولد عنه ايقاع متوازٍ يحدث تأثيراً قوياً في النفس ويضفي على الأسلوب رونقاً وجمالاً من خلال هذه الإشارات القرآنية التي وردت في قوله تعالى : (وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ)[١].

خامساً : الجناس

هو (ان تتشابه الكلمات في النطق وتختلفان في المعنى)[٢] وهو تام وناقص، أما التام فهو أن تتفق اللفظتان المتجانستان في نوع الحروف وعددها ، وهيأتها أي حركات الحروف عدا الحرف الأخير، وترتيبها وقد شاع الجناس عند كتّاب الأندلس وتفننوا في ايراده فورد الجناس التام في مقامة للوادي آشي[٣] يقول فيها :

(وقد احتمل فوق شماله أجمل جوارح تميل اليه النفوس والجوارح)[٤].

فجانس الكاتب بين (جوارح) الأولى التي تعني الطيور الجارحة والجوارح التي تعني جوارح الإنسان وهي (أعضاؤه وعوامل جسده كيديه ورجليه)[٥].

---

[١] (النور: من الآية٤٥) .

[٢] الايضاح في علوم البلاغة : ٢٧٤.

[٣] هو محمد بن أحمد بن الحداد الوادي آشي يكنى ابا عبد الله شاعر مُفلق، وأديب شهير مشار اليه في التعاليم منقطع القرين منها في الموسيقى مضطلع يفك المعمى سكن المرية واشتهر بمدح رؤوساتها من بني صمادح قال عنه ابن سام كانن شمس ظهيره وبحر خيرو، ينظر المغرب، ج٢، ٤١٨.

[٤] رسائل أندلسية : ٨٨.

[٥] لسان العرب مدة (جرح).

وهو في هذا النص كان يصف فارساً يحمل فوق يده الشمال طيراً جارحاً فاستعان بالجناس التام ليكون فاصلة للقرينتين من اجل أن يكسب النص جمالاً موسيقياً نتيجة التردد الصوتي الناتج من النبرات المتصاعدة من قوافي تلك السجعات، فالجوارح لفظ قرآني ورد في قوله تعالى : (قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ)[1].

اما المقري فيعد الجناس ركيزة اساسية في نثره فهو لازمة من لوازم نثره فيتوسع كثيراً في الجناس فيجعله واقعاً في أكثر من لفظتين مثل لفظة (أو راق) التي جاءت في صدر مقدمة نفح الطيب حيث يقول:

(أحمدُ من عرّف من حلى الأمصار وعلى الأعيان .... ما فيه ذكرى لأولى الأبصار وإرشاد لمعرفة الديان واعتبار باخبار راعٍ وصفها أو راق، وشرف من صرف المطامح والمطامع، إلى تفضيل لسان الدين من كلم جوامع .... من كل منحط الرتبة أو راق، حتى توج الخطيب المجيد رؤوس المنابر بفرائد الكلام .... وكحّل الحكيم الطبيب .... من إثمد المحابر بمراود الاقلام عيون أوراق، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده الذي ابتدأ الخلق من عبر مثال .... وحكم .... على الجميع بالموت .... فيا له من داء أعيا كل معالج أو راق)[2].

---

[1] (المائدة: من الآية٤).

[2] نفح الطيب ... مج١ المقدمة .

فلفظة (راق) وردت في القرآن الكريم في قوله عز وجل (كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ * وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ)[١].

سادساً : التوازن

يعد التوازن نوعاً من أنواع الايقاع الموسيقي الذي يعطي للمفردة مكانتها في سياق النص الأدبي النثري، والتوازن يعرف بأن (تراعى في الكلمتين الأخيرتين من القرينتين الوزن مع اختلاف الحرف الأخير منهما)[٢].

والتوازن قريب من بعض ألوان السجع ولكن لا يشترط فيه اتفاق الأواخر كما في السجع.

والعديد من الرسائل تزخر بظاهرة التوازن في أغلب مقاطعها ومفاصلها، من ذلك ما ورد في نص الكاتب ابن الخصال إذ يقول :

((أمرنا – وصل الله علاءك وتمم مواهبك وآلاءك من أمركم أمم والمعارف في أهل النهي والوفاء الذي إليكم انتهى كما قال القائل ... وإن عنده لاكتفاء بمثله تنال المراتب ويرضى المعاتب ... وأمله بمجدك منوط، ومكان في ميعاد سقياك فلا يأس عليه ولا قنوط))[٣].

يظهر التوازن هنا في هذا النص في عدة مواضع هي :

(علاءك وآلاءك) (منوط وقنوط)

---

[١] (سورة القيامة : ٢٧).

[٢] رسائل أندلسية: ٥٩١-٥٩٣.

[٣] م . ن : ٥٩١-٥٩٣.

فالآء لفظة قرآنية وردت في قوله تعالى : (فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)[١]

أما لفظة قنوط فقد وردت في قوله تعالى : (وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَؤُوسٌ قَنُوطٌ)[٢].

ومن النصوص الأخرى التي برزت فيها ظاهرة التوازن نص الكاتب ابن مسعدة[٣]، إذ يقول : صان عن المسألة وجهه ، فلم يخلقه، وأحتبس ماءه فلم يهرقه و (فلان)- سأمه الله- الذي إليه أشير، وعليه هذه المقدمة أدير... والرب لا نحليك من عمل مبرور وقسم من النعمة موفور)[٤]، حيث نلمح التوازن في (يخلقه ويهرقه) (أشير وأدير) (مبرور وموفور) والذي يهمنا من هذه الألفاظ التي ظهرت فيها هذه الظاهرة (هي كلمة موفور) لورودها في القرآن الكريم بقوله عز وجل :(فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورا)[٥].

إضافة الى ذلك يوجد رسائل كثيرة تحتوي على ظاهرة التوازن بشكل واضح.

---

[١] سورة الأعراف، آية ٦٩، وقد وردت هذه اللفظة أيضاً في وسورة : الأعراف، آي ٧٤، سورة الرحمن آية ١٦، ١٨، ٢١، ٢٣، ٢٥، ٢٨، ٣٠، ٣٢، ٣٤، ٣٦، ٣٨، ٤٠، ٤٢ ، ٤٥، ٤٧، ٤٩، ٥١، ٥٣، ٥٥، ٥٧، ٥٩، ٦١، ٦٣، ٦٥، ٦٧، ٦٩، ٧١، ٧٣، ٧٥، ٧٧.

[٢] سورة فصلت، آية ٤٩.

[٣] هو أبو بكر عبد الرحمن بن ابي الحسن بن مسعدة بيت (طبع في غرناطة وقد كان من كتاب عثمان بن عبد المؤمن ملك غرناطة وقيل أنه توفي عام ٦٠٠ عن سن عالية وقد كان من مشاهير الكتاب وأنشد له شعراً ينظر: المغرب، ج٢، ص١١٢.

[٤] قلائد العقبان: ٢/ ٥٨٤-٥٨٥.

[٥] سورة الاسراء، آية ٦٣.

سابعاً : الطباق

(قد أجمع الناس أن المطابقة في الكلام هي الجمع بين الشيء وضده)[١] وهما (لفظتان معناها ضد ان : التطابق[٢] و(اعلم أن جماعة العلماء من أرباب هذه الصناعة قد اجمعوا على أن المطابقة في الكلام هي الجمع بين الشيء وضده)[٣].

ومن امثلة هذا النوع قول السرقسطي في إحدى مقاماته : (لقد طاب مشرعك، وعذب مكرعك وتقع صداك، وظفرت يداك، فأجمل ولا تحمل وأقنع ولا تمنع، واسرح ولا تمرح، وقدر ولا تكدر، وياسر ولا تعاسر واجلب ولا تخلب)[٤].

فياسر ولا تعاسر ألفاظ قرآنية وردت في قوله تعالى : (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ)[٥].

أما ابن العربي فإنه يوظف معنى إحدى الآيات القرآنية الكريمة في الطياف فيقول:

(فسألنا عن حالنا وطريقنا ومقصدنا وتفاوضنا معه والحديث يسحب ذيله ويولج في نهاره ليله)[٦].

---

[١] كتاب الصناعيتن: ٣٠٧.

[٢] سر الفصاحة: ٢٠٠.

[٣] الجامع الكبير : ٢١١.

[٤] المقامات اللزومية: ٢٨٩.

[٥] سورة البقرة ، آية ١٨٥، وقد وردت هاتان اللفظتان في سورة الطلاق ، أية ٧، سورة الشرح، آية ٥، ٦، سورة البقرة، آية٢٨٠، سورة الليل، آية ١٠.

[٦] مع القاضي ابن العربي في رحلته: ١٩٥.

فعبارة (يولج في نهاره ليله) تعبير قرآني استمده الكاتب من قوله تعالى : (ذلك بأن الله يولج الليل في النهار ويولج الليل في النهار وإن الله سميع بصير)[١].

ثامناً : المقابلة

المقابلة هي إيراد الكلام، ثم مقابلته بمثله في اللفظ أو المعنى، على جهة الموافقة أو المخالفة[٢].

فهي أشمل من الطباق فكل مقابلة طباق ، وليس كل طباق مقابلة ، وقد ذكر ابن رشيق : (بأنها اكثر ما تجيء في الأضداد، وذا زاد الطباق على ضدين ، كلن مقابلة)[٣].

فالكاتب الأندلسي كان يقصد الى المقابلة من أجل أن يعطي الشكل الفني سمة مميزة متفردة دون أن يكون لها اثر سلبي في المعالجة الموضوعية فهو يوافق بين موضوعه وشكله الفني في المقابلة وفي غيرها.

ومن أمثلة هذا اللون ما ورد في المقامة السابعة عشرة المسماة (المرصعة) يقول فيها :

---

[١] سورة الحج، آية ٦١، وقد وردت هذه العبارة في سورة لقمان، آية ٢٩، سورة : فاطر، آية ١٣. سورة الحديد، آية ٦.

[٢] كتاب الصناعتين: ٣٤٦.

[٣] الغمدة : ١٥/٢.

(وقد يكفي من التصريح إيماء ويغني عن الصريح ماءٌ ، وما عقل من سرح ولا عقل من صرح ولا وفي من نكث ولا شفى من مكث ولا كل من سمع وعى)[١] حيث قابل الكاتب مقابلة موسيقية بين :

وقد يكفي من التصريح إيماء	ويغني عن الصريح ماء
وما عقل من سرح	ولا عقل من صرح
ولا وفى من نكث	ولا شفى من مكث

فالمقابلة في هذا النص واضحة بين كل كلمة وأخرى وموافقة لها في الوزن والقافية والسجع فكل جزء يناغم الجزء الآخر نتيجة التطابق الموسيقي الحاصل بين تلك الأجزاء فقابل بين (إيماء وماء) و(سرح وصرح) و(نكث ومكث) و(سمع وجمع) والذي يهمنا من هذه الألفاظ هو لفظتي (مكث ونكث) إذ وردنا في القرآن الكريم في قوله تعالى : (فمن نكث فإنما ينكث على نفسه)[٢] وكذلك قوله تعالى (فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ)[٣].

ونجد هناك نوعاً آخر من المقابلة عند لسان الدين بن الخطيب فكان كثيراً ما يعمد الى مقابلة صورة بصورة فمن ذلك قوله في مخاطبة الجمهور في سبيل الموعظة : (فاعتبروا بمثلات مادهم من تقدم من أهل البلاد والقواعد... وتفكروا في منابرها التي كان يعلوها واعظ وخطيب ومطيل ومطيب، ومساجدها المتعددة

---

[١] المقامات اللزومية: ٢٢٣.

[٢] سورة الفتح، آية ١٠.

[٣] (النمل: من الآية٢٢).

الصفوف والجماعات، المعمورة بأنواع الطاعات وكيف أخذ الله فيها بذنب المترفين من دونهم ... واصبحت مساجدهم مناصب الصلبان، واستبدلت مآذنهم بالنواقيس من الآذان)[1].

فالكاتب هنا قابل بين صورة المساجد والمعابد حين كانت مقراً لصلبان النصارى وبدل أن يرفع فيها الآذان، اصبحت تدق فيها الأجراس.

تاسعاً : التشبيه

التشبيه من الفنون البيانية المتداولة لسهولته فقد عرفه ابن الأثير (هو أن يثبت للمشبه حكم من أحكام المشبه به)* ولعل عبارة القزويني تختصر معظم تلك التعريفات فالتشبيه هو (الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى) * فهو (يخرج الأغمض الى الأوضح) * .

---

[1] الاحاطة: مج٢، ٥٩-٦٠.

* المثل السائر: ج١ /١٥٣.

* الإيضاح في علوم البلاغة: ٢١٣

* العمدة : ج١ /٢٨٧ .

يقول ابن الخطيب : (ولم تزل الركائب تفلى الفلاة فري الأديم، وأهلة السنابت صيرها السير كالعرجون القديم حتى ألحقتنا شجرات العنبر شذاها المعنبر)[١].

فالمشبه به هنا هو (العرجون القديم) وهو تعبير قرآني استمده من قوله تعالى : (وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ)[٢].

ففائدة التشبيه إذن الكشف عن المعنى المقصود مع ما يكتسبه من فضيلة الايجاز والاختصار[٣].

عاشراً: الاستعارة

هي (استعارة الكلمة لشيء لم يعرفها من شيء عرف بها)[٤] (فإنما احتيج اليها في كلام العرب لأن ألفاظهم أكثر من معانيهم وليس هذا في لسان غير لسانهم فهم يعبرون عن المعنى الواحد بعبادات كثيرة وربما كانت مفردة له وربما كانت مشتركة بينه وبين غيره وربما استعاروا بعض ذلك في موضع بعض على التوسع والمجاز)[٥].

---

[١] مشاهدات لسان الدين: ٣٣.

[٢] (سورة يّس:٣٩).

[٣] الجامع الكبير: ٩٠.

[٤] البديع في نقد الشعر: ٢.

[٥] البرهان في وجوه البيان ، ٥٥.

(ومن سنن العرب الاستعارة وهي أن يضعوا الكلمة للشيء مستعارة في موضع آخر)[١] والاستعارة من الفنون البلاغية الجميلة التي تتداول في النثر والشعر ، وهي تمنح الكلام رونقاً .

ويستعين الكاتب الأندلسي بالاستعارة فتأتي اليهم سلسة دون تكلف فابن العربي يقول : (والحديث يسحب ذيله ويولج في نهاره ليله)[٢].

اذ استعار للحديث ثوبا طويلا مثل ثوب العروس وسحب ذيله دلالة على طوله ، لأن الذيل هو النهاية فعبارة (يولج في نهار ليله) تعبير قرآني استمده الكاتب من قوله تعالى : (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر)[٣].

حادي عشر : التلويح بالإشارات

ومن مظاهر الصنعة أيضاً، اهتمام ابن أبي الخصال كمثال على كتّاب النثر الأندلسي في هذه الفترة – في رسائله بالاشارات والتلويح بها الى الأشخاص والأحداث، ومثال ذلك قوله : (... ويرد على الكفر كيد عمره ويبرأ الى الوفاء من الغدر في أمره، وملك بني الأصفر .... وآوى ونصر، وعلى كرشه وعيبته، وحماة حضرته وغيبته، ويؤثرون على أنفسهم)[٤].

---

[١] المزهر في علوم اللغة وأنواعها: ٣٣١/١.

[٢] مع القاضي ابن العربي في رحلته: ١٩٥.

[٣] سورة فاطر، آية ١٣.

[٤] الترسل: ورقة : ٤٧.

في هذا النص عبارة (كيد عمره) أشار من خلال هذه العبارة الكاتب الى طلب عمرو بن العاص، قبل اسلامه، من النجاشي ملك الحبشة رد مسلمي قريش إليهم[١].

أما قوله (ملك بني الأصفر) فقد اشار الى خطاب النبي محمد (صلى الله عليه آله وسلم) الى هرقل ملك الروم يدعوه الى الاسلام .

أما قوله (وعلى كرشه وعيبته) فقد اشار الى حديث الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) : الأنصار كرشي وعيبتي أي موضع سري.

أما قوله : (ويؤثرون على أنفسهم) فقد افاد من قوله عز وجل: (وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ)[٢] .

---

[١] تاريخ الطبري: ٢/٣٠.

[٢] (الحشر: من الآية٩).

بسم الله الرحمن الرحيم

الخاتمة وأهم نتائج البحث :

يأبى اليراع إلا أن يخط على صفحة الايام ما جادت به قرائح السلف، وتمضي عجلة الزمن وتبقى آثار بني هذه الدنيا جبالاً شاهقات، أمواج بحر متلاطمة، شموساً لا تحجب أنوارها دياجير الظلمات .

وان تكن قد فقدت منا أندلسنا لكن من فيها وما فيها ما زال محفوظاً في السطور والصدور نذكره ذكر مجدٍ واعتزازٍ ملئ بألم الفقدان والضياع .

وبعد فقد بذلت كل ما في وسعي لأعطي هذا البحث حقه ولم أدخر وسعاً في البحث والتقصي عن كل صغيرة وكبيرة تخدم هذا البحث وتخرجه بالصورة اللائقة .

فقد تنقلت الرسالة بين ميدانين رحبين هما، القرآن الكريم، والنثر الاندلسي، القرآن الكريم يفيض جلالته وقداسته مضمونة وعظيم أثره، والنثر الأندلسي – في عصور المرابطين والموحدين وبني الأحمر – بمختلف إتجاهاته وفنونه ، فتناولت الدراسة أثر القرآن الكريم في هذا النثر، وماذا كتب الأدباء فيه ؟ والكيفية التي كتبوا بها ؟ ولِمَ كتبوا ؟ وما هي الغاية التي من أجلها وظفوا، المحتوى القرآني شكلاً ومضموناً .

في عهدي الموحدين وبني الأحمر فقد اشتمل النثر مجمل التطورات التي عاشتها الأندلس في مختلف المجالات السياسية والعقائدية والاجتماعية وفي مجال الألفاظ القرآنية فقد أخذت الدراسة على عاتقها تحليل النماذج النثرية وابراز أثر الألفاظ القرآنية في النثر الاندلسي فقد كانت هذه الألفاظ سهلة وواضحة فهذا إن دلّ على شيء فانما يدل على تأثرهم بالقرآن الكريم فلجأوا الى الالفاظ السهلة والواضحة

وابتعدوا عن كل ما ينفر السمع منه وقد كشفت دراسة الاقتباس القرآني والصورة القرآنية ميل الكتّاب الى الاقتباس الأشاري فلجأوا الى التعبير عنه بالحذف أو التقديم والتأخير أو الزيادة مبتعدين عن الوقوع في لُجة التحريم الشرعي للفقه المالكي الذي قيدهم عن اتباع ميولهم في الاقتباس فصار اقتباساً اشارياً . وفي مجال الصورة القرآنية فقد أُعجب الكتاب الأندلسيون بالصورة القرآنية على اختلاف أنواعها سواء أكانت مفردة إيحائية أو منقولة أو غير ذلك .

كما وظّف الكاتب الاندلسي المثل القرآني في صورته النثرية ولا سيما الأمثال التي تدل عل ثقافة الكاتب القرآنية .

وكشفت الدراسة في موضوع الفاصلة القرآنية عن جانب من جوانب تأثير القرآن الكريم في النثر الاندلسي الذي تمثل في السجع فطهر السجع بصورة واضحة في الرسائل الدينية والوصفية والاخوانية لكنه قلَّ في الرسائل الدينية .

وفي مجال الرحلات فقد كان لقيام الحركة الفكرية في دولة المرابطين والموحدين وبني الأحمر الدور الفعّال في اثراء أدب الرحلات فكان الهدف الديني هو القاسم المشترك في الدوافع التي تجعل الرحّالة يتركون أهلهم وأوطانهم يتحملون المشاق والصعاب حتى يصلوا الى نجد والحجاز لأداء فريضة الحج وزيارة قبر المصطفى (عليه أفضل الصلاة والسلام) حتى من خرج منهم من وطنه بدافع سياسي فإنه يجد في السفر الى بيت الله الحرام والى المدينة المنورة لأداء حق السلام على خير الأنام (عليه الصلاة والسلام) لأن العامل الديني كان الدافع الأول والأساس في دوافع الرحلات فقد عنى الرحالة بوصف الطرق التي تؤدي الى مكة أما عن طريق مصر أو الشام أو العراق وكذلك وصفوا الكعبة وقبر المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) في هذه الرحلات .

ونجد كذلك الأثر القرآني واضحاً في القصص والمقامات والخطب إشارة أو تلميحاً أو تصريحاً وقد تأثر الكاتب الاندلسي بكتاب الله عز وجل تأثيراً كبيراً لاسيما في بيئة الزهاد والمتصوفين .

فالقصة القرآنية طريقة من طرائق التعبير في القرآن ووراءها دلالات ومعان تؤدي الى أهداف جمة وتُساق للعبرة والعظمة من خلال استثمارها الحقائق وعدم

خروجها من دائرة الواقع باعتبار أن القصص القرآني من أهم العوامل النفسية التي لجأ إليها القرآن الكريم في الجدل والحوار وفي شرح مبادئ الدعوة الإسلامية .

وكذلك لم يكن التكرار فيه عبثاً ولا جهلاً وانما كان لهدف عالٍ يرجع الى كمال التصوير ودقته لزلزلة قلوب المشركين حينما يسمع به.

أما في مجال الدراسة الفنية فقد أفضى البحث الى أن الكاتب الاندلسي قد أهتم ببناء نصوصه النثرية واعتنى بها اعتناءً واضحاً دلت على حب الأندلسيين للقرآن الكريم وقدرتهم قدرة فائقة على اسلوب الصياغة والتعبير فجاءت نصوصهم النثرية مدّبجة بألوان مختلفة من الزخارف البيانية والبديعية المختلفة والمتنوعة بين سجع وطباق وجناسٍ وجملٍ دعائية واعتراضية وغير ذلك .

كشف البحث عن عوامل الازدهار النثرية في هذه العصور وعزا سببه الى اعتلاء السلطة ملوك ادباء يتحلون بصفات التقوى والورع والخوف من الله عز وجل.

ومن النتائج التي توصلت اليها الباحثة من خلال هذه النصوص النثرية ان الطابع الديني هو الذي طغى بصورة كلية على هذه النصوص فمن النتائج التي تتصل بالطابع الديني العام الاشارة الى اسبابه ودواعيه وكان في مقدمتها مرور الحركة الموحدية بمرحلتين متمايزتين الأولى مرحلة، فالدعوة الموحدية بدأت في شكل اصلاح ديني ثم تطورت الى شكل آخر جسدته إمامة المهدي بن تومرت باعلان عصمته ومهدويته فكانت دولة الموحدين قد عاشت حركة دينية اصلاحية باعتمادها على مبدأ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وعاشت حركة سياسية لأنها ركّزت على محاربة حكم المرابطين واسقاطه من أجل تأسيس دولة جديدة تخلف دولة المرابطين كما أنها عاشت حركة قبلية لأنها اعتمدت على قبلية مصمودة .

ثم كشفت الدراسة الفنية الى النتائج التالية :-

فاللغة عربية فصيحة اختلفت مستوياتها من كاتب الى آخر اما الاسلوب فكان يميل الى التأنق والصبغة وبخاصة لسجع ومن خصائصه نجد الاقتباس القرآني والاستشهاد بالحديث النبوي الشريف والاسهاب والاطناب كما نجد أن السمة الدينية بارزة فيه وأحياناً ممزوجة بالسمة السياسية .

وأخيراً يمكن القول أن هذه الدراسة ما هي إلّا مساهمة متواضعة في إطار دراسة جانب مهم من جوانب تراثنا الادبي الحافل الذي يحتاج منا إلى مزيد من العناية والاهتمام والدرس .

والله ولي التوفيق

الباحثـــة

المصادر والمراجع

القران الكريم

١. ابن الخطيب من خلال كتبه ، محمد بن ابي بكر التطواني مطبعة ، كريماديس تطوان ، ١٩٥٩م .

٢. ابو المطرف بن عميرة ، حياته وادبه ، د. محمد بن شريفة الرباط ، ١٩٦٦ .

٣. الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر ، عبد الحميد جيدة ط١ ، بيروت ، مؤسسة نوفل ، ١٩٨٠ .

٤. الاتقان في علوم القران ، جلال الدين ابو بكر السيوطي ت (٩١١هـ) بيروت ، دار الندوة ، ١٩٥١ ، ج١ .

٥. اثر القران في الشعر العربي الحديث ، د. شلتاغ عبود شراد ، ط١ ، دمشق ، دار المعرفة ، مطبعة الصباح ، سنة ١٩٨٧.

٦. اثر القران في تطور النقد العربي إلى اواخر القرن الاول الهجري ، د. محمد زغلول ، ط٢ دار المعارف ، مصر ، ١٩٦١.

٧. اثر القران الكريم في الادب العربي في القرن الاول الهجري د. ابتسام الصفار ، ط١ ، بغداد ، دار الرسالة للطباعة ١٩٧٤ .

٨. اثر القران الكريم في الشعر الاندلسي منذ الفتح حتى سقوط الخلافة ، د. محمد شهاب العاني ، ط١ ، بغداد ، وزارة الثقافة والاعلام ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ٢٠٠٢ .

٩. الاحاطة في اخبار غرناطة ، لسان الدين بن الخطيب تح : محمد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٩٧٤ .

١٠. احكام صنعة الكلام ، ابو القاسم محمد بن عبد الغفور الكلاعي ، تح : د. محمد رضوان الداية ، ط٢ ، ١٩٨٥ .

١١. اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى ، ابو الحسن علي بن موسى ابن سعيد الاندلسي ، تحقيق : ابراهيم الانصاري فريء على د. طه حسين ، الهيأة العامة لشؤون المطابع الاميرية ، القاهرة ، ١٩٥٩ .

١٢. الأدب الاندلسي منذ الفتح حتى سقوط الخلافة ، محمد هيكل ، القاهرة ، ١٩٥٥، ط١ .
١٣. الادب الاندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة ، منجد مصطفى بهجت ، دار الكتب للطباعة والبشر ، جامعة الموصل ، العراق ، ١٩٨٨.
١٤. الادب العربي في الاندلس (تطوره وموضوعاته و اشهر اعلامه) د. علي محمد سلامة ، (د. ط) بيروت الدار العربية للموسوعات ، ١٩٨٩ .
١٥. الادب المغربي ، محمد بن تاويت ومحمد الصادق عفيفي ط١ ، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٦٠ .
١٦. ازهار الرياض في اخبار عياض ، ابو العباس شهاب الدين المغربي ، صندوق احياء التراث الاسلامي المشترك بين المغرب والامارات العربية المتحدة ، ١٩٧٨ .
١٧. الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى، ابو العباس احمد بن خالد الناصري، نشره جعفر ومحمد ابنا المؤلف،طبعة دار الكتاب بالدار البيضاء ، ١٩٥٤.
١٨. الاسس النفسية لاساليب البلاغة العربية ، د. مجيد عبد الحميد ناجي، ط١ ، بيروت ، لبنان ، المؤسسة العامة للدراسات والنشر ، ١٩٨٤ .
١٩. الاسلوب بين التراث والمعاصرة ، د. محمد كاظم البكاء ، بغداد وزارة الثقافة والاعلام ، دار الحرية للطباعة ، ١٩٨٨ .
٢٠. الاسلوب والاسلوبية ، كراهام هوف ، ترجمة كاظم سعد الدين ، دار آفاق عربية ، بغداد ، ١٩٨٥ .
٢١. الاصوات اللغوية، ابراهيم انيس، ط٥ ، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٢ .
٢٢. اصول النقد الادبي ، احمد الشايب ، مطبعة النهضة المصرية القاهرة ، ط٧ ، ١٩٦٤ .
٢٣. الاعلام خير الدين الزركلي ، ط ٣ دار العلم للملايين ، بيروت.

٢٤. الاكسير في فكاك الاسير ، محمد بن عثمان المكناسي، تحقيق محمد الفاسي ، الرباط ، ١٩٦٥.
٢٥. الامثال في القران ، محمود بن الشريف ، دار المعارف مصر ، سلسلة اقرأ ، ١٩٦٥ .
٢٦. الايضاح في علوم البلاغة ، القزويني محمد عبد الرحمن ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة (د.ت) .
٢٧. بحوث اندلسية د، محمد مجيد السعيد ، منشورات المجمع العلمي العراقي ، ٢٠٠١ ، ط ١.
٢٨. البديع في نقد الشعر ، عبد الله بن المعتز ، شرح وتعليق د.محمد عبد المنعم خفاجي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٥٤.
٢٩. البرد الموشى في صناعة الانشا، موسى بن حسن الموصلي، تحقيق ، عفيف سيد صبرة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١.
٣٠. البرهان في علوم القران الامام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، بيروت دار المعرفة ، ١٩٧٢ .
٣١. البرهان في وجوه البيان ، ابو الحسين اسحاق بن ابراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب، تحقيق د. احمد مطلوب و د. خديجة الحديثي ، دار النشر ، جامعة بغداد ، ١٩٦٧.
٣٢. البلاغة والتطبيق ، د. احمد مطلوب ، و د. كامل حسن البصير ، ط٨ ، بغداد ، ١٩٩٠ .
٣٣. البيان المغرب في اخبار ملوك الاندلس والمغرب ابو العباس ابن عذارى المراكشي ، تحقيق ا. ليفي بروفنسال ، دار الثقافة ، بيروت .
٣٤. البيان والتبيين، ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ طبعة دار الفكر للجميع ، ١٩٦٨ .
٣٥. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنجاة ، السيوطي تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار الفكر ، ط٢ ، ١٩٧٩ .

٣٦. تاريخ الادب الاندلسي (عصر الطوائف والمرابطين) احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٢.
٣٧. تاريخ الادب الجغرافي العربي ، المستشرق الروسي ، اغناطيوس كراتشكوفسكي ، ترجمة الاستاذ صلاح الدين عثمان ، ط١ ، الخرطوم (د.ت).
٣٨. تاريخ الادب العربي ، كارل بروكلمان ، ترجمة السيد يعقوب بكر ، راجعه شوقي ضيف ، دار المعارف القاهرة ، ١٩٧٧ .
٣٩. تاريخ الادب العربي في الاندلس ، ابراهيم ابو الخشب دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٧٠ .
٤٠. تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي د. حسن ابراهيم حسن ، ط١ ، القاهرة ، مكتبة النهضة ، ١٩٦٧ ، ج٤ .
٤١. تاريخ الجامعات الاسلامية ، محمد عبد الرحيم غنيمة طبعة معهد مولاي الحسن ، الرباط ، ١٩٥٢ .
٤٢. تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الاندلس ، د. حسين مؤنس ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٨٦ .
٤٣. تاريخ رواة العلم والعلماء بالاندلس ، ابن الفرضي الرباط ، د. ط .
٤٤. تاريخ الطبري – الطبري – مصر – دار المعارف ١٩٦٦ وطبعة ليدن .
٤٥. تاريخ الفكر الاندلسي ، انجل بالنثيا ، ترجمة حسين مؤنس طبعة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٥ .
٤٦. التحليل النقدي والجمالي للادب ، د. عناد غزوان دار آفاق عربية للصحافة والنشر ، بغداد ، ١٩٨٥ .
٤٧. التصوير الفني في القران ، سيد قطب ، ط٣ ، مصر دار المعارف د.ت .
٤٨. التعبير الفني في القران ، د. بكري شيخ امين ، بيروت دار الشروق ، ١٩٧٩ .
٤٩. التلخيص في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥١ .

٥٠. الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور تأليف : ضياء الدين بن الاثير الجزري ، تحقيق : د. مصطفى جواد و د. جميل سعيد ، المجمع العلمي العراقي ، ١٩٥٦ .
٥١. جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس ، ابو عبد الله محمد بن فتوح الحميدي تصحيح : محمد بن تاويت الطنجي القاهرة ، مطبعة السعادة ، نشر مكتبة الثقافة الاسلامية ، ١٩٨٩ .
٥٢. جواهر الالفاظ ، قدامة بن جعفر، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٧٩ ، طبعة القاهرة ، ١٩٣٢ .
٥٣. جواهر البلاغة ، احمد الهاشمي ، ط٢ ، ١٩٦٠ مصر مطبعة السعادة .
٥٤. حسن الترسل إلى صناعة الترسل ، شهاب الدين الحلي تحقيق : اكرم عثمان يوسف ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ١٩٨٠ .
٥٥. الحلة السيراء ، ابن الابار القضاعي ، تحقيق حسين مؤنس ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ، ١٩٦٣ .
٥٦. الحياة الادبية في الاندلس والعصر العباسي الثاني محمد عبد المنعم خفاجة، ط١ ، (د . ت) .
٥٧. حي بن يقظان ، ابو بكر بن الطفيل ، قدم له وعلق عليه د. البير نصري نادر ، ط٣ ، التوزيع المكتبة الشرقية بيروت ، لبنان ، ١٩٨٦ .
٥٨. خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر ، محمد امين المحبي دار صادر ، بيروت (د. ت) .
٥٩. خلاصة تاريخ الاندلس ، شكيب ارسلان ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٧٦.
٦٠. دلائل الاعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق : المراغي المطبعة العربية ، مصر (د.ت).
٦١. دلالة الالفاظ ، ابراهيم انيس ، مكتبة الانجلو المصرية ١٩٨٥ .
٦٢. الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ، ابن بسام الاندلسي تحقيق : احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٨ .

٦٣. الـذيل والتكملـة لكتـابي الموصـول والصـلة ، محمـد بـن محمـد الانصـاري المراكشي ، حقق السفر الاول منه لقسمين الاستاذ : محمد بن شريفة ، دار الثقافة بيروت ، لبنان ، وحقق بقية السفر الرابع والخامس د. احسان عباس ، وحقق السفرالسادس د. احسان عباس ط١ ، ١٩٧٣ ، دار الثقافة بيروت .

٦٤. رحلة ابن بطوطة ، محمد بن عبد الله ، تحقيق د. علي المنتصر الكناني ، مؤسسة الرسالة بيروت ، شارع سوريا ، ط١ ، ١٩٧٥ .

٦٥. رحلة ابن جبير ، ابو الحسن محمد بن جبير ، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر ، ١٩٦٤ (د. ط) .

٦٦. رحلة بنيامين التطيلي ، ترجمة عزرا حداد ، ط١ ، بغداد (د.ت).

٦٧. رحلة العبدري المسماة الرحلة المغربية ، لابي عبد الله محمد العبدري ، حقق وقدم له د. محمد الفاسي ، الرباط (د.ت) (د.ط) .

٦٨. رسائل اندلسية ، تحقيق : فوزي سعد عيسى ط ٥ ، منشأة المعارف بالاسكندرية ، ١٩٨٩ .

٦٩. رسائل سعدية ، مجموعة من كتاب المغرب العربي ما بين (٩٨٦ – ١٠١٢هـ) تحقيق : عبد الله كنون دار الطباعة المغربية ، ١٩٥٤ .

٧٠. رسائل ومقامات اندلسية ، تحقيق : فوزي سعد عيسى ، الناشر : منشأة المعارف بالاسكندرية ، د.ت .

٧١. روضة الآس العاطرة الانفاس في ذكرى من لقته من اعلام الحضرتين مراكش وفاس ، ابو العباس المغربي تحقيق : عبد الوهاب بن منصور ، المطبعة الملكية الرباط ، ١٩٦٤ .

٧٢. ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب وبذيله كتاب الاكليل الزاهر والتاج المحلى ، لسان الدين بن الخطيب ، تحقيق : محمد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ط١ ، ١٩٨١ .

٧٣. زاد المسافر وعزة محيا الادب المسافر ، لابي بحر صفوان ابن ادريس التجيبي ، علق عليه : عبد القادر محداد ، دار الرائد العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٠ .

٧٤. سر الفصاحة ، ابي محمد عبد الله بن محمد بن سنان الخفاجي ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٢ .
٧٥. سنن ابن ماجة ، محمد بن يزيد القزويني دار احياء الكتب العربية ، ١٩٥٢.
٧٦. سنن الترمذي ، محمد بن عيسى ، اوفست دار الفكر بلبنان (د.ت) و (د.ط) .
٧٧. سيرة ابن هشام ، ط١ ، مصطفى البابي الحلبي ، ١٣٥٥هـ .
٧٨. سير اعلام النبلاء تصنيف : الامام شمس الدين محمد الذهبي ، مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ١٩٨٤ ، حققه و خرج احاديثه وعلق عليه : شعيب الارنؤوط ، ومحمد نعيم العرقوسي .
٧٩. شرح مقامات الحريري لابي العباس احمد بن عبد المؤمن الشريشي ، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم مطبعة المدين ، القاهرة د.ت .
٨٠. الشعر في عهد المرابطين والموحدين في الاندلس ، محمد مجيد السعيد وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد ، ١٩٨٠ .
٨١. صبح الاعشى في صناعة الانشا ، ابو العباس احمد بن علي القلقشندي ، نسخة مصورة عن الطبعة الاميرية وزارة الثقافة الارشاد القومي ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر (د.ت).
٨٢. صحيح البخاري ، طبعة احياء التراث ، بيروت (د.ت) .
٨٣. الصورة الشعرية ، سي دي لويس ، ترجمة د. احمد نصيف الجنابي وآخرون ، (د.ط) بغداد ، وزارة الثقافة والاعلام ، دار الرشيد للنشر ، ١٩٨٢ .
٨٤. الصورة الفنية في المثل القراني ، د. محمد حسين الصغير (د.ط) بغداد ، دار الرشيد للنشر ، ١٩٨١ .
٨٥. صلة الصلة ابو جعفر احمد بن الزبير ، تحقيق ا. ليفي بروفنسال ، المطبعة الاقتصادية ، الرباط ، ١٩٣٧.
٨٦. صلة الصلة وهو ذيل للصلة البشكوالية في تراجم اعلام الاندلس لجامعة الشيخ ابي جعفر احمد بن الزبير ، صححه وعلق الحواشي عليه بروفنسال طبعة الرباط ، ١٩٣٧ .

٨٧. طبقات علماء افريقية ، ابي العرب ، ط١ ، د.ت .
٨٨. العبر في خبر من غبر ، محمد بن احمد الذهبي ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، دائرة المطبوعات والنشر ، الكويت ، ١٩٦٠.
٨٩. عصر المرابطين والموحدين ، محمد عبد الله عنان ، مطبعة القاهرة ، ١٩٦٤ ، ط١ ، ق١ .
٩٠. العلوم والاداب والفنون على عهد الموحدين ، محمد المتوني ، تطوان ، ١٩٥٠ (د.ط) .
٩١. العمدة في محاسن الشعر وادابه ونقده ، لابي علي الحسن ابن رشيق القيرواني ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، ط٤ ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٢ .
٩٢. العواصم من القواصم ، ابو بكر محمد بن عبد الله العربي تحقيق : محي الدين الخطيب ، المطبعة السلفية القاهرة ، ط٣ ، ١٣٨٧هـ .
٩٣. عيار الشعر ، محمد بن احمد بن طباطبا العلوي ، تحقيق : د. طه الحاجري ومحمد زغلول سلام ، القاهرة ، ١٩٥٦ .
٩٤. الفاصلة في القران ، محمد الحسناوي ، بيروت المكتب الاسلامي ، ١٩٨٦ .
٩٥. الفاصلة القرآنية ، د. عبد الفتاح لاشين ، الرياض دار المريخ ، ١٩٨٢ .
٩٦. فتح الباري على صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني ، المطبعة البهية ، ١٣٤٨هـ (د.ط) .
٩٧. فن القصة و المقامة ، د. جميل سلطان ، ط١ ، دار الانوار ، بيروت ، ١٩٦٧ .
٩٨. فنون النثر الادبي بالاندلس في ظل المرابطين ، مصطفى الزياح ، الدار العالمية للكتاب ، المغرب ، ط١ ، ١٩٨٧.
٩٩. في النقد الادبي ، د. كمال نشأت ، مطابع النعمان النجف ، ١٩٧٠ .

١٠٠. القران وعلومه في مصر ، د. خورشيد سامي ، ط١ ، مطبعة الانجلو المصرية ، ١٩٧٣ .
١٠١. قلائد العقيان ومحاسن الاعيان ، لابي نصر الفتح بن محمد الاشبيلي ابن خاقان، تحقيق : د. حسين يوسف ط١ ، مكتبة المنار ، الزرقاء ، الاردن ، ١٩٨٩ .
١٠٢. الكامل في التاريخ ، ابن الاثير ، مج ٩ ، ١٩٦٦ .
١٠٣. كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر) – تصنيف ابي هلال الحسن بن عبد الله ابن سهل العسكري ، تحقيق : علي محمد البجاوي ومحمد ابو الفضل ، المكتبة العصرية صيدا ، بيروت ، ١٩٨٦ .
١٠٤. كناسة الدكان بعد انتقال السكان ، لسان الدين بن الخطيب تحقيق : د. محمد كمال شبانة ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة .
١٠٥. لسان العرب ، ابن منظور ، دار صادر ، بيروت د.ت .
١٠٦. لغتنا والحياة ، عائشة عبد الرحمن ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧١ .
١٠٧. اللمحة البدرية في الدولة العصرية ، لسان الدين بن الخطيب تحقيق : لجنة احياء التراث العربي ، دار الافاق الجديدة بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٠ .
١٠٨. اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ، عبد الباقي احمد فؤاد ، دار الريان للتراث القاهرة ، ١٩٨٦ .
١٠٩. المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر لضياء الدين ابن الاثير ، تحقيق : احمد الحوفي وبدوي طبانة ، مطبعة نهضة مصر ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٧٣ .
١١٠. مجمع الامثال ، ابو الفضل احمد بن محمد النيسابوري الميداني ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد دار القلم ، بيروت ، د. ت .
١١١. مجموع رسائل موحدية من انشاء الدولة المؤمنية ليفي بروفنسال ، المطبعة الاقتصادية ، الرباط ١٩٤١ .
١١٢. المدارك ، القاضي عياض ، طبعة وزارة الاوقاف الرباط ، (د.ت) .

١١٣. المزهر في علوم اللغة وانواعها ، عبد الرحمن جلال الدين السيوطي ، شرحه وضبطه وعنون موضوعاته وعلق حواشيه ، محمد احمد جساد المولى – محمد ابو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي ، ط٢ ، دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاءه (د.ت) .
١١٤. مسند احمد بن حنبل ، المطبعة الميمنية ، مصر ، ١٣١٣هـ .
١١٥. مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد الاندلس ، لسان الدين ابو عبد الله محمد ابن الخطيب تحقيق : د. احمد مختار العبادي ، جامعة الاسكندرية ١٩٥٨ (د.ط) .
١١٦. معالم الايمان ، ابن الدباغ ، تحقيق : ابراهيم شيوخ ، ط١ ، ١٩٧٠ ، الرباط .
١١٧. المعجب في تلخيص اخبار المغرب ، عبد الواحد بن علي المراكشي ، مطبعة السعادة ، مصر (د.ت).
١١٨. معجم آيات الاقتباس، حكمت فرج البدري ، بغداد وزارة الثقافة والاعلام ، دار الحرية للطباعة ، دار الرشيد للنشر ، سلسلة كتب التراث ، ١٩٨٠ .
١١٩. المعجم الادبي : جبور عبد النور ، دار العلم للملايين بيروت ، ١٩٧٩ .
١٢٠. المعجم المفهرس لالفاظ القران الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي دار مطابع الشعب القاهرة .
١٢١. معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس ، تحقيق : عبد السلام هارون ، القاهرة ، ١٣٧١هـ .
١٢٢. مع شعراء الاندلس والمتنبي ، اميليو غرسيا غومس ، ترجمة د. الطاهر احمد مكي ، نشر مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٧٤.
١٢٣. مع القاضي ابي بكر بن العربي ورحلته ترتيب الرحلة للترغيب في الملة ، سعيد اعراب ، ط١ ، دار العرب الاسلامي ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٧ (د.ط) .

١٢٤. المغرب في حلى المغرب ، ابو الحسن علي بن موسى ابن سعيد ، تحقيق : د. شوقي ضيف ، دار المعارف القاهرة ، ط٣ ، ١٩٧٨ .
١٢٥. المفتاح المنشافي حديقة الانس ، ضياء الدين ابن الاثير تحقيق : هلال ناجي ، الموصل ، ١٩٨٣ ، (د.ط) .
١٢٦. المفيد في الادب العربي ، الهاشم جوزيف ورفاقه ، بيروت ، ١٩٦٤.
١٢٧. المقاصد الحسنة في بيان من الاحاديث المشتهرة على الالسنة ، محمد بن عبد الرحمن السخاوي ، مطبعة دار الادب العربي ، مصر ، ١٣٧٥هـ .
١٢٨. المقامات اللزومية لابي الطاهر محمد بن يوسف السرقسطي تحقيق : د. بدر احمد ضيف ، الهيأة المصرية العامة للكتاب ، الاسكندرية ، ١٩٨٢ .
١٢٩. مقدمة ابن خلدون ، عبد الرحمن بن خلدون المغربي ، دار احياء التراث العربي ، لبنان ، (د.ت ، د.ط).
١٣٠. ملامح التجديد في النثر الاندلسي خلال القرن الخامس الهجري ، مصطفى محمد السيوطي ، ط١ ، عالم الكتب بيروت ، ١٩٨٥ .
١٣١. منتقى الاخبار من احاديث سيد الاخبار ، علم الاسلام عبد السلام بن تيمية (الجد) ، يشرح نيل الاوطار للشوكاني مطبعة الحلبي ، مصر ، ١٩٥٢ .
١٣٢. المن بالامامة على المستضعفين ، ابن صاحب الصلاة، تحقيق عبد الهادي التازي ، وزارة الثقافة ، العراق ، ١٩٧٩.
١٣٣. من بلاغة القران ، د. احمد احمد بدوي ، القاهرة مكتبة نهضة مصر ، ط٢ ، ١٩٥٠ .
١٣٤. منهاج البلغاء وسراج الادباء ، صنعة ابي الحسن حازم القرطاجني ، تقديم وتحقيق : محمد الحبيب بن الخوجة ، بيروت ، دار الغرب الامي ، ط٢ ، ١٩٨١ .

١٣٥. النثر الاندلسي في عصر الطوائف والمرابطين ، د. حازم عبد الله خضر ، بغداد ، وزارة الثقافة والاعلام ، دار الحرية للطباعة ، دار الرشيد للنشر ، ١٩٨٠ .

١٣٦. النثر الفني في القرن الرابع الهجري ، زكي مبارك ، القاهرة مطبعة دار الكتب المصرية ، ط١ ، ١٩٣٤ .

١٣٧. النثر الفني واثر الجاحظ فيه ، عبد الحكيم بلبع ، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٥٤ .

١٣٨. نثير الجمان في شعر من نظمني واياه الزمان ، ابو الوليد اسماعيل بن الاحمر ، تحقيق : د. محمد رضوان الداية ، مؤسسة الرسالة بيروت ، ط١ ، ١٩٧٦ .

١٣٩. نظرية الادب ، اوستن واين ورينية ويليك ، ترجمة : محي الدين صبحي ، مطبعة الطرابيشي ، دمشق ، ١٩٧٢ .

١٤٠. نظم الجمان ، ابن القطان ، تحقيق : د. محمود علي مكي ، الرباط ، ١٩٦٧ .

١٤١. نفاضة الجراب في علالة الاغتراب ، لسان الدين بن الخطيب ، تحقيق : د. احمد مختار العبادي ، مراجعة : د. عبد العزيز الاهواني ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ودار النشر المغربية (د.ت) .

١٤٢. نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، ابو العباس المغربي تحقيق : د. احسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٨ .

* النقد الادبي – اصوله ومناهجه – سيد قطب ، د.م ، د.ط ، د.ت .

١٤٣. النقد الادبي الحديث ، محمد غنيمي هلال ، بيروت ، دار الثقافة ، ودار العودة ، ط٣ ، ١٩٧٣ .

١٤٤. هذا بلاغ للناس ، عائشة عبد الرحمن ، سلسلة اقرأ (د.ت) و (د.ط) .

١٤٥. الوافي بالوفيات ، الصفدي ، دمشق ، ط١ ، ١٩٥٣.

١٤٦. وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، ابو العباس احمد بن خلكان ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٤٨.

المخطوطات

١. ترسل الفقيه الكاتب ابي عبد الله بن ابي الخصال / الاسكوريال (مخطوط رقم ٥١٩) نسخة مصورة في مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الاردنية .

الدوريات

١. اقتباس شعراء صدر الاسلام من القران الكريم د. سامي مكي العاني ، مجلة آداب المستنصرية ، ٢٠٤ – ٢١ ، ١٩٩١ .
٢. جريدة الميثاق ، ع ١١٦ ، ١٩٦٨ .
٣. الجغرافية والجغرافيين بالاندلس ، د. حسين مؤنس ، مجلة معهد الدراسات الاسلامية ، مدريد، ج٧–٨ ، ١٩٦٤.
٤. المثل في القرآن ، منير القاضي ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، مج ٧ ، ١٩٦٠ .
٥. المكاتبات الرسمية في عهد الموحدين ، مجلة دعوة الحق ، ع٢ ، ١٩٨٢.
٦. وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين ، محمود علي مكي ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد المجلدان (٧ – ٨) مدريد – ١٩٥٩ – ١٩٦٠ .
٧. وصية القاضي الباجي لولديه ، تحقيق وتعليق الاستاذ جودة عبد الرحمن هلال ، مجلة المعهد المصري ، ١٩٣٧.

الرسائل الجامعية

١. اثر القرآن الكريم في الشعر الاندلسي (عصر الموحدين) هديل قحطان الجبوري – رسالة ماجستير – جامعة بغداد كلية التربية / ابن رشد ٢٠٠٢ .
٢. اثر القرآن الكريم في الصورة الفنية لدى شعراء صدر الاسلام ، الطيب بو شيبة – رسالة ماجستير – كلية الاداب – جامعة بغداد – ١٩٨٥ .

٣. اثـر القـرآن الكـريم فـي النثـر الاندلسـي منـذ الفـتح حتـى نهايـة عصـر الطوائف ، يونس مجيد الدوري ، الجامعة المستنصرية كلية الاداب – ١٩٩٩ .

٤. الرسائل الديوانية في مملكة غرناطة في عصر بني الاحمر عبد الحليم حسين الهروط ، رسالة ماجستير ، الجامعة الاردنية ، ١٩٩٤ .

٥. الشـعر الاندلسـي فـي ظـل البلاط الحفصـي (٦٣٤ – ٩٨١هـ) وسـام علـي محمد ، رسالة ماجستير ، آداب الكوفة ، ١٩٩٨ .

٦. القرآنية في شعر الرواد في العراق ، احسان جواد التميمي ، رسالة ماجستير ، آداب جامعة القادسية ، ٢٠٠٠ .

٧. القصص القرآني في الشعر الأندلسي ، أحمد حاجم الربيعي ، رسالة دكتوراه مقدمة الى كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٩٢ .

٨. النثر الفنـي فـي عهـدي الموحـدين وبنـي الاحمـر ، د. حسـين نصـر رسـالة دكتوراه ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، ١٩٨٢ .

(In the name of god – the Compassionate the Merciful)

Conclusion and Findings

Pen has no choice but to write on the pages of history the excellence produced generously by our ancestors whose heritage kept well – established a long time as strong as a lofty mountain, as vast as a wild ocean and as glaring as the shining sum that no darkness can veil its enlightment.

In spite of the jacl that our Andalus is no longer exist, yet every detail of its memory is still kept in our minds, hearts and annals with pride and glory however soaked with pain and compassion for such great loss.

I did my best through research and investigation for pros and ends to prepare this study in its appropriate from. The study moved through two wide contexts. The gracious Quran is flooded with haliness, great context and greatness and the Andalusian prose in the epochs of Al – Murabeteen, Al – Muwahedeen and Beni Al – Ahmar with all its trends and techniques. The study dealt with the effect of Quran on the prose and what did the writers write a bout it as well as the style they used in writing and the cause for writing and the goal implicitly or explicitly.

At the onset there is preface which wrote using to styles:

The first is the historical style that helps the reader know how the gracious Quran entered the Andalus with the first Islamic regiments. It also highlights the periods (Al – Murabeteen, Al – Muwahedeen and Beni Al - Ahmar).

The second style underpins the state of the prose during these three epochs. The prose in the first half of the first – Higri Century characterized by sermons, political and religious letters.

In the epochs of al Muwahedeen and Beni al Ahmar the incorporated political and social dogmas and beliefs.

As for the vocabulary in Quran the study assumed analyzing prosaic samples because of their simplicity in showing the impact of the Quran vocabulary on the Andalusian writers. It also revealed the writers trend to referred extraction and the avoidance of the legal prohibition in the interpretation of Maliki which compelled them to follow their trends.

As for the Quranic picture, the writers a admired the picture in its various forms whether it was separated, suggestive or conveyed.

The study also showed the Quranic pause and it effect in the Andelusian prose which was represented in the rhyme and the religious letters but it was less in the official letters.

The intellectual movement enriched tour literature because the main motive that made the tourist leave his country and his family and to bear ditticullies was to reach Najed and al – Hijaz to perform rituals and visit the grave of the prophet. The retigious factor was the base for these trips that led to Egypt, Syria and Iraq.

The Qurani phenomena was clear in the sermons and stories explicitly and implicitly and that indicates that the Hudalusian writers were affected by al Quran.

As for technical study the search led to the writers concern in structuring the prosaic text and their love to Quran and their ability to formulate and express clearly antithesis and rhyme.

The study revealed also the factors of prosaic flourishments in those epochs which were attributed to the kings and literary writers characterized by honesty, religion and fearing God.

Among the findings of the researcher through these prosaic contexts is the religious impression that covers all these texts because al – Muwahidiya movement passed two distinctive stages: setting the movement and emergence of the movement. The movement began in the form of religious reformation by Al – Mahdi bn Tomrf by ammouncing his infattibitity and Mahdiism. It also was apolitical movement aimed at fighting al – Murabeteen in order to establish now state. It was also a tribal movement.

The study also revealed the followings:

The levels of formal Arabic differed from one writer to another but the style tends to be fashionable especially the rhymed prose. The features are found in the extracts from Quran and quoting the prophet sayings as well as the diffusion.

The religious feature is clear and even mingled with the potilical feature.

Final, I can say that this study is merely modest participation in studying an important aspect of our literary heritage replete with excellence and needs farther care and attention.